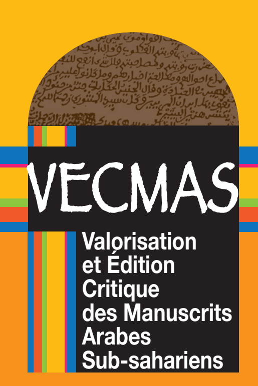


قصة تودّد الجارية

قصة من قصص ألف ليلة وليلة

نسخة تنبكتو

حققه وقدم له

د . فلوريال سناغوستان

الدار العليا للمتيزين

Vecmas 2012

ENS ÉDITIONS

ENS DE LYON

قصة تودّد الجارية

قصة من قصص ألف ليلة وليلة

نسخة تنبكتو

حققه وقدم له

د . فلوريال سناغوستان

الدار العليا للمتميزين



2012

Georges Bohas, directeur du projet VECMAS (Valorisation et édition critique des manuscrits arabes sub-sahariens), remercie M. Abdel Kader Haïdara, directeur de la bibliothèque Mamma Haïdara, qui a bien voulu mettre le manuscrit à sa disposition en vue de l'édition critique.
Il remercie aussi l'Agence nationale de la recherche qui soutient le projet VECMAS.
Enfin, il remercie Madame Rana Darrous qui a effectué la mise en page du texte avec le logiciel InDesign.

École normale supérieure de Lyon
15 parvis René Descartes
BP 7000
69342 Lyon cedex 07

ISBN 978-2-84788-362-6
Prix : 20 euros

Achevé d'imprimer en France, ENS de Lyon,
Dépôt légal mars 2012

فهرس الموضوعات

تقديم

في إطار برنامج «قصص تمبكتو الجميلة» – التابع لبرنامج VECMAS[1] الذي تموله الوكالة الوطنية للبحوث (ANR) –، فكرنا أنه سيكون من الممتع أن نحقق، في البداية، الحكاية المعروفة «تودد الجارية» – حكاية تنتمي إلى سلسلة حكايات «ألف ليلة وليلة» – ثم ترجمتها في وقت لاحق. على الرغم من أن هذه المخطوطة مبتورة (تفتقر إلى النهاية)، فإنها لا تزال تحتوي على القصة في مجملها تقريباً. في الواقع، كل من قرأ «ألف ليلة وليلة»، يعرف حبكة هذه القصة: يتم تقديم جارية في غاية الجمال والذكاء، إلى الخليفة هارون الرشيد، من قبل سيدها الذي يفتخر بمزاياها وسعة علمها طالباً بها مائة ألف دينار. فيجيب هارون الرشيد أنه إذا ثبت علم الجارية الظريفة، سيدفع المبلغ المطلوب، ولكن إذا كانت تدّعي فلن ينال التاجر أي شيء. وهكذا أخضعها الخليفة، أمام مجمع من العلماء وأعضاء حاشيته، إلى سلسلة من الاختبارات صممت لاختبار سعة ثقافتها والسعي لهزيمتها. ستواجه إذاً: فقيهاً، نحوياً، فيلسوفاً، فلكياً وطبيباً، سيخضعونها جميعهم لسيل من الأسئلة الأكثر خبثاً بعضها من بعض، البعض منها سيأخذ شكل ألغاز. ومع ذلك، فإنها ستخرج بمرتبة الشرف من هذه المعركة وستكسب تقدير الجميع بعد أن سيطرت على مختلف العلماء. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن نقدّر لها أنها، بفضل العلم، ستتمكن من تحرير نفسها من وضع العبودية، سيكون هناك إذاً حالة من نشيد للمعرفة [2].

---

1. تحقيق ونشر المخطوطات العربية التابعة للساحل الإفريقي، المدير جورج بوهاس، الدار العليا للمتميزين في ليون.

2. انظر الموسوعة العربية لليالي، اولريك مارزولف و ريتشارد فان لوفن (إشراف)، ABC-CLIO، جزأين، سانتا باربارا، 2004 ؛ جمال الدين بن شيخ وأندريه ميكيل (ترجمة)، ألف ليلة وليلة، 3 أجزاء، مكتبة البلياد، غاليمار، باريس، 2005–2006. في ترجمة ماردروس، هذه الرواية تسمى ***Histoire de la docte Sympathie***. انظر جوزيف شارل ماردروس (ترجمة)، ألف ليلة وليلة، جزءان، روبرت لافونت، باريس، 1993، المجلد 1، ص 666–687. هناك مكافئ غربي لهذه القصة هي قصة دوكت تيودور ؛ انظر في هذا الموضوع مارغريت ق. باركر، ***The Story of a Story across Cultures. The case of the « Doncella Teodor »***، تاماري، لندن، 1996.

خصوصية قصة « تودّد الجارية » هو إعطاء دور مركزي لامرأة شابة تدعى تودّد، وهي كلمة تعني « المحبة »، والتي لا تبرز فقط بغنجها، ولكن أيضاً بذكائها وتمكّنها من الاختبارات الصعبة للمناظرة، للجدل، « الجدال » بالمعنى المستخدم في القرون الوسطى للمصطلح. حتى أنها استطاعت أن تهزم العالِم الوحيد في النص المشار إليه باسمه، وهو المعتزلي الشهير إبراهيم النظّام، وتحويله إلى شبه أضحوكة. يجب القول أن الراوي الذي ظهر كمسلم تقليدي الإيمان، لا يبدو أنه يقّدره أيضاً، فالمنطقيون والفلاسفة كانوا، كما يعلم الجميع، العدو اللدود للتقليديين. ومع ذلك، بما أن المخطوطة مبتورة، لم يتم التطرق للعلوم الدنيوية التي هي علوم الموسيقى والشطرنج. من جهة أخرى، يبدو أن هذا الإصدار هو أكثر حجماً من النسخة المطبوعة [3].

في الواقع، في النسخة الحالية التي تحوي ٢٢٠ صفحة، بينما النسخة المطبوعة لا تحوي إلا حوالي عشرين فقط، أضاف الناسخ عدداً كبيراً من التوسّعات. وهي تشمل بشكل خاص اعتبارات تتعلق بالمسائل القضائية، حكايات عن الصحابة، أحاديث، اقتباسات قرآنية ومسائل تتعلق بالإفتاء : كحقوق الزوجة على الزوج، بِرّ الوالدَين، حقّ المملوك. نجد فيها أيضاً عدداً من القصائد القصيرة التي يذكرها ليدعم بها دلالات معينة. علاوة على ذلك، فالواضح أن هذه التوسّعات المرتبطة بالتقليد الإسلامي تندرج تحت محاولة أسلمة الرواية بعد أن كانت علمانية في الأصل. وقد لمسنا هذا التوجه أثناء نشر المخطوطة السابقة، وهي شفاء الأسقام للشيخ سيّد أحمد الرقّادي.

إن المخطوط غير المكتمل الذي استخدم كأساس لتحقيقنا، مسجل في فهرس مكتبة ماما حيدرة في تمبكتو تحت رقم ٧١٧. يحتوي المخطوط ٢٢٠ ورقة، من قياس ٢٠ x١٥ سم، وقابلة للقراءة بشكل كامل، مع كتابة بالخط المغربي. ومع ذلك، فقد تعرضت الإحدى وثلاثين ورقة الأولى للإتلاف من المياه، مما جعل الجزء العلوي من كل ورقة صعب القراءة. يوجد على بعض الأوراق، تصويبات أو إضافات على الهامش، هي بالتأكيد من التلاميذ أو النسّاخ. كُتِب النصّ في قطعة واحدة وبالتالي لا يشمل التقسيم المعتاد إلى فصول وأجزاء. ومع ذلك، فاستخدام الحبر الأحمر سمح لنا بتحديد بداية الفقرات.

---

3. قام اندريه ميكيل بتحليل قصة تودد الجارية بشكل تفصيلي. انظر أ. ميكيل « سبع قصص من ألف ليلة وليلة أو ما من حكايات بريئة »، المكتبة العربية، سندباد، باريس، 1981، ص 15–49.

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، ولكننا نعتقد أن النسخة التي كانت لدينا تعود إلى القرن التاسع عشر كما يُستدل من الأشهر المذكورة وفقاً للتقويم الميلادي، كما لا يزال الحال في المغرب اليوم، وليس وفقاً للتقويم الهجري. ولا يبدو أن الناسخ كان عارفاً كبيراً في القرآن الكريم، لأننا لاحظنا في عدة مواقع أنه ارتكب أخطاء في النسخ من بضعة سوَر، وهذا بشكل خاص، في العالم الإسلامي، أمر غير ملائم.

من الناحية اللغوية، نلاحظ بعض الخصائص الكتابية التي تتعلق تحديداً بكتابة الهمزة: رأى تتم كتابتها بصورة منتظمة رءا ؛ أو المدّة: قرآن تنسخ قرءان، وآيات تعطي ءايات. بطبيعة الحال، القاف تكتب ف والفاء تكتب ڢ كما هي القاعدة في الكتابة المغربية. نلاحظ أيضاً رسم الياء أو الألف المقصورة في نهاية الكلمة أو أيضاً بالليل التي يكتبها الناسخ بصورة منتظمة: باليل. فيما يتعلق بالنحو، يعالج التوافق بشكل عشوائي إذا ما قيس بالمعايير العصرية، إلا أن ذلك يشير إلى وضع كانت عليه اللغة، دون أن يكون ثمة استثناء. لذا رأينا عدم التدخل لإجراء بعض الإصلاحات، وحافظنا على خصائص النص، ما لم تطرأ مشكلة تعطّل أو تعكّر فهم النص. فيما يتعلق بالمفردات، فإننا نجد هنا وهناك مصطلحات محلّية مستعارة من اللغات الإفريقية المحلية.

التنقيط والتقسيم الى فقرات هما من عملنا، إذ هدفنا الى ترويح النص، وتسهيل قراءته. الأجزاء المطبوعة بالأسود توجد في المخطوط الأصلي.

دمشق – ليون، شباط ٢٠١٢



صورة الصفحة الأولى من المخطوط الأصلي



صورة الصفحة 2 من المخطوط الأصلي



صورة الصفحة 3 من المخطوط الأصلي



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط الأصلي

البداية

[ص1]

قصة تودد الجارية

[ص2] إذ ...[1] أمير المؤمنين هارون الرشيد فأرسل إليه أمير المؤمنين ... يا جارية قالت ... يا أمير المؤمنين ثم تقدمت وقبلت الأرض بين يديه وقالت أعز الله أمير المؤمنين وخلف أنهر تجري وسلف الصالحين و...[2] بني العباس أجمعين الملك فيهم موروث دائم والعز فيهم ...[3] قائم المجاهدين في بلد الأعاجم والدافعين عن الناس المظالم وأقبلت الجارية تنبر من الكلام بالبيان ما يغص عن وصفه اللسان حتى بهت أمير المؤمنين وسائر الوزراء أجمعين.

ثم قال لها يا جارية من الصانع قالت أعز الله العظيم أمير المؤمنين إني قرأت القرآن وحفظته وعرفت ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ونظرت في العلوم الشرعية والكتب الرياضة والفقه في الدين وتواريخ المؤرخين وعلم الأسطرلب[4] ومعرفة العلوم وصناعة الرسوم واللغة والأدب وأشعار العرب واسئل عما شئت يا أمير المؤمنين فإِني عارفة بالجواب ناطقة بالصواب.

---

1 أعلى الورقة غير مقروء بالكامل.

2 جملة غير مقروءة.

3 جملة غير مقروءة.

4 الاسطرب في النص.

قال فتعجب الرشيد من ما سمع من لفظها وفصاحتها ومعرفتها وسياستها قال لسيدها بكم جاريتك فقال له بمائة ألف دينار يا أمير المؤمنين ليس فيها نقصان. قال له الرشيد أفاد لي أن أبعث لمن يناظرها في كل ما ادعت من العلوم فإن أتت بكل ما ادعت فلك عندي مائة ألف دينار وإن لم تأت فلا جنوبة[5] لك. قال نعم يا أمير المؤمنين ثم إن الرشيد أمر بإحضار فقهاء مدينة بغداد فحضروا أجمعهم وحضرت جماعة إبراهيم النظام وكان أعلمهم بالنجوم واللغة والأدب والحجة والجدال.

قال إبراهيم النظام جئنا إلى مجلس أمير المؤمنين ودخلنا وقعدنا على كراسي فقضيت لنا ثم تكلم الرشيد فقال فلم تكن إلا ساعة وإذا با[6] ومما رأينا من[7] وبعدما تم نصب الكرسي من الذهب فقعدت عليه بعد ما سلمت بأحلى السلام وتكلمت بأحسن الكلام. ثم تكلم الوزير وقال إن الأمير أعزه الله يريد أن تناظروا هذه الجارية في أمر دينها ودنياها وأن تفصحوا عن صحة حجتها فيما ادعت من كل علم ومن كل وجه. قال فنطقت الجارية فقالت من الفقيه مناظرة الفقيه الأول.

باب ما فعلت الجارية مع الفقيه العالم بالكتاب والسنة قال فأقبل عليها الفقيه وقال لها يا جارية [ص3] إذا سألها عن الفرائض ... وإثبات كتاب اليقين كتاب ...مباركا ...[8] الألباب قال لها الفقيه أخبريني من ربك وما دينك وما قبلتك وما منهاجك وما إمامك وما طريقتك. قالت له نعم اسمع جوابك من جارية أن الله عز وجل هو ربي ومحمد صلى الله عليه وسلم هو نبيي والإسلام ديني ومكة قبلتي والعفاف منهاجي والقرآن إمامي والخير طريقتي. قال فتعجب الرشيد ومن كان حوله من سرعة جوابها وكثرة لفظها على صغر سنها. **فقال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أي شيء عرفت به الله تعالى** قالت له بالعقل قال لها وما معنى العقل ومن أي شيء خلق الله العقل وأين مستقر العقل.

---

5 كذا قي الأصل.

6 كلمة غير مقروءة.

7 كلمة غير مقروءة.

8 انمحت هنا بعض الكلمات بسبب البلل.

قالت له معنى العقل هو الفهم وهو النعائم وأما من أي شيء خلق الله العقل خلقه الله تعالى من نوره يؤتيه من يشاء ومستقر العقل في القلب فيصدر نوره حتى يستقر في الدماغ. **قال لها أحسنت يا جارية بماذا عرفت نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم** قالت عرفته بكتاب الله والآيات البيّنات والدلالات وبراهين المعجزات. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني بالفرائض والواجبات علينا في الإسلام. قالت له نعم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني على الإسلام** قالت له نعم الإسلام هو الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى المتعلقة بظواهر الأفعال الشرعية قال لها نعم وما معنى الإسلام.

قالت الإسلام هو الاستسلام قال الله تعالى مخبراً عن نبيه إبراهيم حيث قال ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض جنيفاً وما أنا من المشركين﴾[9] وكل ذلك إذا استسلم بني العبد لرب العالمين وانقاد بها فهي من جملة الاستسلام. فمن ذلك ما روي في الخبر الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس[10] عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع علينا رجل شريد بياض[11] الثوب شريد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منا حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه. وقال له يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن تشهد أن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة تصوم شهر رمضان وتحج بيت الله إن استطعت إليه سبيلا قال له صدقت. فتعجبنا منه [ص4] أن يفزع الناس إلى ربهم يتفكرون في ذنوبهم وخلودهم في الر[12] ويصدقه.

قال أخبريني عن الإيمان قالت أن ...[13] بنبيه وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره أخبريني عن الإحسان قالت أن تعبد الله كأنك تراه ...[14] تراه فأقمت له

9 الأنعام ٧٩.
10 كذا.
11 كذا بذل «أبيص».
12 كلمة غير مقروءة.
13 كلمة غير مقروءة.
14 كلمة غير مقروءة.

... سأله ... وذكر بقية ...[15] قال عمر ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم فقال ذلك جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم. **قال أحسنت يا جارية فما الإيمان** قالت له الإيمان هو التصديق بما يجب التصديق به وقواعد العقائد أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والقدر قليله وكثيره حلوه ومرّه وإن من غير الله وتعلم أن ما أصابها لم يخطئها وما أخطاها لم يعيبها وأن تؤمن بالحساب والجزاء والجنة والنار والجواز على الصراط وسؤال الملكين والخضر صادقين وقال تعالى ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾[16] إني لمن[17] يصدقه.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني هل هو أصل أو فرع قالت له الإسلام أصل والإيمان فرع وهو ثابت والإيمان خاص والإسلام عام ولا يتم الإسلام إلا بالإيمان. قال لها أحسنت يا جارية فما شرائع[18] قالت الصلوات والصيام والزكاة والحج قال الله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[19] قال لها فما السبيل قالت له الزاد المبلغ إلى مكة والراحلة والطريقة المأمونة. **قال لها أحسنت يا جارية كم هي دعائم الإسلام** وعلى كم بنى الإسلام قالت له نعم بنيان الإسلام على ما ذكرنا قال لها بماذا تعرفين بنيان الإسلام. قالت له بأربعة دال ودليل ومستدل ومبين فالدال هو الله والدليل جبريل عليه السلام والمستدل القرآن والمبين محمد صلى الله عليه وسلم وأما دعائم الإسلام فالجهاد والفطرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحب المؤمنين والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وإكرام الضيف وحسن الصحبة لجميع المسلمين وتحليل الحلال وتحريم الحرام وان المرء ماله شفيع يوم القيامة.

قال لها أحسنت يا جارية فما كمال الإسلام قالت له الحج والعمرة وأداء الأمانة وصلة الرحم وغض البصر وحفظ الفرج وذكر اسم الله على الذبيحة ولا تقربوا النساء في الحيض

---

15 ثلاث كلمات غير مقروءة والسبب البلل الذي أصاب الحبر في أعلى كل من الأوراق الثلاثين الأولى.

16 هود ٣٦.

17 «ليس» في الأصل.

18 كذا والصواب «الشرائع».

19 آل عمران ٩٧.

قال الله تعالى ولا تقربوا النساء في الحيض حتى تطهرن[20]. قال لها أحسنت يا جارية فبأي شيء تقومي إلى الصلاة قالت بنية الطهارة والوضوء والتنظيف ومثناه الاتقاء لمناجاة الله تعالى. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني على كم ينقسم الوضوء [ص5] قالت نعم الوضوء ...[21] مسنونة وثلاثة مستحبة وأما سبعة لا مفروضة ولا مسنونة ولا بد من تفسيرها وستة عشر يصلى بها وسبعة لا يصلى بها وأما التي يصلى بها الفرض فهي الغسل من الجنابة والوضوء من الحرث[22] والوضوء عند النوم والوضوء من ميسر الذكر والوضوء من القبلة والوضوء من لذة الجسة[23] والوضوء من الإنعاظ وبقي الثامن وهو الوضوء من الإغماء والجنون وهو المفهوم من التقسيم في وجه[24]. فهذه ثمانية فرائض واجبة وأما الخمسة المسنونة فهي الوضوء لصلاة النافلة والوضوء لصلاة الأضحى والوضوء لصلاة الاستسقاء والوضوء لصلاة الخُسوف والوضوء لصلاة الجنائز فهذه خمسة مسنونة لا مفروضة.

وأما الثلاثة المستحبة الوضوء لمس المصحف والوضوء للقراءة فيه والوضوء لقراءة القرآن فهذه الأوضية كلها يصلى بها وأما السبعة التي لا يصلى بها فالوضوء للتبريد والوضوء للتعليم والوضوء للدخول على السلاطين والوضوء عند الفزع والوضوء للكلاء والوضوء للجنب عند النوم والوضوء لمن غسل الميت فهذه سبعة وضوءات لا يصلى بها فريضة ولا نافلة.

وأما تقسيمها فوضوء واجب ووضوء نسب ووضوء حب ووضوء حسب ووصوء غلب ووضوء أدب ووضوء أرب ووضوء جلب ووضوء ضرب ووضوء عجب ووضوء هرب ووضوء كتب ووضوء كسب ووضوء ندب ووضوء لعب ووضوء طلب ووضوء غضب ووضوء كرب ووضوء تعب ووضوء كذب ووضوء سبب. ولا بد أيضاً من التفريق بينهم أما الوضوء الواجب فهو الوضوء قبل الغسل إذا وجب عليه ووضوء سبب هو الوضوء من الذة ووضوء رحب إذا أراد أحدكم النوم لينام طاهر متوضأ ووضوء حسب هو الوضوء إذا مس عضواً من أعضائه فوجب عليه الوضوء من مسه دون غيره من الأعضاء مع وجود اللذة الحركة ووضوء غلب هو

20 هذه الجملة مستوحاة من البقرة ٢٢٢.
21 كلمة غير مقروءة.
22 كذا.
23 كذا ولعلها «الجنس».
24 كلمة غير مقروءة هنا.

الوضوء من القبلة إذا غلبت عليه نفسه ووضوء أدب هو الوضوء من الجسة ووضوء أرب هو الوضوء من الإغماء والجنون.

فهذه ثمانية مفروضة لمن وجبت عليه ووضوء جلب هو الوضوء لصلاة الفريضة لانجلاب الناس إليها ووضوء ضرب هو الوضوء لصلاة الأضحى ووضوء أدب هو الوضوء لصلاة الاستسقاء إذ يأتون الناس إليها بالتواضع والخشوع وإهمال الدموع ووضوء عجب هو الوضوء لصلاة الخسوف إذ يتعجب منها كل من رءاها[25] ويفزع منها ووضوء هرب هو الوضوء لصلاة الجنائز [ص6] إذ يفزع الناس إلى ربهم يتفكرون في ذنوبهم وخلودهم في الرَمس وألم الموت وما يصيرون إليه. فهذه مسنونة غير مفروضة ووضوء كسب هو الوضوء لمن يكتب كتاب الله يكتب له به عشر حسنات ووضوء كتب هو الوضوء للقراءة في المصحف ووضوء ندب هو الوضوء لقراءة القرآن طاهرا من صدر ليتدبر إذا مر بآية عذاب تفكر وبكى وإذا مر بآية رحمة طمع ورجا فهذه ثلاثة أوضية مستحبة غير مسنونة.

وأما التي لا يصلى بها وضوء لعب وهو الوضوء للتبريد ووضوء طلب وهو الوضوء للدخول على السلاطين خيفة ووضوء كرب وهو الوضوء عند الفزع ووضوء تعب هو الوضوء عند الرواح وعند الكلل والتعب ووضوء كذب هو الوضوء للجنب عند النوم ووضوء سبب هو الوضوء عند غسل الميت فهذه سبعة أوضية لا يصلى بها فريضة ولا نافلة فهذا ما يجمع جميع الأوضية.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن فرائض الوضوء وسننه وفضائله وما ينقض الوضوء قالت نعم فرائضه غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والنية في الظاهر والعور والجسد الطاهر وسننه اثنى عشر منها أربعة متفق عليها في المذهب وهي المضمضة والاستنشاق والاستنثار ومسح الأذنين مع تجريد الماء لهما وثمانية قيل إنها سنة وقيل إنها استحمام وهي غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء إذا أيقن بطهارتهما وما زاد على الواحدة بعد العموم والابتداء بالأيمن قبل الأيسر والابتداء بمقدم رأسه ورد اليدين في مسحه وغسل البياض الذي بين الصدغ والأذن واستيعاب مسح الأذنين وترقيب المفروض مع المسنون وفضائله ثمانية التسمية والسواد وجعل الإناء عن اليمين وأن لا يتوضأ في الخلاء وتخليل أصابع اليدين والرجلين وتخليل اللحية وأن لا يسرف في الماء ونواقضه ثمانية عشر منها تسعة متفق عليها في المذهب وتسعة مختلف فيها.

---

25 كذا.

فالمتفق عليها المذي والودي والبول والغائط والريح بصوت أو بغير صوت وكل ذلك على وجه العادة والقبلة مع اللذة والقصد إليها والملامسة مع اللذة وزوال العقل بنوم مستثقل أو إغماء أو سكر وتخبط جنون والمُختَلَف فيه من مس الرجل ذكره أو مس المرأة فرجها والتذكر مع الاشتهاء وخروج الشيء من المخرجين على غير العادة والقبلة مع عدم [ص7] اللذة ورفض الوضوء والردة[26] في الحدث والتذكر لمن تلتذ به عادة فيغتسل إن وجد اللذة بكل حال وكذلك مس الذكر بباطن الكف أو بباطن الأصابع ولا ينتقض بمس المرأة فرجها من خارج إلا إن مسته من داخل وفيه خلاف .

قال لها أحسنت يا جارية فما صفة الوضوء وما جاء فيه من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له نعم إذا أردت الوضوء فابدأ باسم الله وتنظف يديك قبل أن تدخلهما في الإناء ثم ابدأ بالاستنجاء من البول والغايط[27] وإن كان من ريح فلا بأس به . وصفة الاستنجاء من البول أن تتنحنح وتمر بإصبعك الإبهام على القضيب لئلا يتولد منه استرخاء المثانة وتتفل عن الجنب الأيسر وتتمطى كأنك قائم ثم ترجع وتقلع الأذى من المخرج يكون قلعاً لا مسحاً . وهو أن تتخذ أحجاراً تقلع بها الأذى ولا تمسح ثم ابدأ بغسل يديك ثم تمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً ويستحب الفرق بين المضمضة والاستنشاق ثم اغسل وجهك وما بين العارضين وما خلفهما من الوجه فيما دون الحاجبين إلى أشفار العينين فإنه موضع خفي .

ويحرك عن[28] اللحية ما يمر عليها من ماء الوجه وإن كثر شعر اللحية يحركها من غير تخليل وتغسل ذراعيك إلى المرفقين ثلاثاً تبدأ باليمنى قبل اليسرى ولا تغسل في ذلك بطن كفيك . ثم امسح برأسك مرة واحدة من أصل الشعر من مقدم جبهتك إلى آخر شعر قفاك ثم تردهما إلى حيث بدأت بتلك المسحة راجعاً بإبهاميك وتحكهما بالإبهامين من داخلهما وامسح بالسبابتين من خارجهما ثم اغسل رجليك إلى الكعبين وخلل الأصابع كلها وليس يكفيك لك ممدودة معدودة . وقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد وهو وزن رطل وثلث وتطهر بصاع وهو أربعة أمداد بمده عليه السلام . وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه توضأ مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة بدونه كما في صحيح البخاري . ثم توضأ مرتين ثم توضأ ثلاثاً وقال هذا وضوء ووضوء الأنبياء قبلي .

26 كلمة غير مقروءة هنا .

27 كذا عوض « الغائط » .

28 « عن » ناقصة في المخطوط .

قال لها أحسنت يا جارية فما مفاتح الوضوء وما كماله قالت له مفتاح الوضوء التسمية وكماله أن تقول إذا فرغت من وضوئك أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين [ص8] واجعلني من عبادك الصالحين. وقد جاءنا من قال ذلك في وضوئه فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء. **قال لها أحسنت يا جارية فما معنى الوضوء في اللغة** قالت له يا أستاذ أما الوضوء في اللغة فهو النظافة لمناجات[29] الله عز وجل والوقوف بين يديه وأما الوضوء بفتح الواو فهو الفعل. وللوضوء أجر كثير روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من أظفار أصابعه فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار أصابع رجليه ثم كان مشيه الى المسجد قافلة.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال إذا قام العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه حتى يبقى نقياً من الذنوب. وقال أبو هريرة إذا شرع المتوضي جلست الملائكة عن يمينه والشياطين عن يساره فإن سمى الله تعالى في وضوئه نفرت الشياطين وبقيت الملائكة وإن لم يسم الله تعالى ذهبت الملائكة وبقيت الشياطين فيتبعونه حتى يدخلون الشك في وضوئه وكثرة الاختلاف. ثم اجعل بعد التسمية على وضوئك باليقين بالجزاء من الله تعالى ومفتاح اليقين التوكل ومفتاح التوكل الخوف ومفتاح الخوف الرجا ومفتاح الرجا الصبر ومفتاح الصبر الطاعة ومفتاح الطاعة الاعتراف بالذنب ومراد ذلك كله العقل.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن مفروضات التيمم ومسنوناته قالت له نعم التيمم معناه القصد قال الله تعالى فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا والصعيد في اللغة كلما يصعد إليها من جميع الأرض والطيب الطاهر النقي وهو بدل من الوضوء والغسل إن لم يقدر على مسير الماء لمرض أو غيره أو لم يجد الماء. وصفة التيمم أن يضرب بيده ضربة على التراب الطاهرة أو حجر أو غيره مما هو من جنس الأرض ثم يمسح بهما وجهه ثم يضرب ضربة أخرى يمسح بها يديه وذراعيه ولا يتيمم للنوافل ولاكن يتيمم للفرضة ويصلي بعد الفريضة ما شاء وينوي به إباحة الصلاة. وفرائضه عدم الماء ودخول الوقت والنية والفور

29 كذا بدل «مناجاة».

والصعيد الطيب والضربة بالأرض مرة واحدة للوجه والأخرى لليدين إلى المرفقين وإن كان متصلاً بالصلاة [ص9] وسننه أربعة الضربة الثانية ومسح اليدين إلى المرفقين والترتيب وبدء الميامن قبل المياسر. ويجب التيمم بشرطين أحده عدم الماء والثاني عدم القدرة على استعماله مع وجوده. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن فروض الغسل ومسنونه.**

قالت له نعم الغسل هو الطهر والنظافة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم طهرني من الذنوب والخطايا. والغسل ينقسم على ثلاثة أقسام تقليد وتحذير ووعيد وينقسم على ثلاثة أقسام وأيضاً فرض وسنة وفضيلة أما التقليد فهي الأمانة التي حملها آدم عليه السلام وهي الغسل من الجنابة والصلاة والصوم وقد جعلها الله تعالى سراً بينه وبين عباده وهو قوله تعالى ﴿ يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر ﴾[30] ينصره في القيامة فينجوا من العذاب.

قال لها أحسنت يا جارية فما أصل هذه الأمانة وأين جعلها آدم وأين قبلها في الجنة أم في الأرض. قالت له نعم قبل آدم الأمانة وهو في باب الجنة ينظر إلى النار قال تعالى يا جبريل إن آدم قبل مني الأمانة فاكشف له عن النار وأمرها[31] أن تزاد غيظاً إلى غيظها وحراً إلى حرّها وزفيراً إلى زفيرها وشهيقاً إلى شهيقها. وأمر مالك خازنها أن يظهر له من حياتها وعقاربها وسلامها وأغلالها وما فيها من الملائكة الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم والقاسية قلوبهم قال ففعل جبريل ما أمره الله سبحانه به فقال الله تعالى هذا عذابي إن قصر آدم عن الأمانة ولم يوفها وهي الطهارة والصلاة والصوم فمن أوفى بهذه الثلاثة فله الجنة ومن قصر عنها ولم يوف بها فالنار مأواه فانظر ما تدخل فيه من ما ظهر لها من المكانين يا آدم وانظر لنفسك قال فنظر آدم إلى النار.

ثم نظر إلى الجنة فغلب عليه شوق الجنة ولذة ما رأى فيها من النعائم والقصور والولدان والحور فقال آدم احملها يا رب فقال له يا آدم وأين تجعلها قال له أجعلها بين أذني وعاتقي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل آدم الأمانة وهو ينظر إلى النار فهذا هو التقليد والتقليد لا يكون إلا في العنق والتحذير هو ما حذره الله تعالى منه وقوله هذا عذابي لمن قصر عن الأمانة والوعد ما وعده ربه به في الجنة من النعيم. وأما فرائضه فأوله النية والماء

---

30 طارق ٩–١٠.

31 وربما الصواب «وأمره».

الطاهر وإفاضة الماء مع التدليك والفور وسننه غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء وتخليل الشعر حتى يبتل وتأخير غسل الرجلين إلى آخر الغسل والوضوء قبل الغسل.

قال لها أحسنت يا جارية فمن أي شيء يجب الغسل قالت له نعم من الجنابة وانقطاع دم الحيض فالجنابة هي خروج الماء المسمى بالمني[32] سواء [ص10] كان في اليقظة أو في النوم وكذلك التقاء المجامعين في المجامعة وإن لم يخرج المني فإنه يوجب الغسل. وأما دم الحيض فإن زاد عن عادتها التي كانت تحيضها قبل ذلك فإنها تصبر ثلاثة أيام ولا تزيد على خمسة عشر يوماً فإن لم ينقطع اغتسلت وصلت والدم بعد ذلك يسمى دم الاستحاضة ولا يلزم منه شيء إلا أنه يستحب منه الوضوء. وإن كانت المرأة عادتها تحيض أربعة عشر يوماً فإنها لا تزيد شيئاً والطهر الذي يكون بين الحيضين أقله ثلاثة أيام وقيل عشرة أيام وقيل خمسة عشر يوماً وكلما يخرج من الدم بعد كماله ولو قطرة واحدة حكمه حكم الحيض يجب منه الغسل وغيره.

ويمنع الحيض الصلاة والصوم ولكن تقضي الصوم دون الصلاة ولا يجامعها زوجها حتى تغتسل بعد انقطاع دم الحيض ولا تمس المصحف ويجوز لها أن تقرأ في غير المصحف ولا يجوز للجنب أن يقرأ ولا أن يمس المصحف على غير طهارة منه. وأحكام الحيض كثيرة ويجب على المرأة أن تسأل في ما تجهله ولا يمنعها الحياء وقالت عائشة رضي الله عنها نعم النساء نساء الأنصار كي لا يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين فإن غلب الحياء على المرأة فلتجعل من يسأل لها. ودم النفاس حكمه حكم الحيض متى انقطع وجب عليها الغسل وأن تمادى فلا تزيد على ستين يوماً وما زاد فهو دم الاستحاضة لا يلزم منها شيء.

قال لها أحسنت يا جارية فما صفة الغسل وما جاء فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت له نعم إذا بدأت في الغسل فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ما شاء الله لا قوة إلا بالله من النجس الرجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم فمن هذا هرب عنه وحضرت الملائكة عن يمينه. ثم يغسل فرجه ويقول اللهم اجعلني من الحافظين فروجهم ثم يمضمض فاه ويقول اللهم أعنّي على تلاوة القرآن وكثرة ذكرك ثم يغسل وجهه ويقول الله بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. ثم يغسل ذراعه الأيمن ويقول اللهم اجعلني من أهل اليمين ولا تجعلني من أهل الشمال ثم يغسل ذراعه الأيسر ويقول اللهم

32 «المني» في الأصل.

لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري. ثم يغسل رأسه ويقول اللهم أظللني تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظل العرش وظل الصدقاء ثم يمسح أذنيه ويقول اللهم اجعلني ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ثم يغتسل من الجنابة يصب على رأسه ثلاث غرفات ويخلل الشعر بالماء حتى يبتل وسخ البشرة في ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحت كل شعرة جنابة فاغسل الشعر وأبلغه إلى البشرة وتجمع المرأة رأسها وتحكه وليس على المرأة حل ظفائرها في غسل رأسها إلا إذا كانت خيوط الظفائر [ص11] كثيرة فتحلها. ثم يصب الماء على شقه الأيمن ثم على شقه الأيسر هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدلك بيده جميع جسده وعمق سرته ثم يغسل رجليه آخر غسلة فإذا فرغ من الغسل فليقل الحمد لله رب العالمين.

قال لها أحسنت يا جارية في الغسل وعَلِمْتِ به فما مفتاح الصلاة وما تحليلها وما تحريمها وما فرائضها وما سننها وما فضائلها قالت له نعم مفتاح الصلاة والوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم. والدليل على ذلك أنها إذا حرمت حرم عليك كل شيء وإذا سلمت حل لك كل شيء وأما ألفاظ الصلاة فمعناها الدعاء وإنما سميت الصلاة صلاة لأنها شرف الله بها العبد وهي ضامنة الرزق. قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعافية للتقوى وقيل إنما سميت الصلاة صلاة لأنها صلة بين العبد وربه وهي نجاة في الدنيا والآخرة وإنما لا تقبل صلاة بغير طهور وتحريم وقراءة وتكبير وخشوع فمن خالف هذا فقد خلع رفقة الإسلام من عنقه .

وفرائض الصلاة إحدى وعشرون الطهارة من الحدث والوقت واستقبال القبلة ولا يكفيه النطق بلسانه فيذكر الصلاة التي يريد أن يصليها بقلبه ويتقرب بها إلى الله وينوي الأداء في الوقت. فإن خرج الوقت نوى القضاء وتكون النية مع تكبيرة الإحرام ولا يقدمها عنها ولا يؤخرها والترتيب في الأداء وهو أن يفعل كل شيء من أفعال الصلاة في موضعه وتكبيرة الإحرام والقيام لها والركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والاعتدال في الرفع من الركوع والسجود والطمأنينة وهي سكون الأعضاء في الخفض والرفع والجلوس الآخر قدرما يسلم فيه والسلام وترك الكلام وترك الأفعال إلا اليسير منها كالإشارة والالتفات اليسير.

فإنه مغتفر وإزالة النجاسة من الثوب والبدن والمكان الذي يصلي فيه مع الذكر والقدرة فإن نسي أو عجز عن إزالتها سقط مرضاً ويعيد من صلى بها ناسياً في الوقت وستر العورة يستر الرجل من السرة إلى الكعبة والمرأة كلها عورة ما عدى الوجه والكفين. فلا يجوز للمرأة أن يراها أحد إلا ذوي المحارم خاصة وهم الذين لا يجوز لهم نكاحها فيجوز أن يروا رأسها وأطرافها ويخلون بها ولا يجوز ذلك للأجنبي. وأما الوجه فليس بعورة إلا أنها إذا كانت صغيرة أو جميلة فلا يجوز أن يرى وجهها وإن كانت عجوزاً جاز ويسلم عليها ولا يسلم على الصغيرة.

وسنن الصلاة ستة عشر الإقامة والسورة التي مع أم القرآن والقيام لها والجمر فيما يجمر فيه والسر فيما يسر فيه والإنصات للإمام فيما يجمر فيه والتشهد الأول [ص12] والجلوس له إلا بقدر ما يقع فيه السلام. فإنه فرض والتكبير سوى تكبيرة الإحرام وسمع الله لمن حمده ورد السلام على الأيتام والتيامن بالسلام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سنة في الصلاة وهي فرض كل مسلم مرة في العمر وينوي بها الفريضة. وفضائل الصلاة عشر وهي اتخاذ الرداء وهذا للرجل ورفع اليدين عند تكبيرة وقراءة المأموم مع الإمام فيما يسر فيه وإطالة القراءة في الصبح والظهر والظهر أقصر منها وتخفيف العصر والمغرب والعشاء متوسطة والسورة الثانية أقصر من الأولى والتيامن بعد أم القرآن والتسبيح في الركوع والدعاء في السجود وقول المأموم ربنا ولك الحمد وصفة الجلوس. وتجب الصلاة بخمسة شروط البلوغ والعقل ودخول الوقت وارتفاع دم الحيض والنفاس والخامس مختلف فيه هل هو شرط في صحة وجوبها وفي صحة فعلها وهو الإسلام وتصلي الصلاة في وقتها فمن أخرها عن وقتها فهو عاص لله تعالى ومن عليه صلوات كثيرة فليصلها بقدر ما يستطيع ولا يؤخر ولا يصل التطوع حتى يقضي الفرض.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني بمن عليه صلوات كثيرة كيف يؤديها قالت له نعم يؤديها في كل وقت من ليل أو نهار ويقيم الصلاة لكل فريضة ويبدأ بصلاة الصبح فيصليها ركعتين ويحمد بالقراءة ليلاً كان أو نهاراً ثم يصلي الظهر ركعتين بأم القرآن وسورة وركعتين بأم القرآن فقط سراً. ثم العصر مثلها ثم المغرب ثلاث ركعات ويحمد بالقراءة في الركعتين الأوليين منها بأم القرآن وسورة وفي الثالثة بأم القرآن فقط ثم العشاء أربع ركعات يحمد في الأوليين بام القرآن وسورة وفي الأخريين بأم القرآن فقط سراً. وليس عليه أن يقضي

الشفع ولا الوتر ولا ركعتي الفجر وإنما جاء النهي عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع إنما ذلك في النافلة وأما المكتوبة فإنها تؤدي في كل وقت من ليل أو نهار وعند طلوع الشمس وعند غروبها.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الصلاة المسنونة قالت له نعم من سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم صلاة الفطر وصلاة الأضحى وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء وصلاة الوتر بصلاة العيدين ركعتين بلا أذان ولا إقامة يكبر في الأولى سبعاً قبل قراءة أم القرآن ثم يقرأ أم القرآن وسورة ويحمد بالقراءة ويركع ويسجد ثم يقوم ويكبر خمساً كسائر التكبير دون التي يرفع بها رأسه من السجود ثم يقرأ أم القرآن وسورة ويحمد بالقراءة ويركع ويسجد ويتشهد ويسلم وصلاة الكسوف أربع ركعات بأربع سجدات إذا كسفت الشمس أو القمر فإنه يدخل في صلاة بغير آذان ولا إقامة ويكبر. ثم يقرأ أم القرآن وسورة طويلة ثم يركع نحو قيامه ثم يرفع ويقول سمع الله لمن حمده [ص13] ربنا وله الحمد.

ثم يقرأ أم القرآن ترتيلا ويقوم ...[33] أبو هريرة ويفعل كما فعل في الأولى ثم يرفع ويقول سمع الله لمن حمده ربنا وله الحمد ثم يسجد سجدتين ويقوم ويقرأ أم القرآن وسورة طويلة ويفعل كما فعل في الأولى ويركع نحو ركوعه. ويرفع ويقرأ ويخر إلى السجدتين ويسلم وصلاة الاستسقاء ركعتين يدخل فيهما بغير أذان ولا إقامة ثم يكبر ويقرأ فيهما بأم القرآن وسورة ويحمد بالقراءة ويركع ويسجد سجدتين ثم يقوم ويقرأ يفعل كما فعل في الأولى ويركع ويسجد ويتشهد ويسلم ويحول رداءه. ويجعل الذي كان على يمينه على يساره والذي كان على يساره على يمينه ويدع الله عز وجل ويتضرع إليه. وصلاة الوتر ركعة واحدة يصلي قبلها ركعتين شفع بأم القرآن وسورة جهرا في كل ركعة ويسجد ويتشهد ويسلم ثم يوتر بواحدة يقرأ فيها بأم القرآن وقل هو الله أحد والمعوذتين جهرا ويركع ويسجد ويتشهد ويسلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ثواب المصلي قالت له نعم الصلاة أفضل الأعمال ومن أحسن ما يتقرب به العبد إلى ربه عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة وأول ما ينظر الله إليه من أعمال العبد الصلاة يوم القيامة. فإن قبلت منه أجزات[34] عن سائر أعماله وإن لم تقبل منه لم يُقبل منه شيء من أعماله فيجتهد الإنسان في

33 كلمة غير مقروءة.

34 كذا والصواب «أجزت».

التحفظ عليها ويحضر قلبه فيها ويكون خائفاً خاضعاً لله سبحانه ويدفع عن نفسه الشيطان وشواغل الدنيا. قال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته إما ما عقل منها ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة عامداً من غير عذر.

والصلاة هي رأس المال وقد كتب عمر إلى عامله أن أهم أمورك عنده الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى صلاة في وقتها بركوعها وسجودها عرجت إلى السماء وهي بيضاء نقية وهي تقول حفظها الله كما حفظتني ومن لم يأت بها على هذه الصفة عرجت إلى السماء وهي سوداء مظلمة وهي تقول ضيعك الله كما ضيعتني لأن تارك الصلاة يبتليه الله تبارك وتعالى بخمسة عشر مصيبة ستة منها في الدنيا وثلاثة عند موته وثلاثة عند دخول قبره وثلاثة عند لقاء ربه.

فأما الستة التي تصيبه في الدنيا تضيق عليه معيشته ويقتر عليه رزقه وتنزع البركة من رزقه وتنزع البركة من عمره وتمحى سمات الصالحين من وجهه ولا تصعد له إلى السماء دعوة. وأما الثلاثة التي تصيبه عند موته يموت ذليلاً جيعاناً[35] [ص14] عطشاناً فلو سقي بمياه الدنيا كلها لم تروه وأما الثلاثة التي تصيبه عند دخول قبره يظلم عليه قبره ويضيق عليه لحده ويبعث الله إليه ملكا يقربه إلى يوم القيامة. وأما الثلاثة التي تصيبه عند لقاء ربه يوكل الله عليه ملكين يسحبانه على وجهه في النار وينادیان عليه هذا جزاء من ضيع فرائض الله ولا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم. ويأتي على وجهه ثلاثة أسطر مكتوبة بقلم من النار في السطر الأول يا مضيع حق الله وفي الثاني مخصوص بغضب الله وفي الثالث كما ضيعت حق الله فايئس اليوم. وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفلق قال الفلق بير في جهنم لو طار فيه طائر ألف سنة ما بلغ قعره وفوقه صخرة تسمى فالقة. فقلت يا رسول الله ومن يسكن ذلك البير على تلك الصخرة فقال لي تارك الصلاة على صحة البدن لقوله تبارك وتعالى فخلق من بعدهم خلق أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصلاة علم الإيمان ولا إيمان لمن لا صلاة له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد ما بين اليوم

35 كذا والصواب « جوعان ». غير أن « جيعان » مقبول كما يثبته دوزي في قاموسه.

والليلة فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة.

وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمسح الله تعالى به الذنوب ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط. وقال صلى الله عليه وسلّم الصلاة الإيمان فمن حفظها وحافظ عليها لأوقاتها وحدودها بفرائضها وسننها . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الكفر ترك الصلاة وقال علي رضي الله عنه من لم يصل فهو كافر فهو كافر[36] ومن ترك الصلاة فقد خرج عن الإيمان. وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب في باب أحدكم يفتح فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون أن يبقى عليه من دون وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول ما تقرب إلي العبد بمثل أداء ما افترضته عليه وإنه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن استنصرني نصرته.

وعن أنس بن مالك وأبي الدرداء رضي الله [ص15] عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال طلعت سقف بيتي بمكة ونزل جبريل عليه السلام وفرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوءة حكمة فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا إلى سماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فقال من هذا. فقال جبريل قيل من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم فلما فتح علونا إلى سماء الدنيا وإذا برجل قاعداً إذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى فقال لي مرحبا بالابن الصالح والنبي الكريم على الله تعالى أبشر يا محمد فأنت أكرم الخلق على الله تعالى فقلت لجبريل من هذا قال أبوك آدم فقلت له يا جبريل رأيته إذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى. فقال لي يا محمد إذا نظر عن يمينه فينظر إلى أولاده الذين يدخلون الجنة فيبتسم وإذا نظر عن شماله فينظر إلى أولاده الذين يدخلون النار فيبكي.

ولم يزل يصعد بي سماء بعد سماء حتى سمعت صرير القلم بدا لي رب وقربني وكلمني وقال لي يا محمد أتدري فيما يختصم الملا[37] الأعلى فكشف له عن ملكوت السموات والأرض. وقال لي يا محمد يختصمون في الكفارات فقلت له وما الكفارات قال

36 كذا.

37 كذا و الصواب «الملأ».

إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى الجماعة وانتظار الصلاة بعد الصلاة. ففرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة فمررت بأخي موسى بن عمران وقال لي يا محمد كم فرض ربك على أمتك فقلت له خمسين صلاة فقال لي يا محمد إن أمتك أضعف الأمم فارجع إلى ربك واسأله التخفيف عن أمتك فرجعت وسألت الله التخفيف عن أمتي فخفف عنهم خمسا فلم أزل أراجع بين ربي وموسى حتى فرض عليهم خمس صلوات.

وقال لي يا محمد حططت عن أمتك خمساً وأربعين صلاة وأقررت عليهم خمساً وأبقيت لهم أجر الخمسين صلاة وجعلت لهم ما بين الصلاة والصلاة كفارة لما عليهم من الذنوب. وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة دلت على الإيمان تصل بين العبد وبين الله تعالى فطوبى لمن حفظها وحافظ لقوله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[38] وقال خالصا لنبيه أقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من اليل إن الحسنات يذهبن السيئات فالحسنات يذهبن السيئات هن الصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر قال الله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾[39].

واختلف العلماء في عدد الكبائر [ص16] وقد قال بعضهم سبعة عشر أربعة في النفس وهي شهادة الزور و[40] المحصنات وإيمان الغموس والسحر واثنتان في القدير وهما السرقة والقتل وأربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصية الله والأمان من مكر الله واليأس من رحمة الله واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف وواحدة عمت جميع جسده وهي عقوق الوالدين وثلاثة في البطن وهي أكل الربا وشرب الخمر وأكل أموال اليتامى.

وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة مكيال من أوفى استوفى وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة تنقذ العبد من يد الزبانية وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة ترضي الرب وتصرف البلاء. وقد جاء في الآثار أن آدم عليه السلام نزلت به قرحة في إبهام رجله ثم ارتفعت إلى قدمه ثم إلى ركبته ثم إلى نحره فلم تزل ترتفع إلى أن بلغت عنقه فقام يصلي فنزلت إلى ركبته ثم قام يصلي فنزلت إلى قدمه فصرفها الله عنه. ويُروى أن الله تعالى خلق ملكاً يقال

38 البقرة ٢٣٨.

39 النساء ٣١.

40 كلمة غير مقروءة.

له بمخائل وهو من الملائكة الذين يأخذون براءة المصلي عند كل صلاة من عند رب العالمين فإذا أصبح المؤمنون وتوضؤوا وصلوا صلاة الصبح أخذ لكل واحد منهم براءة من عند الله مكتوب فيها عبادي في حفظي وتحت كنفي مغفور لكم ذنوبكن. فإذا كان وقت الظهر وقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لكل واحد منهم براءة ثانية فيها مكتوب عبيدي بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم برضايي وأدخلتكم دار الجلال.

فإذا كان وقت العصر وقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لكل واحد منهم من عند الله براءة ثالثة فيها مكتوب عبيدي حرمت أبدانكم على النار وأسكنتكم مساكن الأبرار ودفعت برحمتي عنكم الأشرار فإذا كان وقت المغرب وقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لهم براءة رابعة مكتوب فيها عبيدي صعدت إلى ملائكتي بالرضى عنكم وحولي رضاكم وأنا أعطيكم يوم القيامة أمنيتكم. فإذا كان وقت العشاء الأخيرة وقاموا وتوضؤوا وصلوا أخذ لهم براءة خامسة فيها مكتوب عبيدي في بيوتكم تطهرتم وإلى بيوتي فزعتم ومشيتم وفي ذكري خضتم ودعائي أجبتم وواجبي أديتم أشهدكم يا معشر الملائكة إني قد غفرت للمصلين فلا يبقى ملك إلا استغفر للمصلين [ص17] لأن الخمس الصلوات عظم الله بشأنهن من خمسة نساء فأول من صلى الصبح آدم عليه السلام وأول من صلى الظهر داوود عليه السلام والعصر سليمان عليه السلام والمغرب يعقوب عليه السلام والعشاء يونس عليه السلام صلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وعليهم أجمعين.

وسئل سفيان الثوري رضي الله عنه فقيل له كم لعن النبي صلى الله عليه وسلم والناس قال لعن تارك الصلاة في الجماعة والجمعة من غير عذر ولا حاجة ولعن تارك الصلاة على صحة البدن ولعن شارب الخمر وكاسبه وشاهده وشاريه ومشتريه ولعن الدم ومن أكله ولعن العاق لوالديه ولعن المرأة التي تشتم زوجها ولعن النائحة ولعن الرجل تتبع زوجته الفواحش ويقرها عليها ولعن من يجمع بين المرأة وزوجها ولعن من يفرق بين الحلالين ولعن من يمازح ويضحك في وجه أخيه عبثاً ولعن من يجلس في طريق المسلمين ولعن من يعمل نجاسة تحت شجرة مثمرة ولعن من يأكل أموال اليتامى ظلماً ولعن من يحكم بالرشوة ولعن من يسرق في الأرض شبراً فيزيده في أرضه ولعن من يضيق على أخيه المؤمن بنميمة. ولعن المكاسر لعناً شديداً ولعن من يبغض أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم أجمعين ولعن من يعمل عمل قوم لوط ولعن من ينسب إلى غير أبيه ولعن من يصور صورة التمثال

من الطيور أو الدواب ولعن نكاح البهائم ولعن من يخلط الذهب والفضة بالصفراء والثمر بالحشف والزرع بالتبن والتراب ثم يبيعه. ولعن من يحتكر الطعام ويتمنى به الغلاء ولعن زائرة القبور مجنية[41] ولعن الغني السارق ولعن العالم الفاسق فهؤلاء ملعونون ولولا أنهم ما استحقوا اللعنة ما لعنهم نبيهم صلى الله عليه وسلم.

قال لها أحسنت يا جارية فما مفروض الجمعة وما مسنونها قالت له نعم أما مفروض الجمعة فمعرفة اليوم ودخول الوقت والسعي إليها من ثلاثة أميال ونحوها والجامع والجماعة والإمام والخطبة وإنما ركعتان وأما مسنونها فالغسل عند الرواح والطيب والسواك والجلوس بين الخطبتين.

قال لها أحسنت يا جارية فما مفروض الزكاة وما أداؤها قالت له نعم فرائض الزكاة أربعة الجرية والنية والحول والنصاب ومعنى الزكاة الزيادة وإنما يقال زكى فلأن الشيء إذا زاد ما زكى فيه وهي مأخوذة من النمو وهي الزيادة تقول زكى [ص18] الشيء إذا بارك فيه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا تصدق العبد بصدقة طيبة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبها فإما وضعت في كف الرحمان فيزيدها له كما يزيد أحدكم فلوه أو فضيلة حتى تصير مثل الجبل وقيل إن المال المأخوذ منه يزكوا[42] وقيل إن صاحبه يزكوا .

ولها خمسة ألقاب زكاة ونفقة وصدقة وعفو وحق لقوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلوة وأتوا الزكوة ﴾[43] وقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف[44] وقالوا العفو هو الزكاة وقوله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكن فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾[45] وغير ذلك من الآيات مثل ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[46] وقوله ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾.[47]

41 «مجنبة» في النص.
42 كذا.
43 البقرة ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ .الحج ٧٨ . النور ٥٦ . النساء ٧٧ . الأنعام ٧٢ . المجادلة ١٣ . المزمل ٢٠ .
44 كذا بدل «المعروف».
45 التوبة ٣٤–٣٥.
46 التوبة ١٠٣.
47 الأعلى ١٤.

ومن السنّة قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وابتناء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام وقال أمرت أن أخذ الصدقة من أغنيائهم واردها على فقرائهم. ومما روي عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني آت من ربي فقال لا صلاة لمن لا زكاة له ولا زكاة لمن لا صلاة له ومانع الزكاة في النار قالها ثلاثاً والمتعدي فيها كمانعها ومانع الزكاة ماله وأما أداؤها بإخراجها من طيب المال وإخراجها بنفس طيبة ودفعها في الحين باليد اليمنى وسر وسترها عن رؤية الناس. وأما زكاة الفطر فضاع عن كل نفس مسلمة ومسلم مما يقتاتون منه فصاع النبي صلى الله عليه وسلم يجب إخراجها يوم العيد بعد الفجر تلزم من أزاد قبل الفجر ومن مات.

قال لها أحسنت يا جارية فما تجب فيه الزكاة قالت له نعم تجب الزكاة في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والمعز والقمح والشعير والسلت والدخن والذرة والفول والتمر والزبيب والزيتون والحبوب. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني كيف تجب الزكاة في هذا كله قالت له نعم أما زكاة الذهب فليس فيما دون العشرين زكاة فإذا كانت عشرون ففيها نصف دينار فما زاد فبحساب ذلك وأما الورق فليس فيما دون المائة درهم زكاة فإذا كانت مائة درهم فزكاتها خمسة دراهم فما زاد فبحساب ذلك.

وأما زكاة الإبل فليس فيما دون الخمسة زكاة فإذا كانت الخمسة فزكاتها [ص19] بشاة جزعة أو ثنية من الغنم إلى عشرين ففيها أربع شياه من الغنم ثم يعفي خمس وعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين ثم في ست وثلاثين بنت لبون إلى خمس وأربعين ثم بست وأربعين حقة وهي التي يصلح على ظهرها الحمل ويطرقها الفحل إلى ستين ثم في إحدى وستين جزعة إلى خمس وسبعين ثم في ست وسبعين بنتاً لبون إلى تسعين ثم في إحدى وتسعين حقتان إلى عشرين ومائة فما زاد على ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون.

وأما البقر فإذا لم تبلغ ثلاثين فلا زكاة فيه فإذا بلغت ثلاثين ففيها تبيع ابن سنتين ثم كذلك حتى تبلغ أربعين ففيها مسنة وهي اثنى فما زاد ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع. وأما الغنم فليس فيها دون الأربعين زكاة فإن كملت أربعين ففيها شاة إلى عشرين ومائة فإن كانت إحدى وعشرين ومائة ففيها شاتان إلى مائتان فإن زادت واحدة ففيها ثلاثة شياه من الغنم ففي كل مائة شاة وما زاد فبحساب ذلك. وأما الحبوب فإنه من

رفع خمسة أوسق من الطعام فالزكاة عليه ومن لم يبلغ ذلك فلا زكاة عليه والوسق ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ما لا تجب فيه الزكاة قالت له نعم لا تجب الزكاة في الخيل والبغال والحمير والحلى والعسل والعبير والزعفران والعصفور والكتان والقطن والحرير والتين والبقول والفواكه والمغاث[48] والجوهر والعنبر وحلية السيف جميع هذا كله لا زكاة فيه. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ما يزكى من الحلى قالت له نعم السرج واللجام والمهاميز والأواني من الذهب والفضة تجب الزكاة في الجميع لأنه من السرف والسرف إثم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن مفروض الصيام ومسنونه قالت له نعم أما المفروض في الصوم فبالبلوغ والعقل ورؤية الهلال والنية مع التبييت أول ليلة ومراعات[49] الطرفين وأن يكون المرء صحيحاً لا مريضاً وأن يكون مقيماً لا مسافراً وأن تكون المرأة طاهرة لا حائضاً ولا يأكل ولا يشرب ولا يجامع نهاراً. وأما مسنونة ثلاثة تعجيل الفطر ولو جرعة ماء وتأخير السحور وترك المبالغة في الاستنشاق للصائم والصائم [ص20] معناه الوقوف عن الطعام والاستسقاء بعد الأكل. قال الشاعر...[50]

خيل صيامٍ وخيل غير صائمة ❊ تحت العجاج وأخرى تمسك اللجام

يعني خيلاً جارية وخيلا غير جارية وهو فرض وكفارة لما سلف من الذنوب قال الله العظيم ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾[51]. وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام ﴾.[52]

---

48 «المقات» في المخطوط.

49 كذا عوض «مراعاة».

50 جملة غير مقروءة.

51 البقرة ١٨٥.

52 البقرة ١٨٣.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان وصامه[53] إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. وأما فضائله فهي ثلاثة الفطر على التمر فإن لم يجد فالماء وكثرة تلاوة القرآن في أيامه ولياليه والإكثار من السواد الذي ليس له طعم ويفسد الصوم ثلاثة أنواع الأول لا يكون إلا عن قصد واختيار وهو الارتداد وقطع النية عامداً. الثاني أن يكون عن قصد لا عن اختيار وهو الحيض والنفاس والإغماء والجنون. الثالث يتصور عن قصد وعن سهو وهو الأكل والشراب والجماع ولا يفسد الصوم احتلام ولا حجامة ولا ذرع قيء ولا صيام على جنابة من اليل[54] ولا سواد ولا قطع دم حيض ولا نفاس مع نية الصوم قبل الفجر ولا كل ما يغلب كغيار الدقيق والتراب وما أشبه ذلك وتكره الحجامة في رمضان.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن فرائض الحج قالت له نعم أما مفروض الحج فخمسة النية والإحرام والوقوف بطرفة ليلا قبل طلوع الفجر يوم النحر وطواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة. قال الله العظيم وإن ﴿على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[55]. وقال صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وسننه ستة عشر سنة إفراد الحج والإحرام من ميقات المكان والتجريد من مخيط الثياب والأخفاف للرجال وكشف الرأس والوجه للرجال والتلبية وطواف القدوم والمبيت بمنى ليلة عرفة ورمي الجمار بسبعين حصاة لمن لم يتعجل وبتسع وأربعين لمن تعجل في النفر الأول والحلاق والتقصير وركعتا الطواف والركوع في الإحرام والمبيت بمنى ليلة الرمي والجمع بعرفة والمزدلفة وأن لا يؤخر رمي الجمار عن أوقاتها والوقوف بالمشعر الحرام.

وفضائله إحدى وعشرون الإحرام في شهر الحج ولبس البياض في الإحرام والغسل للإحرام والغسل للوقوف بعرفة وطواف الإفاضة والإكثار من التلبية عند الطواف حتى يتم سعيه والرمي في ثلاثة أشواط من أول طواف القدوم والمشي في بقيته والرمي بين العمودين في السعي والإسراع في وادي مجمر عند انصرافهم من النحر بين المشعر الحرام وطواف الوداع والصلاة بالمخصب[56] بعد النفر عند رجوعهم إلى مكة وتأخير النفر لها [ص21] في

53 «وقامه» في الأصل.

54 تكتب دائما هذه الكلمة هكذا.

55 آل عمران ٩٧.

56 كلمة غير مفهومة.

آخر أيام التشريف والتطوع بالهدى والوقوف بعرفة دون جبلة وأن يبدأ من جمرة العقبة ثم ينحر ويحلف ويقصر وسنة النساء التقصير وأن تدخل مكة من كدى وتخرج من كدى.

وللحج مواقيت والميقات ميقات زمان وميقات مكان فميقات زمان بشوال وذو القعدة وذو الحجة قيل كله وقيل العشر منه وميقات المكان خمسة مواضع مقسومة على جهة الحرم وهي ذو الحليفة لأهل المدينة والجفة لأهل الشام ومصر والمغرب ويلملم لأهل اليمن وقرب لأهل نجد وذات عرق لأهل العراق. ومن أتى الميقات يريد الحج والعمرة فلا يجاوزه إلا محرماً ومن جاوز الميقات يريد حاجة له دون مكة وعزمٍ على الحرام فليحرم من مكانه ولا دم عليه. ومن أراد الإحرام من ذي الميقات وجاوزه حلالاً فليرجع إلى الميقات بعد إحرامه لم يسقط الدم عنه وشروط الحج شهيرة.

قال لها أحسنت يا جارية فما فروض الاعتكاف قالت له نعم الاعتكاف معناه الملازمة وهو من نوافل الخير اعتكف الرسول عليه السلام وأزواجه والمسلمون وله شروط أربعة النية والصوم والمسجد واللبث فيه إلى انقضاء الاعتكاف. ويجب بأحد وجهين إما بالنذر أو بالنية مع الدخول فيه وأدناه يوم وليلة ويستحب أن لا ينقص عن عشرة أيام وأن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس من ليلة اعتكافه وأن يمكث إلى أن تغرب الشمس في آخر يوم منه. فإن اتصل اعتكافه بليلة الفطر فالاختيار مبيته في المسجد حتى يغدو منه إلى المصلى وأفضل الشهور للاعتكاف شهر رمضان وأفضل أيامه العشر الأواخر منه. ولا يجوز للمعتكف أن يخرج من معتكفه إلا لأربعة أشياء أحدها حاجة الإنسان من الحدث والثاني حدوث حيض أو نفاس والثالث مرض مانع والرابع شراء قوته إن لم يجد من ينوب عنه ولا يخرج لغير ذالك ما لم تدع ضرورة فينقطع لعز ربنا على ما تقدم وإن قطعه لغير عذر استأنف. وتبطله ستة أشياء عدم النية والخروج لغير ضرورة والوطء وما في معناه والفطر عامداً وركوب شيء من الكبائر.

قال لها أحسنت يا جارية فما مفروض الجهاد قالت له نعم الجهاد فرض على الكفاية يحمله من قام به إلا أن يكون ضرورة مثل أن ينزل العدو ببلد من بلاد المسلمين فيجب على الجميع إعاقتهم وطاعة الإمام في النفر إليهم ولا تجوز المهادنة إلا لعذر وينبغي أن لا يقاتل الكفار حتى يدعوا إلى دين الله إلا أن يعاجلونا. فإما أن يسلموا أو يودوا الجزية حيث تنالهم أحكامنا وإلا قوتلوا ويجاهد العدو مع كل بر وفاجر. وللمجاهد شرائط وجوب وشروط

صحة فشرائط وجوب ستة وهي الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والاستطاعة بصحة البدن وما يحتاج إليه من المال. وأما شروط في صحة الجهاد فهي النية وله فرائض يجب الوفاء بها بالأمان والثبات عند الزحف وأن لا يقر بواحد من اثنين ومسنونه التحريض والمناشدة والمسافرة. وله فضائل لا تعد ولا تحصى [ص22] والجهاد به[57] النبي صلى الله عليه وسلم قال الله العظيم وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون وقال الله تعلى فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما. وقال النبي صلى الله عليه وسلم جميع أعمال البر في الجهاد كبزقة في بحر وجميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم كبزقة في بحر.

وقال صلى الله عليه وسلم لَغدوةٌ أو روحة في سبيل الله أفضل من الأرض ومن عليها وموقف الرجل في الصف أفضل من عبادة ستين سنة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الأعمال الصلاة في وقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال من أعطا فرساً في سبيل الله كان له كأجر من جاهد في سبيل الله بنفسه وماله ومن أعطى سيفه في سبيل الله جاء يوم القيامة وله لسان ينادي أنا سيف فلان لم أزل أجاهد له إلى يوم القيامة. ومن رمى بسهم في سبيل الله ادخره الله له ويرميه له حتى يأتي يوم القيامة وهو أعظم من جبل أحد ومن أعطا ثوباً في سبيل الله جعله الله له جنة من النار ومن طعن طعنة في سبيل الله جعلها الله بين يديه يوم القيامة رياحاً منها كريح المسك تجده الخلائق. ومن سقا أخاه في سبيل الله سقاه الله من الرحيق يوم القيامة ومن زار أخاه في سبيل الله كتب الله له بكل خطوة حسنة وحط عنه مثل ذالك من السيئات ومن حرس في سبيل ليلة واحدة أمنه الله من فزع يوم القيامة.

ومن كبر تكبيرة في سبيل الله كانت له صخرة في ميزانه أثقل من السموات والأرض وما فيهما ومن قال في سبيل الله لا إله إلا الله والله أكبر رفع بها صوته كتب الله له رضوانه الأكبر وجمع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة تجري عليهم أجرهم بعد الموت من مات مرابطاً في سبيل الله ومن علم علماً أجره ومن تصدق بصدقة أجراً له أجرها ما جرت ورجل

57 كلمة غير مقروءة بسبب البلل الذي أصاب الورق.

ترك ولداً صالحاً يدعوا له بعد موته. وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم السيوف مفاتح الجنة فإذا التقا الصفان في سبيل الله تزينت الحور العين وأطلعن فإذا قاتل الرجل قلن اللهم ثبته اللهم أعنه وإذا أدبر احتجبن وقلن اللهم اغفر له فإذا قتل غفر الله له بأول قطرة تخرج من دمه كل ذنب ذنبه وتنزل عليه اثنتان من حور العين يمسحان الغبار عن وجهه.

وروي أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله أنا كما ترى ذميم الخلقة منتن الرائحة غير زاكي الحسب فإن أنا قاتلت في سبيل الله حتى أقتل قال أنت في الجنة فاسلم ثم قال إن عندي غنماً فما أصنع بها وقال وجهها ففعل ذلك ثم التحم القتال فاقتتلوا فلما تحاجز القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقدوا إخوانكم ففعلوا قالوا يا رسول الله ذالك الحبشي في واد كدام فقام النبي صلى الله عليه وسلم [ص23] معهم فلما أشرف عليه قال اليوم أحسن الله وجهك وطيب رائحتك وزكى حسبتك. ثم أعرض عنه فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيناك أعرضت فقال لهم والذي نفسي بيده لقد رأيت أزواجه من الحور العين ابتدرن حتى بدت خلاخيلهن فهذا فضل الجهاد.

قال لها أحسنتِ يا جارية فما مفروض البيع وما مسنونه قالت له نعم أما مفروض البيع ونشر السلعة وتعريف العيوب وترك الربا وخيار السلع والخيار بعد التفرق وحقيقة البيع نقل الملك بعوض والبيوع ثلاثة أضراب بيوع جائزة وبيوع ممنوعة وبيوع مكروهة. فالبيع الجائز فيما يصح تملكه ولم يقترن مانع من الشرع والبيوع الممنوعة على خمسة أقسام أحدها بيع ما لا يصح ملكه كالخمر والخنزير والميتة والنجاسة وما لا منفعة فيه كخشاش الأرض والثاني بيع ما لا يجوز عقده كالصغير والمجنون والمغصوب وأمثالهم والثالث بيع الغرر وما تعلق به والرابع الربا وما ضارعه والخامس بيع يحرم عقده لوقت بعينه كالبيع يوم الجمعة ووقت جلوس الإمام على المنبر إلى انقضاء الصلاة.

والبيع ينقسم على أربعة أقسام بيع مكايسة[58] وهو أن يكايس[59] كل واحد من المتبايعين صاحبه ويثق بمعرفة نفسه ولا يسأل المبتاع البائع عن مبلغ الثمن ليربحه والثاني بيع من أيده وهو أن يجعل السلعة في السوق وينادي عليها فما وقفت عليه بآخر زيادة لزمه البيع

58 «المكابسة» في الأصل.

59 «يكابس» في المخطوط.

وليس له تخلص منها إلا أن يطول الزمان من وقت النداء عليها ويفترقا من المجلس فلا يلزمه. والثالث بيع الاسترسال وهو أن يرسل البائع والمبتاع ما بيده من المكايسة والاجتهاد لنفسه فهذا إن كان فيه غبن فللمغبون القيام بائعاً كان أو مبتاعاً والرابع بيع المرابحة وهو أن يخبر البائع المبتاع برأس ثمنه ويتفقا بعد ذالك على ربح ما فضل.

وإذا أردت أن تشتري شيئاً من السوق مما يوكل أو يشرب ويقول صاحبه أعرضه وهو حلال لك فلا تعمل في فمك شيئاً منه حتى تشتريه وتعرضه فإن لم يعجبك فرده إليك وإذا اشتريت شيئاً مما يكال أو يوزن فأعطه الدرهم قبل أن يوزن فإن قال لك فيه كذا وكذا فلا تقيضه حتى يوزن. وإن اشتريت شيئاً مما لا يكال ولا يوزن فلا تعطه الدرهم حتى يقيضه لك فإن أعجبك فأعطه حقه وإن لم يعجبك فلا تعطي ورده وإياك والمكايسة[60] بعدما صح البيع. وإذا أردت أن تشتري سلعة وأنت تعرف صاحبها ليس بتاجر فلا تغشه فإن علمت أنها تسوى أكثر مما طلب عندك فأعلمه فإن ذالك من مروءة الإسلام واستكمال الخير والدين لأنه لا مروءة لمن لا دين له والنصيحة من الإسلام. وإن اشتريت سلعة وأردت بيعها فأحبها الذي باعها لك فأقله يقل الله عثرتك يوم القيامة ولا بأس أن تسأله عن ثمن السلعة فقد فعل ذالك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قبل أن يوجد البيع.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في ما لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت له نعم وذالك أنه أتى في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن عمر رضي الله عنه أن [ص24] رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع التين الرطب باليابس والجبن الرطب باليابس والزبد بالسمن والقديد باللحم والزيت بالزيتون والقمح المبلول باليابس. ولا يجوز صنف واحد مبلول بيابس ولا يجوز فيه إلا يداً يد ولا يجوز بوزن ولا يجوز من صنف واحد اثنان بواحد لا يداً بيد ولا بأجل إلا ما كان من البطيخ والأترنج[61] والموز وما يشبهه فقد أجاز ذالك. والقمح والشعير والسلت صنف واحد لا يباع بعضه ببعض إلا مثلاً بمثل يداً يد ولا يقبض طعام في ثمن طعام. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني فيما يصح السَلَم** قالت له نعم بالثمن المعلوم والكيل المعلوم والجنس المعلوم إلى أجل معلوم والسلم في الذمة جائز في كل ما تحصره الصفة ويضبطه النعت.

60 «المكابس» في الأصل.

61 كذا بدل «أترج».

وجوازه خمسة شروط متى انخرم شرط منها فسد أحدها أن يكون مضموناً فيما يجوز ملكه وبيعه والثاني أن يكون محصوراً بصفة لا يتعذر وجودها الثالث أن يكون معلوم القدر بكيل أو وزن أو عدد الرابع أن يكون مؤجلاً إلى أجل معلوم الخامس أن يكون رأس المال نقداً ولا يتأخر بشرط فوق ثلاثة أيام. واختلف في تحديد أقل أجل السلم والاختيار قدر ما تتغير الأسواق في مثله كخمسة عشر يوماً إلا أن يسلم في بلد ويأخذ في بلد آخر فيجوز إن كان مسافة يومين أو ثلاثة وأما أكثره فما لم ينته من القدر لطوله. ولا يجوز السلم فيما لا يجوز بيعه كالخنزير وتراب الصاغة وأنواع النجاسات ولا يجوز في شيء من العقار والأموال والدور والأرضين ولا ما ينقل ولا في طعام قرية بعينها أو ثمرة بستان بعينه إذا كان مما لا يؤمن أن يخلف. ويجوز السلم إلى الحصاد والجراد[62] وقدوم الحاج وإن عين للعاقدان[63] موضعا للاقتضاء كان أتم وإن اطلقا قضى بالعرف في قبض أهل ذالك الموضع مما يسلمون فيه من ذالك الجنس.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني ما فروض النكاح قالت له نعم أما فروض النكاح فالولي والشاهدان والمهر ويقول الولي زوجتها فلانة ويقول الزوج قبلت النكاح وأما مسنونه فالإظهار والدق والوليمة والنكاح يختلف باختلاف الأحوال فيجب في حق من يخشى العنة ولا يستطيع الصبر ويستحب في حق من يستطيع الصبر وله شهوة في النساء ويكون مكروهاً في حق من لا يشتهيه وينقطع به عن عبادته. ولا يستباح الفروج في الشرع إلا بوجهين عقد لنكاح أو ملك يمين والنساء الحرائر في النكاح على قسمين أبكار وثيبات فأما الأبكار الأصاغير[64] غير ولا يزوجهن أحد من الأولياء سوى الآباء وأما الأبكار البوالغ فللآباء إجبارهن على النكاح. ويستحب استيزاجهن.

واختلف المذهب في العانسة هل يرفع الإجبار عنها أم لا وأما الثيب من البوالغ فلا تنكح إلا بإذنها وليس لأب ولا غيره إجبارها وأما الثيب غير البوالغ فإن الأب يجبرها على النكاح في مشهود المذهب. والمستأذنة في النكاح على قسمين أبكاراً أو ثيبات فإذن الأبكار يكون بالصمت ويجوز بالقول وإذن الثيب لا يكون إلا بالقول ونكاح حرائر أهل

62 كذا.

63 كذا.

64 كذا بدل «الأصاغر».

الكتاب جائز. والنكاح بشروط صحة وشروط كمال فشروط الصحة أربعة إسلام الزوجة وأن تعارى الزوجة من صفة التحريم.

والولي والصداق وشروط الكمال الإشهاد وتسمية الصداق مستحب في عقد النكاح لا يجوز [ص25] التراضي على مقاطع ولا حدة كثرة وليلة بحدود وهو ربع دينار من[65] أو[66] أو ثلاثة دراهم من الورق أو ما يساوي أحدهما. ولا يجوز أن يكون صداقاً ولا يجوز ملكه أو بيعه ونكاح التفويض جائز وهو نكاح دون تسمية صداق والإشهاد من شروط كمال النكاح يوم به على الدخول. ويستحب إعلان النكاح وإشهاده ويوجب على من دعى إلى الوليمة ان يجيب. وموجبات الخيار في النكاح أربعة أشياء العيوب والإعسار بالصداق وبالنفقة وعتق الأمة تحت زوجها المملوك وفقد الزوج. والعيوب التي توجب الخيار وهي أربعة الجنون والجذام والبرص وداء الفرج يختص الرجل من داء الفرج بالخصاء والجب والعنة والاعتراض وتختص المرأة من ذالك بالقرب والرتق والعقل وبخر الفرج ويشتركان في الجنون والجذام والبرص فما وجد من ذالك بأحد الزوجين ثبت الخيار للصحيح منهما.

وتفسير ذالك أنه إذا وجد بالمرأة كان الزوج مخيراً إذا علم قبل الدخول بين البيناء ودفع المهر أو الفراق وسقوط المهر وإن لم يعلم إلا بعد الدخول فإن كان وليها الذي عقد عليها ممن يظهر به العلم بالعيب لقربه كالأب والأخ فهو الغار ويرجع عليه الزوج بالمهر ولا يرجع على المرأة بشيء وإن كان ولياً بعيداً أو كانت هي الغارة استرد الزوج منها المهر كله إلا ربع دينار فقط. وحكم المرأة في الخيار إذا وجدت ذالك بالرجل كحكم الرجل إذا وجد ذالك بالمرأة وهذا كله إذا كانت العيوب موجودة في حال العقد فإن حدثت بعد العقد وعلم بها قبل الدخول فإن كانت بالمرأة فلا راد للزوج وله ان يدخل ويلزمه جميع المهر أو يفارق ويلزمه نصفه وإن كان ذالك بالرجل فالمرأة بالخيار فإن اختارت الفراق فلا شيء لها وإذا حدث بعد الدخول فخيار المرأة باق وقد استحقت مهرها بالدخول ولا ترد المرأة بعيب سوى هذه العيوب الأربعة إلا أن يشترط السلامة فيكون له الرد. وأما المعترض فيؤجل سنة لمعانة دوائه من يوم رفعه فإن وطأوا لا فرق بينهما إن شاءت.

---

65 كلمة غير مقروءة.

66 كلمة غير مقروءة.

قال لها أحسنت يا جارية فما مفروض العدة قالت له نعم الطلاق وانقضاء المدة والعدة مشروعة لبراءة الأرحام وحفظ الأنساب وهي على قسمين عدة وفات وعدة طلاق فإن كانت المرأة حاملاً فعدتها وضع حملها في الطلاق والوفاة وإن لم تكن حاملاً فها هنا تفترق عدة الوفاة وعدة الطلاق. فأما عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام وتستوي في ذالك الكبيرة والصغيرة والمدخول بها وغير المدخول بها ما لم ترتب المدخول بها فعدتها ثلاثة أقراء إن كانت من ذوات الحيض وثلاثة أشهر إن كانت ممن يئس من الحيض من صغر أو كبر والعدة معبودة بالنساء فتكمل في الحرائر وتنقص أكثرها في الإماء على ما ذكر فعدة الأمة من الوفاة شهران وخمس ليالي وعدتها في الطلاق قرءان إن كانت ممن تحيض فإن كانت يائسة أو لم تحض لصغرها فعدتها ثلاثة أشهر كالحرة سواء. وتستوي معها في وضع الحمل [ص26] جميع المعتدات سواء كان الزوج في جميع ذالك كله حراً أو عبداً وأما أم الولد فعدتها من الوقات[67] حيصة وإن كانت ممن لم تحض فثلاثة أشهر.

قال لها أحسنت يا جارية فما مفروض الشفعة قالت له نعم الشريكة و[68] الملك والمطالبة وفي الشفعة[69] ثمانية مسائل فالشفيع والمشفوع وكيفية قسمته الشفيع بين الشركاء إذا تشاحوا فيها وما يسقطها في الشفيع وهو كل شريك بالملك فلا شفعة للجاران كان ملاصقاً والمسألة الثانية المشفوع منه وهو كل تجريد ملكه على الشقص بمعاوضة أو غيرها من العقود اللازمة على اختلاف في بعضها. والمسألة الثالثة فالمشفوع فيه ووجوب الشفعة مقصور على المشاع من الرباع والأصول دون العروش والحيوان قائماً ما ينقسم من العقار في الشفعة واجبة فيه باتفاق. وأما ما لا ينقسم منه ففيه روايتان إثبات الشفعة ونفيها وكذالك الاختلاف فيما يتعلق بالأصول ويتشبث بها كالثمار إذا بيع منفر ونحو ذالك.

وأما ما يتصل بالعقار كالطريق وإليه وفحل النخل وذالك تابع لأصله فلا شفعة فيه إن كان الأصل مقسوماً وإن كان مشاعاً فتجب فيه الشفعة. والمسألة الرابعة في عهدة الشفيع وعهدته على المشتري لا على البائع ولا تسقط إلا قليلة الشفعة. والمسألة الخامسة وهي فيما تجب فيه الشفعة من العقود وانتقال الملك في العقار يكون بوجهين بمعاوضة وبغير

---

67 كلمة غير مقروءة تماما ولعلها «مدتها».

68 كلمة غير مقروءة.

69 أضيفت هنا «في» خطأ.

معاوضة وهو على وجهين وجه يقع اختياراً ووجه لا يقع اختياراً فالاختيار كالهبة والصدقة وغير الاختيار كالميراث فلا شفعة فيه. وأما الهبة والصدقة ففيهما روايتان إثبات الشفعة وإسقاطها. والمسألة السادسة وهي ما يبدله الشفيع للمشفوع عليه وذالك لا يخلوا من وجهين إما أن يكون من ذوات الأمثال أو من ذوات القيم فذوات الأمثال الدنانير والدراهم والمكيلة والمعدودات وسائر الموزونات وذوات القيم ما عدى ذالك من سائر الأشياء فماله مثل قضي في الشفعة بمثله وما لم يكن له مثل قضي بقيمته يوم العقد لا يوم الشفعة وكذالك يقضي بقيمة الشقص إن كان مأخوذاً في نكاح أو خلق أو دم عمد وما أشبه ذالك.

وإن كان مأخوذاً في ما هو محدود بالشرع أخذ بذالك القدر مثل أن يدفع الشقص في موضحة أو منقلة فإنه يأخذ بقدر الموضحة والمنقلة وإذا كان ثمن الشقص مؤجلاً فعلى الشفيع إعطاء ضامن ملبي إن لم يبينه المشتري. والمسألة السابعة في قسمة الشفعة بين الشركاء والشفعة مورثة كسائر الحقوق وتقسم بين الشركاء بقدر القصص دون عدد الرؤوس وأما أهل المواريث فبقيمة أهل السهام أحق من شركتهم كإخوة الأم وورثوا الثلث مع غيرهم فباع أحدهم فبقيت الإخوة أحق بالشفعة من غيرهم وليس للشفيع تبعيض الشفعة إلا بموافقة المبتاع. والمسألة الثامنة فيما تسقط به شفعة الشافع وتسقط بالترك أو بما يدل على الترك وهو أن يبني الشفيع مع المشتري في الشيء الذي وجبت فيه الشفعة ونحو ذالك أو يأتي من طول المدة ما يعلم معه أنه تارك واختلف في تحديد ذالك أو يأتي من طول المدة ما يعلم معه أنه تارك واختلف في تحديد ذالك وبالسنة جرى العمل والغائب [ص27] على شفيع وإذا أحدث السنة في الشقص بناء وغرساً فعلى الشفيع قيمة ذالك فإما يوم الأخذ.

قال لها أحسنت يا جارية فما مفروض القطع في السرقة قالت له نعم ربع دينار فصاعداً أو إخراجه من الحرز والدفع إلى الأمام والإقرار على ذالك والسرقة أخذ المال على نية الاستسراق وشروع القطع صيانة للمال وهو أن ينظر في جنس المسروق وقدره وموضعه وسارقه وصفة السرقة. فلا يجب القطع في أقل من ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم من الورق أو عرض يساوي ذالك ولا تقوم العروض في السرقة إلا بالدراهم وتعتبر القيمة يوم السرقة لا يوم القطع. وأما موضع السرقة في الحرز معتبر فيها فكل ما كان حرزاً فالعادة وقصداً إلى التحرز به فيه فيجب القطع فيه ولا قطع فيما سرق من قنديل المسجد وفراشه وأسبابها وفرق أصحابنا بين اليل والنهار فيوجب القطع فيما سرق منها ليلاً إذا علقت.

وأما السارق فيعتبر فيه البلوغ والعقل وأن يكون ملكاً للمسروق منه وأن لا تكون له شبهة في المال كالأب ومن في معناه ويقطع الذكور والإناث الأحرار والعبيد المسلمون والكفار وإن سرق جماعة ما تعاونوا على إخراجه من الحرز لثقله قطعوا كلهم وإن لم تكن قيمته إلا ثلاثة دراهم. وأما صفة السرقة فأن يخرج الشيء من الحرز وهو يومئذ قدر نصاب ويثبت الحد في السرقة بوجهين أحدهما إقرار السارق والثاني قيام شاهدي عدل من الرجال فإذا ردع المقر عن إقراره فإن رجع إلى شبهة قبل رجوعه وسقط الحد عنه ولزمه الغرم وإن رجع إلى غير شبهة ففيه قولان أحدهما سقوط الحد عنه والآخر لزومه له. فإذا سرق ووجب القطع فطعت يده اليمنى من الكوع ثم إن سرق قطعت رجله اليسرى من الكعب ثم إن سرق قطعت يده اليسرى من الكوع ثم إن سرق قطعت رجله اليسرى من الكعب ثم إن سرق بعد ذالك ضرب وحبس السارق إن قطعت يده وقد استهلك السرقة. فإذا وجد الشيء المسروق بيد السارق رد إلى صاحبه وإن تلف عند سارقه وأقيم عليه الحد غرمه إن كان موسراً.

قال لها أحسنت يا جارية فما المفروض في أكل الطعام قالت له نعم أما المفروض في أكل الطعام فالتسمية والغسل والمعرفة والشكر وأما مسنونه فغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر والأكل بثلاثة أصابع والأكل مما يليك وتصغير اللقمة والمضغ الشديد وقلة النظر إلى جلسائك. ومن السنة في الأكل والشراب تسمية الله عز وجل عند ابتدائه وحمده عند فراغه وإذا أكل مع غيره كل ما يليه وهذا إذا اكل الطعام صنفاً واحداً كاللحم والثريد وشبه ذالك وإذا كان أصنافاً مختلفة كأنواع في طبق واحد مما تختلف أغراض الناس الآكلين فيه فلا باس للرجل أن يتناول ما بين يدي غيره. ويستحب للرجل أن لا ينهم في الأكل فإن ذالك مما يضر به لأن كثرة الأكل تتولد منه آفات كثيرة لحديث عائشة رضي الله عنها قالت أول ما يحدث في هذه الامة بعد ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الأكل.

فإذا شيعوا سمنت أبدانهم وهاجت شهواتهم وكثرت آفاتهم وهي خمسون [ص28] آفة أولها عفونة القلب ومرض الجسد وذهاب البهاء ونسيان الرب واتباع الشيطان وزوال الدين وضعف اليقين ونسيان العلم ونقصان العقل وعداوة الحكمة ونقصان السخاء وزيادة البخل وركوب المعاصي وكثرة الفضول وحب الدنيا وقلة الخوف وكثرة الضحك وحب العيش ونسيان الموت وهدم العبادة وقلة الإخلاص وذهاب الحياء وإطالة النوم وكثرة الغفلة والشغل بالعيال وحرمان الأعمال وذهاب حلاوة الإيمان من القلب وإجابة الشيطان ومعصية

الرحمان والعمى يوم الحساب والتقرب من النيران والبعد من الجنان والكبر والحسد وقلة الشكر إلى الدنيا وكثرة السكون وكثرة العجب وفناء العمر وكثرة المجامعة.

فلهذا يجب على الإنسان أن يجعل بطنه ثلثاً للطعام وثلثاً للماء وثلثاً للنفس وأن لا يأكل متكئاً وأن يغسل يده وفمه من الدسم عند الفراغ من الأكل ولا يجوز الأكل والشرب في أوان الفضة والذهب واستعمالها في غير ذالك لقوله صلى الله عليه وسلم الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يخرج في بطنه نار جهنم. ولا فرق بين الأكل والشرب في ذالك المعنى فيه واحد وهو من التشبه بالأعجام المتكبرين فيكره ذالك.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبرين عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق قالت له نعم قال الله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وقال تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يقضي الله تعالى يوم القيامة بين المسلمين في الدماء وليس بعد الشرك بالله تعالى أعظم من قتل النفس المسلمة. وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا بجميع ما فيها أهون علي من قتل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لو اجتمعت أهل السموات وأهل الأرض على قتل مسلم ورضوا بقتله لأدخلهم الله نار جهنم أجمعين.

وحكم الشرع في قتل القصاص والقصاص على قسمين قصاص في النفس وقصاص فيما دون النفس فأما القصاص في النفس فيشترط في وجوبه أربعة أشياء أحدها أن يكون القتل عمداً محضاً لا شبهة والثالث أن يكون القتل على معلوم الحيات دون شك فيها والرابع أن لا يكون المقتول ناقصاً عن قرينه القاتل بعدم حرية أو إسلام. فيقتل الحر بالحر والعبد بالعبد والكافر بالكافر ولا يقتل مسلم بكافر ويقتل به الكافر ولا حر بعبد ويقتل به العبد ودم المرأة مساو لدم الرجل ولا تفاضلاً في الرقاب. ويجب القِصاص بين المرأة والرجل في النفس وفيما دونها وإذا سقط القتل تساوى في الدماء بين القاتل والمقتول لم يسقط القصاص بزواله كالكافرين يقتل أحدهما الآخر ثم يسلم وكالعبدين يعتق أحدهما بعد أن يقتل أخاه فلا يرتفع القصاص بذالك. ولا يؤثر التفاوت في العدد بل تقتل الجماعة بالواحد والواحد بالجماعة إلا أن يكون القتل بقسامة فلا يقتل بها أكثر من واحد.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الحد في الزنا قالت له نعم قال الله العظيم ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة [ص29] ومقتاً[70] وساء سبيلاً﴾[71]. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو علق ثوب الزاني بالمشرق لحترقت[72] منه أهل المغرب ولو علق بالمغرب لحترقت[73] منه أهل المشرق. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في المزاني ستة خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب بور وجهه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما التي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب ودخول النار. وهو فاحشة موجبة للحد والوجوب فيه الشروط الثلاثة العقل والبلوغ والإسلام والحدود التي أوجبها الشرع في ذالك صنفان جلد ورجم ويضاف إلى الجلد نوع آخر وهو التغريب.

وتختلف الحدود بالزنا باختلاف أحوال المحدودين فيه وهم منقسمون إلى ثيب وأبكار وأحرار وعبيد ذكور وإناث فأما الثيب هو المحصن والبكر ليس بمحصن. فلا يجب أحد الرجم إلا مع الإحصان وتعتبر فيه ثلاثة أوصاف منها شرط فليس بمحصن فإذا أزنى الرجل والمرأة وهما محصنان فحدهما أن يرجما حتى يموتا ولا يجلدان مع الرجم وليس من شروط الإحصان اجتماعهما مع الطرفين في الصبية المرهوقة غير البالغ. والأمة كل واحدة منهن تحصن وطيئها بالزوجية وكذالك الكتابية تحصن المسلم ولا يحصن الزواج واحدة منهن. وأما البكر فإن كان حراً فحده مائة جلدة ذكراً كان أو أنثى فإن كان ذكراً غرب مع الجلد إلى بلد غير بلده واعتقاله فيها عاماً ولا تغرب على امرأة أو عبد.

والرقيق على نصف من حد الحر فليس على العبيد في الزنا رجم وحد العبد والمرأة إذا زنى أحدهما جلد خمسين بكراً كان أو ثيباً. وحد الزنا ثلاثة أشياء إقرار أو بينة أو ظهور حمل فمن أقر بالزنا وقام على إقراره لزمه الحد ويكفي من الإقرار مرة واحدة. فإن رجع عن إقراره إلى الشبهة قيل سقط عنه الحد وإن كذب على نفسه في ذالك روايتان أحدهما سقوط الحد والآخر إثباته. وأما الشهادة فالمشترط فيها أربعة رجال عدول ولا تتخالف شهادتهم في زمان ولا مكان فتكون متفقة في مجلس واحد في وقت واحد على معاينة الفعل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة فإن اقترنت الشهادة في مجالس قد يلزمهم الحد. وأما

70 أضيفت هذه الكلمة خطأ.

71 الإسراء ٣٢.

72 كذا والصواب «لاحترقت».

73 نفس الملاحظة.

ظهور الحمل فإن ظهر بحرة ولا يعلم لها زوج وهي مقيمة غير غريبة فإنها تحد إلا أن تقوم بينة على أنها تزوجت أو استكرهت أو تظهر إمارة الاستكراه مثل أن تكون بكراً فتعظم نفسها بإثر الاستكراه وكذالك الأمة إذا ظهر بها حمل وليس لها زوج وسيدها منكور وطئه لها فالحد يجب عليها. ومن وطأ أمة له فيها شريك فلا حد عليها وإن ولدت الحق به الولد وقومت عليه وكذالك من وطأ جارية ولده فالحد ساقط عنه وتقوم عليه ومن لاوَطَ وجب عليه وعلى المفعول به الرجم أحصنا أو لم يحصنا ولا يثبت لما يثبت بين الزنا وللسيد أن يقيم حد الزنا على عبده وعلى أمته إن لم يكن للأمة زوج أو كان زوجها عبداً له فإن كان زوجها أجنبياً فليس للسيد حدها.

قال لها أحسنت يا [ص30] جارية فأخبريني عن فرائض فضائل العلم وفضائل أهل العلم قالت له نعم اعلم أنه لا شيء في الدنيا يعادل طلبه. قال النبي صلى الله عليه وسلم جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم كبزقة في بحر أنظر إلى الملائكة قد أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام لفضل علمه حين قال لهم ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾[74]. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم أمرهم الله تعالى بالسجود له لفضل علمه. قال الله عز وجل ﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمنه من لدنا علماً﴾[75]. وأما السلاطين فمثل العزيز مع يوسف عليه السلام حين قال العزيز إيتوني[76] به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين روي أنه نزل عن سريره وخضع له ببركة العلم وكذلك سليمان عليه السلام لما قال له الهدهد أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يغير يعني بخبر صحيح.

والعلم ينقسم على أربعة أقسام علم لا ينفع قليله ولا كثيره وعلم ينفع قليله وكثيره وعلم لا ينفع منه إلا القليل وعلم لا ينفع منه إلا الكثير. أما العلم الذي لا ينفع قليله ولا كثيره فهو علم القصص وعلم الأنساب وما يشابه ذالك من العلوم والعلم الذي ينفع قليله وكثيره فهو علم المذهب وعلم الدين والعلم الذي لا ينفع منه إلا القليل فهو علم النجوم والحساب والعلم الذي لا ينفع منه إلا الكثير فهو علم النحو. والعلماء ثلاثة عالم بالله

74 البقرة ٣١.
75 الكهف ٦٥.
76 كذا.

وعالم بأمر الله والثاني عالم بالله وليس عالم بأمر الله والثالث عالم بأمر الله وليس عالم بالله. فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويتعلم الحدود والفرائض وعالم بالله وجاهل بأمر الله فالذي يخشى الله ولا يتعلم الحدود والفرائض وعالم بأمر الله وجاهل بالله هو الذي يتعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله. قال الله العظيم ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذالك هو الفضل الكبير ﴾[77] وقال أيضاً ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[78] وقال وهو أصدق القائلين ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[79] ثم عطفهم على ملائكته في الشهادة قال في محكم كتابه العزيز شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم فإنما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فهذه الآيات تدل على فضل العلم وفضل أهله وأن العالم أفضل ممن سواه بدرجة فقد جاءني أيضاً في الناس عالم ومتعلم ومستمع وغير ذالك ثم لا حاجة فيهم لقول بعضهم كن عالماً أو متعلماً ولا تكن رابعاً فتهلك لا عالماً ولا معلماً ولا مستمعاً. قال الله العظيم و﴿ أبناؤكم الذين من أصلابكم ربوهم صغاراً يوفوكم كباراً وألزموهم الوقار وعلموهم القرءان ﴾[80] . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحرموا أولادكم من تعليم القرءان والعلم فتحرموا من دخول الجنة تحاسبون بهم وتعاقبون بجهلهم. وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء عرق وعرق الكفر إخراج الولد من الكتاب والسنة وروي في الحديث من لم يعلم ولده العلم فليس له عند [ص31] الله كتاب. وروي أن تعليم الصغار لكتب الله طفئ غضب الله وروي عن كثير بن غياث أنه قال كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق إذ أتاه رجل فقال له يا أبا الدرداء جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له أبو الدرداء ما جئت لتجارة ولا لطلب حاجة إلا لهذا قال ما جئت إلا لهذا قال له أبو الدرداء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع.

77 فاطر ٣٢.

78 فاطر ٢٨.

79 النحل ٤٣ والأنبياء ٧.

80 النساء ٢٣.

وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في البحر وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورث منهم دينار ولا درهم وإنما يورث منهم العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر. روي عن بعض الصالحين أهل العلم قال دخلت المسجد ووجدت واعظاً يعظ الناس وقد اجتمع إليه خلق كثير ووجدت حلقة أخرى من أهل الفقه في ناحية المسجد يتذاكرون الفقه ويتحدثون فيه فوقعت بين الحلقتين متحيراً أقول أجلس مع حلقة الوعظ فعل أن تصيبهم رحمة فتصيبني معهم أو إجابة دعوة فتصيبني معهم ثم قلت لو أتيت حلقة الفقه أستمع كلمة لم أسمع بها فلم أزل أخير نفسي في ذالك حتى جاوزتهما ولم أقعد إلى واحدة منهما فأتاني آت في المنام وقال لو أنك أتيت حلقة الفقه لوجدت جبريل معهم مجالساً.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى عتقاء من النار فلينظر إلى المتعلمين والذي نفس محمد بيده ما من متعلم يمشي إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة يبنى له بكل قدم مدينة في الجنة واستغفرت له الأرض ما دام يمشي عليها ويمسي ويصبح مغفوراً له. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال دخل المسجد فوجد مجلسين أحدهما يرغبون إلى الله ويذكرونه والآخر يتعلمون الفقه فقال صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيذكرون الله ويدعونه ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فتعلمون ويعلمون الجاهل وأنا بعثت معلماً فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم. وقال أبو الدرداء لأن أتعلم مسألة واحدة أحب إلي من قيام ليلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتيه العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له مثل جبل أبي قيس ذهباً فيتفقه في سبيل الله.

وروي عن بعض أهل العلم أنه قال لا يزال العالم في صلاته قيل له وكيف ذالك قال لأنك تراه إلا ذاكراً الله عز وجل يحلل حلالاً ويحرم حراماً. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين الله ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وقال صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في ما سوى ذالك وقال لقمان يا بني إذا رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإنك إن تك [ص32] عالماً ينقصك علمك وإن تك زاهداً يعلموك ولعاً بالله تعالى يطلع عليهم برحمته تصبك معهم الرحمة.

وروي عن بعض العلماء أنه قال من جالس ثمانية أصناف من الناس أفاد ثمانية أشياء من جلس مع الأغنياء أفاد حب الدنيا والرغبة فيها ومن جلس مع الفقهاء أفاد الشكر والرضا بقسم الله تعالى ومن جلس مع السلاطين أفاد الكبر وقساوة القلب ومن جلس مع النساء أفاد الجهل والشهوة ومن جلس مع الصبيان أفاد اللعب والمزاح ومن جلس مع الفساق أفاد الاجتراء على الذنوب وتسويف التوبة ومن جلس مع الصالحين أفاد الرغبة في الطاعة ومن جلس مع العلماء أفاد العلم والورع. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النظر إلى وجه العالم عبادة والنظر إلى الوالدين عبادة والنظر إلى الكعبة عبادة والنظر في المصحف عبادة.

فلو لم يكن في مجلس العلم منفعة إلا النظر إلى وجه العالم لوجب أن يحض ويحرص عليه ويرغب فيه فكيف وقد قام الله ورسوله أهل العلم مقام النبي صلى الله عليه وسلم من زار عالماً فكأنما زارني ومن صافح عالماً فكأنما صافحني ومن جالس عالماً فكأنما جالسني ومن جالسني جالس الله يوم القيامة في الجنة معي. وقال بعض الصالحين مثل العالم مثل النجوم لأهل الدنيا إذا بانت اهتدوا وإذا أظلمت تجبروا وموت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلفت الليالي والأيام. وقال عمر رضي الله عنه أن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تمامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه فينصرف إلى منزله وليس عليه ذنب لأن الله تعالى لم يخلق تربة في الأرض أفضل من مجالس العلماء فاتخذوا أيمة[81] العلماء يذكركم الآخرة ويزهدكم في الدنيا.

وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال موسى عليه السلام إذ ناجى ربه أي رب أي الناس أعلم قال الذي يبتغي العلم إلى علمه لعله يسمع كلمة تدخله على هدي وترده عن ردي. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام أني عالم أحب كل عالم وقال بعض أهل العلم طلب العلم فريضة على كل حر وعبد لأن الله سبحانه يقول كونوا ربانيين يعني علماء فقهاء. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مفتاح الجنة وخلف الأنبياء وقال بعضهم الفقهاء والعلماء أوصياء الأنبياء. وروي عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أي يوم لا أزيد فيه علماً لا بورك في طلوع شمس ذالك اليوم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

81 كذا عوض «أئمة».

يقول اللهم ارحم خلفاءنا قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤكم قال الذين يأتون من بعدي يرثون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس واحمل العلم اليوم يحملك غداً وعظمه اليوم يعظمك غداً ويقال إن من أحجب الله عنه العلم عذبه بالجهل والعلماء نور الله يقتبس النور منهم. وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العلماء إذا أتوا على الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية ونورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم وبين يدي كل عالم منهم لواء من نور [ص33] الجنة يضيء من منبره خمس مائة عام وتحت لواء العالم كل من اقتدى به[82] وأحبه الله تعالى وناديناه هؤلاء أحباء الله هؤلاء أولياء الله هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء هؤلاء الذين علموا عباد الله هؤلاء الذين حفظوا حدود الله هؤلاء مصابيح الدنيا.

فإذا أتوا على الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة ولو وضع ذالك التاج في السماء الأعلى لخرق نوره الأرض السابعة السفلى ويكسي واحد منهم من حلل الجنة لو علقت تلك الحلة بين الماء[83] والأرض لقطع نورها نور الشمس والقمر. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أتعلمون ما قال لي جبريل قلنا الله ورسوله أعلم قال قال لي جبريل يا محمد لا تحقرن عبداً أتاه الله سبحانه علماً فإن الله سبحانه لم يحقره حين علمه وإن الله إذا جمع العلماء في صعيد واحد فيقول لهم معشر الأنبياء لم أستودعكم علمي إلا لخير أريده لكم على ما كان منكم. وقال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فيقول لهم إني لم أستودعكم حكمتي وأنا أريد أن أعذبكم بالنار ادخلوا الجنة برحمتي. وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الله ليباهي الملائكة بمداد العلماء كما يباهي بدم الشهداء. وقال صلى الله عليه وسلم مسألة واحدة يتعلمها الرجل خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة والعالم والمرأة الصالحة المطيعة والولد البار لوالديه يدخلون الجنة مع الأنبياء بغير حساب وأنشدوا في العلم :

العلم زين وتشريف لصاحبه * فاطلب هديت فنون العلم والأدباء
فالعلم كنز وذخر لا نفاد له * نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا
وجامع العلم مغبوط به أبداً * فما يحاذر من فوت ولا سلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه * لا تطلبن به داراً ولا ذهبا

---

82 كلمة غير مقروءة.

83 «الماء» ساقطة في الأصل.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكرم عالماً كمن أكرم سبعين نبياً ومن أكرم متعلماً كمن أكرم سبعين شهيداً ومن أحب العلم والعلماء لا تكتب له خطيئاته أيام حياته. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه يشفع يوم القيامة الأنبياء والعلماء والشهداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل إلا خفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل ولا يريدون إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم لم يذكروا الله ولم يصلو[84] على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر. وقال كعب الأحبار رضي الله عنه لو أن ثواب مجالس الذكر علم به الناس لاقتتلوا عليه حتى يدع كل إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه. وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح [ص34] يكفر عن المؤمن آلاف مجلس من مجالس السوء. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في المجلس والناس معه إذا أقبل نفر ثلاثة فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فلما وقفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركع واحد منهم في الحلقة فرجة مجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا من الله فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض عن الله فأعرض الله عنه.

وروي أن الله تعالى يطلع إلى مجالس الذكر فيقول عز وجل ملائكتي وسكان سماواتي أنظروا إلى عبيدي قد اجتمعوا إلى عبد من عبيدي يتلو[85] عليهم آياتي ويذكرهم ألا أشهدكم أني قد غفرت لهم ولو كانوا كافرين. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة هم الغرباء في الدنيا القرءان في جوف فاسق ورجل صالح بين قوم سوء ومصحف في بيت لا يقرأ فيه وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرءان كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها

84 كذا بدل «يصلوا».

85 «يتلوا» في المخطوط.

طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرءان كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاسق الذي يقرأ القرءان كمثل الريحانة رائحتها طيبة وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرءان كالحنظلة طعمها مر وريحها مر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرءان وعلموه لأبنائكم فإن القرءان يأتي صاحبه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه فيقدم على صاحبه في أحسن هيئة فيقول له أنا الذي كنت تجلني في دار الدنيا وكنت تسهر ليلك بي وتقطع بي نهارك فيقول لعلك القرءان فيقول نعم أنا هو القرءان ثم يقدم به على ربه فيعطي الملك يمينه والخلد بشماله ويضع تاج الملك على رأسه ويكسي أبويه حلتين ما تقوم بهما الدنيا واضعاً بهما فيقولان من أين لنا هذا ولم تبلغه أعمالنا فيقولا لهما بفضل ولدكما وقراءتكما القرءان له أعطيتما ذالك. وقال صلى الله عليه وسلم صاحب القرءان كصاحب الإبل المعقلة فإن حفظها بقيت وإن ضيعها تلفت وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا الزهروين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو عنايتان أو فرقان من طير طواف يظلون بأجنحتهما صاحبهما.

وقال صلى الله عليه وسلم المس بالقرءان كالمس بالصدقة والجاهر بالقرءان كالجاهر بالصدقة يعني إن جهر بالقرءان فنعما هي وان أسر بالقرءان فهو أفضل وأفضل. وقال عبد الله ابن[86] مسعود رضي الله عنه القرءان شفيع مشفع فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه قاده إلى النار ومعنى شفيع مشفع أنه يطلب الشفاعة لصاحبه ويعطيها لمن جعله أمامه يعني يقرأه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه قاده إلى النار يعني تركه ولم يقرأه ولم يعمل به ساقه إلى النار. وقال صلى الله عليه وسلم أما الشفيع المشفع لا يشفع أحد قبلي إلا القرءان فيقول يا رب من كان له عمل فقد [ص35] أوتي أجر عمله فنزل لي أجر عمله فيقول له ابسط يمينك وشمالك فيما كان له من رضوان الله تعالى يكسيه كسوة الكرامة فإن كان ممن يقرأه نظراً أعطى له أجر العابدين لأن النظر في المصحف عبادة.

وقال صلى الله عليه إذا كان يوم القيامة جعل القرءان في أحسن صورة رءاها[87] الناس أحسن حسناً وأجمل جمالاً وأطيب رائحة فيراه الناس فيقولون هذا منا فيجاوزهم فيقولون هو نبي من الأنبياء فيجاوز الأنبياء فيقولون هو ملك من الملائكة فيجاوز الملائكة حتى

---

86 كذا.

87 كذا بدل «رآها».

يأتي الجبار جل جلاله فيقر به حتى يكون معه فيقول له وهو أعلم كيف كان عباد لك وكيف كانوا بك فيقول يا رب منهم من كان مستخفاً معارضاً ومنهم من يقوم في أنهاء اليل وأطراف النهار يحلل حلالي ويحرم حرامي فيقول له الجليل جل جلاله وعزتي وجلالي لأكرمن اليوم من أكرمك فيدعوا أهل القرءان ويكسي كل واحد منهم حلة الكرامة ويتوج بتاج الملك لكل تاج سبعون آلاف ركن في كل ركن ياقوتة تضيء سبعين سنة.

ثم يقول له اقرأ فلا يقرأ آية إلا رفعت له درجة حتى ينتهي القرءان إلى غرفة لها سبعون بابا فيها أزواجه وخدمه وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يؤتي بوالديه إذا كانا مسلمين فيصنع بهما ما صنع به ويزوج بكل آية في الجنة من الحور العين. فإذا تعلم القرءان وهو كبير وهو يقرأه ويتلو أعطاه أجره مرتين أجراً بحرصه عليه وأجراً بتلفه عليه فيكسي حلة الكرامة ويتوج بتاج الوقار فيعطى بيمينه والملك بشماله ويقول الجبار جل جلاله للقرءان هل رضيت بما أعطيت لعبدي فيقول له نعم يا رب فاعمروا بيوتكم بتلاوة القرءان فإن أخلى البيوت مت الخير بيت لا يقرأ فيه القرءان وطيبوا طريق القرءان وأحسنوه وطريق القرءان هي أفواهكم فطيبوها بالسواك من الطعام.

فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أراد أحدكم أن يقرا القرءان فليفعل ذالك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يقرأ القرءان فعل ذالك وإن أحدكم إذا أراد الطريق لا يجب أن يجد فيه أذى وإن أحدكم إذا قرأ القرءان جاءه ملك فيضع فاه على فيه يأخذ منه القرءان ويصعد به إلى الله تعالى. فإذا وجد في الفم شيئاً أذاه ذالك فتعلموا منه ما يستطيعون. ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أفواهكم طريق فطيبوها بالسواك ولولا أن أشق على أمته لأمرتهم بالسواك عند كل طهر. واستاك صلى الله عليه وسلم في اليلة مراراً ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل فيه شيء وقال لأصحابه عليكم بالسواك فإنه يطهر الفم وفيه مرضات الرب.

وقال علي كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وللسواك شروط حتى الوضوء والصلاة. فصل أتى أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أفي الجنة سماع فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه الروح الأمين جبريل عليه السلام [ص36] فقال صلى الله عليه وسلم أين السائل عن سماع الجنة. فقال له الأعرابي ما

ترى يا رسول الله قال له إن في الجنة قصر أو قيل مدينة لها حافتان من لؤلؤة حمراء يسير فيها الراكب مسيرة سبعين عاماً فيها حور أبكار عالمون بالقرءان. فإذا أراد أهل الجنة يتنزهون ويتلذذون وركبوا دوابهم فمنهم من راكب على فرس من ياقوتة حمراء ومنهم من راكب على فرس من زبرجد[88] أخضر فإذا أبوا المدينة نزلوا عن دوابهم فيوضع لهم منابر من نور وتصف الجواري بين أيديهم يقرؤون القرءان بأصوات لم يسمع السامعون مثلها ولا أفرح ولا أشهر للسامعين من أصواتهن فإذا حان انصرافهم أخذ كل واحد منهم ما شاء الله.

فقال الأعرابي يا رسول الله أنت تزوجني منهن واحدة إن أنا أطيعك قال على أن أزوجك منهن اثنان وسبعون جارية قال الآن أنا مطيعك يا محمد ولا أعصيك أبداً. وقال صلى الله عليه وسلم حطب[89] كل آية درجة وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرءان رياء وسمعة لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه عظم بلا لحم يرفع القرءان أنفه حتى يدخله النار فيهوي فيها مع من هوى. وقال صلى الله عليه وسلم عرضت على الذنوب فلم أر أعظم ذنباً من حامل القرءان ثم نسيه ومن نسيه لقي الله تعالى يوم القيامة مغلولاً يسلط عليه بكل آية حية وعقرب موكلتان به. وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرءان ليباهي به العلماء ويجاري به السفهاء يرض الله تعالى أعظامه ولم يكن أحد معه أشد منه عذاباً ولا يبقى نوع من أنواع العذاب إلا عذبه الله تعالى به من شدة غضب الله وسخطه عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم ما تقوم الساعة حتى يرتفع القرءان فيسري به ليلا فيذهب من المصاحف ومن أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض شيء منه فيرجع من حيث نزل فيكون له دوي كدوي النحل فيقول يا رب منك أتيت وإليك أعوذ. وقال صلى الله عليه وسلم يوشك أن يغضب الله لكتابه العزيز فيسري به ليلاً فلا يبقى منه في ورقة خط ولا في قلب عالم حرف فيصبح الناس كالبهائم. فقيل يا رسول الله كيف يكون أهل الإسلام قال من أراده الله تعالى بخيرها في قلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أول شيء يحاسبه الله تعالى يوم القيامة اللوح المحفوظ فيقول أيها اللوح المحفوظ قد بلغت رسالتي فيقول نعم يا رب وأنت أعلم بذالك مني فيقول لمن بلغتها فيقول له يا رب بلغتها أسرافيل عليه السلام قال فينادي مناد أين أسرافيل فيقف بين يدي الله تعالى خاشعاً ذليلاً ترتعد فرائصه وتصطك ركبتاه وقد بلغت نفسه حنجرته خوفاً من الله تعالى.

---

88 بمعنى «زمرد».

89 كذا.

فيقول يا أسرافيل هذا اللوح يزعم أنه بلغك رسالتي فهل شهدت له بالتبليغ فيقول نعم يا رب وأنت اعلم بذالك مني فيقول له لمن بلغتها فيقول يا رب بلغتها ميكائل فينادي مناد أين ميكائل فيقبل ميكائل فيقف بين يدي الله خاشعاً ذليلاً فترتعد فرائصه وتصطك ركبتاه وقد بلغت نفسه حنجرته فلا هي تدخل ولا هي تخرج فيقول [ص37] له يا ميكائل هذا أسرافيل يزعم انه قد بلغك رسالتي فهل تشهد له بالتبليغ فيقول نعم يا رب وأنت أعلم بذلك مني فيقول لمن بلغتها فيقول يا رب بلغتها جبريل الروح الأمين. فينادي مناد أين جبريل فيقبل جبريل عليه السلام فيقف بين يدي الله تعالى خاشعاً ذليلاً ترتعد فرائصه وتصكط ركبتاه وقد بلغت نفسه حنجرته فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً من الله تعالى فيقول يا جبريل هذا ميكائل يزعم أنه بلغك رسالتي فهل تشهد له بالتبليغ فيقول نعم يا رب وأنت أعلم بذالك مني فيقول لمن بلغتها فيقول يا رب بلغتها أهل التورية والإنجيل وأهل الزبور وبلغت القرءان لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

قال فينادي مناد أين النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقبل محمد صلى الله عليه وسلم وعليه حلتان أخضرتان من ورق الجنة نورها من نور عرش الرحمن عز وجل وعلى رأسه تاج الوقار وبيده لواء وفي رجليه نعلان يسمع سريرهما من بين الخافقين ومعه مائة آلاف ملك وعشرون آلاف ملك عن يمينه وعن شماله ومن ورائه جبريل وميكائل أمامه حتى يقف بين يدي الله تعالى فينادي يا أحمد ارفع رأسك واشفع تشفع واسئل تعط أنا أريد أن أسئلك عن مسئلة وأنا أعلم بها منك لأني أنا قلت لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأنا أعلم من جهنم. وأنا قلت لموسى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وأنا أعلم من موسى بما في يمينه وأنا الذي قلت لملك الموت هل بقي أحد من خلقي وأنا أعلم من ملك الموت فيرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد هذا جبريل يزعم أنه بلغك رسالتي فهل تشهد له فيقول نعم يا رب وانت أعمل بذالك مني فيقول لمن بلغتها فيقول يا رب بلغتها لحمالة القرءان قال فينادي مناد أين حملة القرءان أين صائمون شهر رمضان أين حجاج بيت الله الحرام فيقبل حملة القرءان على فرقتين فرقة حللوا حلاله وحرموا حرامه وعلموا بثوابه وفرقة اتخذوها هزءاً ولعباً لم يعرفوا لله تعالى فيه حقاً ولم يؤدوا له شكراً.

فيقف القرءان بين يدي الله تعالى فيقول له يا رب عبادك المؤمنون اسكنتني قلوبهم فتحللوا حلالي وحرموا حرامي واعلموا بثوابي أين ما وعدتني فيهم يا من لا يخلف الميعاد

فيؤمر بهم إلى الحساب فيحاسب حساباً يسيراً ويؤمر بهم إلى الجنة. ثم تبقى الفرقة الأخرى لا حجة لهم عند الله تعالى ولله الحجة على جميع خلقه وذالك لأنه لا نبي مرسلا ولا ملك مقرب ناقشه الله الحساب يوم القيامة إلا وجد فيه ما يعذبه به إلا أنه تبارك وتعالى يحاسب حساباً يسيراً فيقف القرءان بين يدي الله تعالى فيقول يا رب هؤلاء أسكنتني قلوبهم فاتخذوني هزؤاً ولعباً ولم يحللوا لحلال ولم يحرموا الحرام ولم يعلموا بثوابي أين ما وعدتني فيهم إنك لا تخلف الميعاد. فيؤمر بهم إلى النار فإذا أسرفوا على مالك خازن النار فينظر إليهم لم تسود وجوههم ولم تزرق أعينهم ولم تغل أيديهم إلى الأعناق ولم تشد النواصي على الأقدام فيقول يا معشر الأشقياء من أي الأمم أنتم ما رأيت أحسن [ص38] منكم حالاً فينسون ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون يا مالك لا علم لنا كنا نعبد الحي الدائم الذي لا يموت.

فيقول مالك اللملائكة الذين أتوا بهم من أي الأمم هؤلاء الذين ما تربى أحد أحسن منهم وجوهاً فيقولون يا مالك لا علم لنا دفعوا لنا فدفعناهم لك فيقول لهم مالك يا معشر الأشقياء إنما نزلت التورية على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داوود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم. فيقولون يا مالك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم نحن حمالة القرءان نحن صيام شهر رمضان نحن حجاج بيت الله الحرام فيقول لهم مالك يا معشر الأشقياء ما زجركم القرءان ولا نهاكم عن معاص الله تعالى.

فإذا النداء من قبل الله تعالى يا مالك أدخلهم النار الأولى لأن النار سبعة طبقات أما الطبقة الأولى فهي الهاوية قال تعالى وأما من خفت موازينه فما من هاوية وما أدريك ماهية نار حامية وأما الطبقة الثانية فهي الجحيم قال الله تعالى فإما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما لاطبقة الثالثة فهي السعير قال الله العظيم ﴿واعتدنا لهم عذاب السعير﴾[90] وأما الطبقة الرابعة فهي لظى قال الله العظيم ﴿كلا إنها لظى نزاعة للشوي تدعوا من أدبر وتولى﴾[91] والطبقة الخامسة هي سقر قال الله العظيم ﴿ما سلككم في سقر﴾[92] والطبقة السادسة هي الحطمة قال الله العظيم ﴿وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة﴾[93]

---

90 الملك ٥.

91 المعارج ١٥-١٧.

92 المدثر ٤٢.

93 الهمزة ٥-٦.

أعدت لياجوج وماجوج لا يسئلون عن ذنب والطبقة السابعة هي جهنم قال الله العظيم ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير﴾[94].

فيقول لهم مالك يا معشر الأشقياء قد سمعتم الكلام وفهمتم الخطاب فيقولون يا مالك اتركنا نبكوا على أنفسنا فعسى أرحم الراحمين يرحمنا ثم ينادي مناد يا معشر الملائكة الغلاظ الشراد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون خذوهم فيأخذون بلحاهم أي الرجال وذوائب النساء فإذا أشرفوا على النار ونظروا إلى لهابها وحريقها وسمعوا صلصلة السلاسل والأغلال فيها وهي مغتاظة ترمي بشرر فينادوا بالويل والثبور فيصيح بهم ملك صيحة واحدة فيتساقطون في النار فتبادرهم النار فيستغيثون بلا إله إلا الله. فإذا سمعت النار ذكر لا إله إلا الله امتنعت منهم فتصير إلى ناحية وتتركهم إلى ناحية فينادي مالك يا رب هؤلاء استجاروا بلا إله إلا الله فيأمر الله تعالى بمالك أن يأمرهم النار أن تأخذهم على قدر أعمالهم في الدنيا فبينهم من تأخذه إلى الكعب ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى ثدييه ومنهم من تأخذه إلى حلقه[95].

فإذا همت النار ان تلفح الوجوه إذا بالنداء من قبل الله تعالى يا مالك اصرفها عن الجبهة ومواضع السجود لي في ظلام اليل يا مالك لا تغلل اليدين طالما رفعتا إلي بالتضرع والدعاء يا مالك لا تصب الحمين في البطون طالما صامت شهر رمضان يا مالك لا تسلب الأجساد بالقطران طالما اغتسلت من الجنابة يا مالك لا تقيد الرجلين طالما مشت إلى المساجد يا مالك يا مالك لا تجعل من يعرفني كمن لا يعرفني وجحد حقي وجعل معي إلاهاً آخر لا إله إلا أنا [ص39] فيلبثون فيها حقاباً.

وقد سئل ابن عباس عن الاحقاب فقال والله لا أدري الأحقاب غير أن الحقب الواحد احدى وثمانون خريف والخريف الواحد ثلاثمائة وستون يوماً واليوم الواحد كألف سنة مما تعدون اللهم لا تجعلنا من أشقياء حمالة القرءان واجعلنا من العاملين به المستكثرين من تلاوته لم تنطق به السنة المتكبرين كتاب ربنا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أورد فيه القصص وأخبر بنبأ الأولين والآخرين هو الشفاء لما في الصدور والهدى والرحمة للمؤمنين لا تنتظر أحكامه ولا تفنا عجائبه. من دعى إليه دعى

---

94 الملك ٦.

95 «جلقه» في الأصل.

إلى الحق ومن حكم به حكم بالعدل والحق والصدق وفضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ومن تلاه يعطا بكل حرف عشر حسنات.

وفي الخبر أن النواقص إذا ضربت في الأرض ارتجت وضجت الملائكة إلى ربها بالتسبيح خلق من خلقك يعبدون غيرك ويجحدون حقك ويجعلون معك إلاها غيرك لا إله غيرك فيغضب الرب فيهم أن يملك الأرض ومن عليها فيطلع على الصبيان في المكاتب يتعلمون القرءان فيرضى ربنا ذالك ويأمر الأرزاق أن تفرق فتفرق على العباد ثم ينادي مناد انما يعجل من يخاف الموت وفضل العلم كثير وقد أتينا بما يغني عن ما فيه.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن بر الوالدين قالت له نعم أما بر الوالدين فهو أفضل من الصيام والصلاة والصدقات والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله قال الله العظيم ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾[96] وقال اله تعالى ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾[97]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة توجد رائحتها من مسيرة خمس مائة[98] عام ولا يجد[99] رائحتها عاقة[100] لوالديه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضياً لوالديه أصبح الله له بابان إلى الجنة ومن أصبح مسخطاً لوالديه أصبح الله له بابان إلى النار مفتوحان.

وكان طيبان بن علي من أبر الناس بأمه فباتت ليلة وفي صدرها شيء حتى استيقظت من تلقاء نفسها ورضيت عنه فاعتنق لذالك غلامين وقدم رجل من السفر فوجد أمه تصلي فكره أن يقعد وهي قائمة وعلمت هي قصده فطولت ليؤجر وجاء رجل وامرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان في صبي لهما فقال الرجل ولد خرج من صلبي وقالت المرأة يا رسول الله حملته كرها ووضعته كرها وحملته ثقلا ورضعته حولين فقضى رسول الله صلى

---

96 لقمان ١٤.

97 الإسراء ٢٣–٢٤.

98 كلمة غير مقروءة تماما.

99 « كذا بدل « تجد » في المخطوط.

100 « عاق » في النص بدل « عاقة » ومعناها التأخر.

الله عليه وسلم بأمه. وقال إن أبر الناس بأمه يعقوب عليه السلام حيث أظهر برها وهو في بطنها وكانت تسمع كلامهما أحدهما يقول للآخر أنا أخرج قبلك فقال له الأخير لئن خرجت قبلي لا شفي بطنها حتى أخرج من خصرها وقال له اخرج قبلي ولا تقتل [ص40] أمي.

وفي رواية أنه تبارك وتعالى أوحى إلى نبيه موسى عليه السلام فقال له يا موسى من بر والديه وعقني كتبته باراً ومن عق والديه وبرني كتبته باراً عاقاً وقال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت أقدام الأمهات. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفلقين فقال لي الفلقين جبلين يتناطحان كما يتناطحا الكبشين في دار الدنيا قلت له وعلى من ستناطحان تلك الجبلين فقال على العاق لوالديه وقاطع رحمه ورجل لا يعدل بين نسائه. وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهم جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله إني أريد الخروج إلى الجهاد فقال له ألَك أبوان قال نعم قال ففيهما[101] فجاهد فأمره أن يترك الجهاد وأن يشتغل بمآرب والديه.

وروى ابن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال قلت يا رسول الله من أبر فقال لي أمك أمك ثم أبيك ثم الأقرب فالأُقرب وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أرضى والديه فقد أرضى ربه ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه ومن أدرك والديه أو أحدهما فأدخل النار فلا أبعده الله منها. وذكر في بعض الكتب المنزلة أنه لا ينبغي للولد أن يتكلم بحضرة أبيه أو كلاهما إلا بإِذنهما ولا يمشي بين أيديهما ولا عن أيمانهما ولا عن يسارهما إلا أن يدعوه فيجيبهما ولاكن يمشي خلفهما كما يمشي العبد خلف سيده. وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله أمي خرفت عندي فنطعمها بيدي وأسقيها وأحملها على عنقي قال لا ولا واحد من مائة ولاكن أحسنت إليها والله يثيبك على القليل والكثير. وروي أنه مكتوب ملعون من لعن أباه ملعون من لعن أمه ملعون من ذبح لغير الله فمعنى من لعن أباه أن يسب الرجل أبا الرجل أو يعمل له عملا يلعن به أباه فيصير كأنه الذي يلعنهما.

وروى أنس بن مالك أن شاباً كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة وكان شديد الاجتهاد في العبادة عظيم الصدقة فمرض واشتد وجعه فبعث أمرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله إن زوجي علقمة في النزاع فأردت أن تعلم بحاله.

---

101 كذا وصيغة الأمر السليمة لفعل وفى هنا «ففهما».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال بن حمامة وسليمان الفارسي وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين اذهبوا إلى علقمة فانظروا حاله فانطلقوا حتى دخلوا عليه فقالوا له يا علقمة قل لا إله إلا الله فلم تنطق بها لسانه فلما أيقنوا أنه هالك بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبروه فلما أخبروه بحاله وما هو فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا إلى أم علقمة فاقرؤوها مني السلام وقولوا لها إن استطعت المصير إلى رسول الله فافعلي وإن لم تستطيعي فقيمي حتى يأتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما أخبرت بذالك قالت نفسي لنفسه الفداء أنا أحق أن نأتيه ثم أخذت عصاتها ومشت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وجلست بين يديه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطقي بالحق وإن كذبت جاءت الوحي من الله كيف كان حال علقمة ولدك قالت يا رسول الله كان كثير الصيام كثير القيام كثير الصدقات [ص41] يتصدق بالدنانير والدراهم جملة لا يدري وزنها وعددها إلا الله عز وجل قال لها فما كان حاله وحالك قالت له يا رسول الله إنني ساخطة عليه قال لها ولم ذالك قالت له يؤثر زوجته ويطيعها في الأشياء كلها ويعصيني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذالك حبس لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله ثم قال لبلال ابن حمامة انطلق فاجمع لي حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار فشفقت على ولدها وبكت. فقالت يا رسول الله ابني قطعة من كبدي تحرقه بالنار بين يدي كيف يصبر قلبي على ذالك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم علقمة فعذاب الله شديد وأبقى فإن يسرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفس محمد بيده ما يشفع فيه بصلاة ولا بصيام ولا بصدقة ما دمت ساخطة عليه فرفعت يديها وقالت أشهد الله في سمائه وأنت يا رسول الله في أرضه ومن حضر معك إني قد رضيت على ابني علقمة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال انطلقوا إلى علقمة فانظروا هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في نفسها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بلال فلما انتهى إلى الباب سمع علقمة يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما دخل بلال قال هؤلاء سخط أم علقمة حبس لسانه عن الشهادة ورضاها أطلقه فمات من يومه. فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه وصلى عليه ثم قام على شفير القبر. فقال يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدة يعني الفرائض والنوافل.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً يعني براً بهما واعطافاً عليهما وإحساناً إليهما إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما يعني أن يبلغهما الهرم. فلا تقل لهما أف أي لا تستقذرهما ولا تستثقل بشيء من أمرهما ولا تنهرهما أي لا تقل لهما قولاً رديا ولا تغلظ عليهما وقل لهما قولا كريما أي قولاً ليناً حسناً. وذلك إذا كبر الوالدين وثقلا عن التصريف واحتاجا إلى طرح بولهما أو غائطهما ولا تغط أنفك عن ذالك ولا تعبس وجهك فإن ذالك تطرحاه منك في حال صغرك رأيا منك ذالك كثيراً. وقال الله تبارك وتعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة كما قام عليه في حال صغره فارحمهما في حال حياتهما وجازيهما يعني بالمغفرة بعد وفاتهما.

وقال ربكم أعلم بما نفوسكم أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوّابين غفوراً أي إن كنتم بارين للوالدين فتستوجبوا الرضا على ذالك وإن ضيعتم حق الوالدين ثم ندمتم على ذالك فإنه كان للأوابين غفوراً والأوابون الراجعون عن الذنوب. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا. فقال تطعمهما إذا جاعا وتكسهما إذا عريا وتكلمهما باللين من القول واللفظ وترضا لهما ما ترضاه لنفسك وتدعوا لهما بالرحمة كلما [ص42] دعوت لنفسك وتستغفر لهما وتصدق عنهما وتطعم صديقهما. وروى أنس بن مالك رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم استوى فجلس فقال معاذ بن جبل يا رسول الله صعدت المنبر فأمنت ثلاثة مرات.

فقال أتاني جبريل عليه السلام فقال لي يا رسول الله من أدرك رمضان ولم يغفر له الله ودخل النار فلا بعده الله منها فقال آمين فقلت آمين ثم قال لي ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما ودخل النار فلا أبعده الله منها فقال آمين فقلت آمين ثم قال صلى الله عليه وسلم ومن ذكرت عنده فلم يصل عليها فمات ودخل النار فلا أبعده الله منها فقال آمين فقلت آمين. وكان رجل من أهل العلم لا يأكل مع أمه في صحفة واحدة فقيل له مالك لا تأكل مع أمك في صحفة واحدة وأنت أبرّ الناس لأمك. فقال لهم أخاف أن تسبق يدي إلى شيء سبقت له عينها فأكون قد عقتها لأن العقوق من الكبائر ألا ترى أن نوحاً من أطاعه من أولاده فقد فاز ومن عصاه فقد هلك حين ركب في الفلك فأبى ابنه أن يركب معه فكان من

المغرقين وقد عاقه أيضاً ابنه حام فدعى عليه دعوة فجعل الله من ذريته العبيد والإماء إلى يوم القيامة وأطاعه ابنه سام فجعل الله من ذريته النبيين والمرسلين إلى آخر الأنبياء.

وإبراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى بذبح ولده فقال له يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فصبر وأطاع ابراهيم ولم يعصه فانتهى أمرهما إلى الخير وفدى بذبح عظيم. وفي خبر بقرة بني إسرائيل كما كيف يأتوا[102] أغنى الله مولى البقرة الفتى اليتيم بطاعته لأمه حتى باعها لنبي الله موسى ابن عمران لبسوا جلدها ذهبا وفضة. قال الساعدي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من بني إسرائيل سلمة فقال يا رسول الله أبقى من بر أبواي شيء بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عبدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة وسمعت فيها قراءة قلت من هذا قالوا حارث ابن نعمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذالكم البر.

وجاء رجل إلى أبي الدرداء فقال لي زوجة ولي أم تأمرني بطلاقها فقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوالد أوسط باب الجنة فإن شئت فضيع ذالك الباب وإن شئت فاحفظه وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال هل لك من خالة قال نعم قال فبرّها. وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنها قدمت على أمي وهي راغبة في عهد قريش فقلت يا رسول الله أفأصلها فقال صليها. وقال أبو الفضل [ص43] رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً حتى إذا أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته وفي طريق آخر قعد معها على الرداء فجاء زوجها فقام من مقامه وأقعده في مجلسه وهذا يطول خبره والمجلس لا يحتمل التطويل.

فقال لها أحسنت يا جارية فاخبريني عن صلة الرحم قالت له نعم قال الله العظيم ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[103] وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها

102 كذا والمعنى غير واضح.

103 النساء ١.

وصلته ومن قطعها قطعته. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا رديعه وقال لي يا معاذ أحدثك حديثاً ما حدث به نبياً أمته فإن حفظته نفعك وإن ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات كلها لكل سماء ملكاً بواباً فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح حتى يمسي ثم تصعد به وله نور كنوز الشمس حتى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكيه وتكثره فتقول له الملائكة قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا صاحب الغيبة من اغتاب أحداً فإني لا أدع علمه أن يجاوزني إلى غيري ثم يرفع عمل العمل العبد إلى الله عز وجل يزكيه ويكثره حتى إذا بلغ به السماء الثاني.

فيقول له الملك الموكل بها قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك إني أريد بهذا العمل عرض الدنيا وأنا صاحب الدنيا إني أدع عمله أن نجاوزه إلى غيري ثم يرتفع عمل العمل مبتهجاً بصدقة وصلاة كثيرة تعجب الحفظة منه فيتجاوز به إلى السماء الثالث فيقول له الملك قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا صاحب الكبر إنه عمل وتكبر على البشر في مجالسهم أمرني ربي عز وجل أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ويرفع عمل العبد يزهر كأزهار النجوم بتسبيح وصوم. فإذا بلغ إلى السماء الرابعة قال له الملك الموكل بها قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا صاحب العجب إنه عمل واعتجب بعمله أمرني ربي عز وجل أن لا أدع عمله أن يجاوزني إلى غيري ويرفع عمل العبد بالحج والجهاد. فإذا بلغ به إلى السماء الخامسة قال الملك الموكل بها قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا صاحب الحسد إنه كان يحسد الناس فلا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ما دام في الحياة.

ويرفع عمل العبد بوضوء تام وقيام باليل حتى إذا بلغ السماء السادسة فيقول له الملك الموكل بها قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا صاحب الرحمة إن صاحبك لم يرحم احداً أمرني بي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ويرفع عمل العبد بنفقة كثيرة واجتهاد وورع له ضوء كضوء البرق. [ص44] فإذا بلغ إلى السماء السابعة قال له الملك الموكل بها قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا ملك الحجاب احجب كل عمل ليس هو لله إنما أراد بعمله الرفعة في المجالس والذكر في المحافل أمرني ربي عز نوجل أن لا أدع عمله أن يجاوزني إلى غيري. ويرفع عمل العبد من

خلق حسن وذكر كثير وتشيعه الملائكة حتى ينتهي به إلى تحت العرش. فيقول الله عز وجل لهم أنتم الحفظة وأنا الرقيب على ما في قلبه إنه لن يرد بعمله هذا وجهي فعليه لعنتي.

فبكى معاذ بن جبل وقال يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ بن جبل قال اقتدي وإن كان في عملك تقصير وحافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حمالة القرءان واحمل ذنوبك عليها ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم. ولا تدخل عمل الدنيا في أعمال الآخرة ولا تتكبر في مجلسك ليلاً يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلاً وعندك آخر ولا تعظم على الناس ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة. قال الله العظيم ﴿والناشطات نشطاً﴾[104] هل تدري يا معاذ ما هي. قال ما أدري ما هي بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال كلاب الناس تنشط اللحم والعظام فقلت من يطيق هذه الخصال يا رسول الله قال يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرءان من معاذ بعد هذا الحديث قال ما أعمل قال عليك بالأخلاء واقطع لسانك عن إخوانك ولا تراء الناس بعلمك.

قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني عن حق الزوجة على الزوج وما حق الزوج على الزوجة قالت له نعم من الحديث الصحيح أحسنوا إلى نسائكم وعاشروهن بالمعروف فإنهن أمانة الله عندكم ما أحببتم منهن فأمسكوها وما كرهتم فطلقوها. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ودائع الأحرار لا يعرض إلا عزيز ولا يذلهن إلا ذليل والذليل عند الله في النار وقال رسول صلى الله عليه وسلم خياركم خياركم لنسائهم وأنا خيركم لنساء أول نسائه صلى الله عليه وسلم خديجة ينت خويلد. قالت خديجة رضي الله عنها أنا أول امرأة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والثاني أتاني النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي يا خديجة جبريل يقرأك السلام فقلت له يا رسول الله وأنت اقرأه مني السلام.

وقالت عائشة رضي الله عنها أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مصورة في كفه قال له يا محمد هذه عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوجتك في الدنيا وزوجتك في الآخرة في الجنة وفي الثانية أنه مرض في بيت أحد أزواجه وقال احمليني إلى بيتي قالوا له أنت في بيتك يا رسول الله وقال لهم بيتي بيت عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

104 النازعات ٢.

وقالت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يحدثه ويوحي إليه فليس معهما غيري. وقالت زينب ما من امراة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد خطبها غيره وقد نزل إليه تعالى في حقي وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه.

فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها وكان الله تعالى هو زوجني منه وقالت أم أيمن ما من امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا وخطبها غيره وذالك أني أتيته وبايعته ووهبت له نفسي فأنزل الله في حقي وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة من دون المؤمنين فسماني الله تعالى مؤمنة وزوجني من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقال [ص45] رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني على النساء حتى ظننت أنه سيحرم الطلاق وعلى الجار حتى ظننت أنه سيورثه وعلى الممالك حتى ظننت أنه سيجعل لعتقهم أحدا.

وقال أبو هريرة رضي الله من تزوج امراة بصداق وهو ينوي أن لا يؤديه لها فهو زنا معها ومن استدان ديناً ونوى أن لا يؤديه فهو سارق. وروي أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكوا له زوجته فلما بلغ إليه سمع أمرأته أم كلثوم تطالت عليه فقال الرجل أريد أن أشكوا إليه وبه من البلاء مثل ما بي فرجع ودعاه عمر رضي الله عنه فسأله فقال يا أمير المؤمنين إني أريد أن أشكوا[105] لك زوجتي فلما سمعت من زوجتك ما سمعت رجعت. فقال له عمر رضي الله عنه أما تجاوزت عنها فإن لها على خمسة حقوق الأول أنها ستر بيني وبين النار يسكن قلبي بها عن الحرام والثاني أنها خزانة لمالي إذا خرجت منزلي والثالث أنها قصارة لي والرابعة أنها أمين لولدي والخامس أنها خبازة وطباخة لي قال له الرجل إن لي مثل مالك قال فتجاوز عنها.

وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه اله من الأجر مثل ما أعطى لأيوب في بلائه وقال بعضهم للمرأة على زوجها خمسة حقوق أيضاً الأول أن يحجبها ولا يدعها تخرج فإنها عورة وخروجها إثم والثاني أن يعلمها من العلم ما تحتاج

---

105 كذا.

إليه من أحكام الغسل والوضوء والصلاة والصيام والثالث أن يطعمها ويكسيها من الحلال والرابع أن لا يظلمها فإنها أمانة عنده ولا يلطم لها خداً ولا يذكر لها عرضاً والخامس إن تطاولت عليه يحتمل ذالك. وروي أن رجلاً لطم امرأة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتص منه فأنزل الله تعالى الرجال قوامون على النساء. وقال الحسن رضي الله عنه ليس بين الرجل والمرأة في ما دون الموضحة قال أراه يريد أدباً وقوله تعالى ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب﴾[106] كما حفظ الله فالصالحات المحسنات إلى أزواجهن قانتات مطيعات لأزواجهن حافظات للغيب لمغيب أزواجهن فما حفظ الله فما استودعن من الأمانة. واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن تنشز عن زوجها فلا تدعه يطأها.

قال بعض العلماء يبدأ فيعظها فإن اتعظت وإلا هجرها في المضاجع ولا يقربها فإن اتعظت وإلا ضربها فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن أطاعت. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي إلى السماء أطلعت على الجنة فرأت أقل أهلها النساء قيل له ولم ذالك يا رسول الله قال لكفرهن قيل له أيكفرن بالله واليوم الآخر قال لا لو أحسن إليها الزوج طول عمره ثم أساء إليها يوماً واحداً لقالت له ما رأيت منها خيراً قط قال الله العظيم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار فالحسنة التي في الدنيا امرأة صالحة والحسنة التي في الآخرة الجنة ومن كانت له امرأة سوء أصابته مصيبة فالمرأة السوء كثيرة العيوب والمرأة السوء غِلّ يضعه الله في عنق من يشاء من عباده ويكفه عمن يشاء.

والنساء ثلاثة هينة لينة تورد الأمور مواردها وتصدرها مصادها وتعين أهلها على العيش ولا تعين العيش [ص46] على أهلها والثانية وعاء للولد لا خير فيها لغير ذالك والثالثة غل يضعه الله في عنق من يشاء وقد تزوج بعضهم امرأة فقيل له في ذالك فقال اخترت من الشر أقله هذا مع امرأة واحدة فكيف الخلاص مع اثنتين أو ثلاثة أو أربعة. قال بعض الحكماء النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن. وقيل لرجل أعرابي من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش فلما تزوج اثنتين رأى أضرارهما فندم على ذالك ندامة شديدة وأنشد يقول

---

106 النساء ٣٤.

** تزوجت اثنتين لفرط جهلي * بما يشقى به زوج اثنتين **
** فقلت أكون بينهما خروفا * ينعم بين أكرم نعجتين **
**فصرت كنعجة تضحي وتمسي * تعذب بين أخبث ذيبتين **
**رضي هذي تهيج سخط هذه * فما أعرى من إحدى السخطتين **
**وألقى في المعيشة كل يوم * كذالك الضر بين الضرتين **
**لهذي ليلة ولتلك أخرى * عتاب دائم في الليالتين **
**فإن أحببت أن تحيى كريما * من الخيرات ممتلئ اليدين **
**فعش عزبا فإن لم تستطعه * فضرباً في عراض الجحفلين **

وقد ورد في الخبر أن من زعم أنه يعدل بين نسائه فقد كذب القرءان لأن الله تعالى يقول ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم.

وكذالك من قال أبلغ في الجد بلا مشقة والله تعالى يقول لم تكونوا بالغين إلا بشق الأنفس وكذالك من كانت عنده أنثى. وقال إني فارح بها والله تعالى يقول وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة تزوج يا زيد قال له لا يا رسول الله فقال له تزوج تزداد عفة إلى عفتك ولا تتزوج من النساء خمسة لا تتزوج العيرة ولا الهيرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا فقال له والله ما عرفت مما قلت شيئاً يا رسول الله. فقال أما العيرة فهي العجوزة المدبرة وأما الهيرة فهي القصيرة الذميمة وأما النهبرة فهي الطويلة المهزولة وأما الهيدرة فالكثيرة الكلام وأما اللفوت فذات ولد من غيرك أيما امرأة أطاعت زوجها وصلت خمسها وصامت شهرها وصانت فرجها إلا دخلت الجنة لأن المرأة لا تسئل يوم القيامة بعد حدودها إلا عن زوجها.

وعلى الزوج أن يحسن صحبتها ويحمل بالمعروف عشرتها ولايضار بها في نفسها ولا يحمل عليها ما لا تطيق في نفسها ولا في مالها وليطعمها مما يأكل وليلبسها مما يلبس ولا يلطم لها خداً ولا يشوه لها وجها ويعلمها أمر دينها من وضوئها وصلاتها وقراءتها والطهر في حيضها ونفاسها. فإنه أميرها والأمير راع وكل راع مسئول على رعيته يوم القيامة والرجل راع على أهل بيته. وروي أن إبراهيم عليه السلام شكى إلى الله تعالى بخلق زوجته سارة فأوحى الله إليها[107] أن ألبسها على ما كانت تلبسه ما لم تر عليه [ص47] خربة في دينها

107 كذا والأرجح أن تكون «إليه».

فإن خلقتهن من ضلع أعوج فمن أراد قوامها كسرت والكسر هو الطلاق ومن استمتع به على عوجه فقد استمتع. وقال صلى الله عليه وسلم كل نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وريحها يوجد من مسيرة خمس مائة عام.

وعن طلحة بن عبد الله قال أتت الخولى إلى عائشة رضي الله عنها وكانت امرأة عطارة فتشكت إلى عائشة رضي الله عنها زوجها عثمان ابن مظعون وقالت إني لأعطر نفسي له كالعروسة تزف إلى زوجها فإذا اشتركت معه اللحاف أعرض عني بوجهه ولا أراه إلا يبغضني. فقالت لها عائشة رضي الله عنها امكثي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فشم في البيت رائحتها وقال إني لأجد ريح الخولى فهل أتتكم اليوم. قالت له عائشة رضي الله عنها نعم يا رسول الله قال لها فهل أبعتم[108] من عطرها شيئاً قالت لا ولا كن أتت تشكوا زوجها. قال لها ما شأنك يا خولى قالت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني لأتعطر لزوجي حتى أنزل له نفسي كالعروسة تزف إلى زوجها فإذا اشتركت معه اللحاف أعرض عني بوجهه ولا أراه إلا يبغضني يا رسول الله قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علم ما عليه في ذالك ما فعل قالت له وما عليه في ذالك يا رسول الله قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل إذا أراد أهله كتب الله له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشرون درجة فإذا عانقها أو صافحها كتب له أربعون حسنة ومحيت عنه أربعون سيئة ورفعت له اربعون درجة في الجنة فإذا غشيها واغتسل كتب الله له من الحسنات بعدد كل شعرة يمر عليها الماء بيده ورأسه.

فهذا ما جاء في حق الزوجة على الزوج وأما حق الزوج على الزوجة مما رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله ما حق الزوج على الزوجة فقال لا تمنعه نفسها ولو كانت على ظهر قبة ولا تصوم يوماً إلا بإذنه فإن فعلت فله الأجر وعليها الوزر ولا تخرج إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وإذا صلت ولم تدع لزوجها ردت عليها صلاتها ولم تقبل منها حتى تدع لزوجها.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا هربت المرأة وخرجت بغير إذن زوجها لم تقبل منها صلاة حتى ترجع وتضع يدها في يده وتقول له أضع ما شئت. وقال سلمان

---

108 كذا عوض «أبعتن».

الفارسي رضي الله عنه دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنته فاطمة رضي الله عنها فلما نظرت إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم دمعت عينها وتغير لونها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك. قالت له يا أبة كان بيني وبين علي البارحة حرج علي وكلمته بكلمات خرجت من فمي فقمت إليه وقلت له ارض عني فإن الذي سمعته كان خطأ مني وإنا لا نعود إلى مثله أبداً فأبى أن يكلمني وحول وجهه عني فطفت حوله اثنتين وسبعين مرة حتى رضي عني وضحك [ص48] في وجهي فإنا خائفة من ربي عز وجل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيراً وتدبرا لو أنك مت قبل أن يرضى عنه ما صليت على جنازتك يا بنتي ما علمت أن رضاء الزوج من رضاء الله وغضب الزوج من غضب الله طوبى لامرأة رضي عنها زوجها حتى تمسي وتصبح والله راض عنها يا بنتي. إن المرأة إذا رضي عنها زوجها كتب الله لها شعرة في بدنها عبادة سنة يا بنيتي إن المراة إذا غزلت حتى تكسي زوجها وصيانها وجبت لها الجنة يا بنيتي مسكينة مسكينة من لا زوج لها يا بنيتي النظر إلى وجه الزوج خير من الطواف بالكعبة.

وإن المرأة إذا رضي عنها زوجها دخلت الجنة بغير حساب وإذا أخذت المرأة في شيء من الزينة مما يصلح لزوجها تريد بذالك رضاء زوجها كتب الله لها عشر حسنات ومحا عنها عشر سيئات ورفع لها عشر درجات في الجنة. فإذا دعاها فأجابته ثم حملت منه فلها مثل أجر الصائم القائم المجاهد في سبيل الله فإذا أخذها طلق كان لها بكل طلق مثل أجر من اعتق رقبة مؤمنة. فإذا وضعت حملها لم يعلم قدر مالها من الأجر إلا الله تعالى فإذا أرضعت ولدها كان لها بكل مصة من ثديها مثل من أعتق عشر رقاب فإذا استكملت الرضاع وفطمت ولدها نادى ملك من السماء يا أمة الله انتهى العمل فقد غفر الله لك ما مضى. وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرأة آمنت بالله واليوم الآخر أن تحد النظر في وجه زوجها بغضب أو سخط وتلاطف زوجها فإن الله تعالى يكافيها بجزيل الثواب وكريم المآب.

ولا يحل لها أن تملأ عينيها من غير زوجها ولا تبدي زينة ولا تكتحل عينها ولا تسوك ولا تأكل إلا معه ولا تشرب ثم تناوله ولا تضحك في وجهه لقول الله عز وجل فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض. وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس بينهما فحرام عليها الجنة أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها إلا وهي في سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها أيما امرأة أفشت سر زوجها إلا أفضحها

الله يوم القيامة أيما امرأة قالت لزوجها أف لك لا يقبل الله تعالى عذرها يوم القيامة أيما امرأة بات عنها زوجها وهو راض عنها إلا دخلت الجنة. أيما امرأة قالت لزوجها أما علمت أنك تأكل من مالي وتلبس من مالي إلا غضب الله عليها ثمانين يوما فلو كان مال قارون ثم تصدقت به في سبيل الله لم يقبله الله منها أيما امرأة عبست في وجه زوجها إلا سود الله وجهها وجعل قبرها حفرة من حفر النار[109].

أيما امرأة بسطت في وجه زوجها وشكرت الله تعالى إلا نظر الله تعالى إليها يوم القيامة أيما امرأة وقدت السراج في وجه زوجها مرة واحدة إلا خرجت من قبرها مع نساء النبيين وقمر على الصراط معهن وتدخل الجنة يغير حساب أيما امرأة غضب عليها زوجها إلا وهي في لعنة الله تعالى وغضبه وسخطه ولعنتها الملائكة والناس أجمعون. أيما امرأة دعاها زوجها إلى الفراش فأبت فهي في لعنة الله تعالى وسخطه أيما امرأة قالت لزوجها والله ما رأيت منك خيراً قط إلا حبط الله عملها سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم اليل أيما امرأة خاصمت [ص49] زوجها وهي ظالمة إلا حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار.

أيما امرأة خانت زوجها في فراشها إلا كان عليها نصف عذاب هذه الأمة أيما امرأة قالت لزوجها لعنك الله إلا لعنها الله والثقلان. وعن محمد بن تميم عن عكرمة قال كنت جالساً مع ابن عباس رضي الله عنهما في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجامع إذ جاء رجل يا أصحاب محمد إن لي امرأة سليطة اللسان نمامة توقع الجيران بعضهم على بعض فهل أحدكم يبلغها قول النبي صلى الله عليه وسلم. فقال حذيفة اليماني رضي الله عنه أنا أبلغها وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه أنا أبلغها عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرأة عبدت عبادة مريم ابنة عمران ثم لم يرض عنها زوجها ما قبل الله تعالى من عبادتها شيئاً وتدخل مع المنافقين إلا أن تتوب ويرضى عنها زوجها.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بلغها عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرأة كلفت زوجها ما لا يطيق عليه من أمر النفقة وغيره لا يقبل الله منها صرفا ولا عدة يعني لا فريضة ولا نافلة ولا سنة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلغها

---

109 جملة على الهامش هنا «أيما امرة دخلت الحمام إلا وضع الشيطان يده على قلبها وإن شاء أدبر بها».

عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها إلا لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر إلا أن يرضى عليها زوجها . وقال عمار بن يسار رضي الله عنه بلغها عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرأة خانت زوجها في فراشها إلا كان عليها نصف عذاب هذه الأمة . وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه بلغها عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرأة شربت من أنف زوجها دماً والآخر قيحاً ما أدت حق زوجها عنها .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه بلغها عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة جعلت أحد ثديها شوياً والآخر طبيخاً ما أدت حق زوجها عنها . وقال أبو امامة رضي الله عنه بلغها عني أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو جاز لأحد أن يسجد من دون الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فبلغها حذيفة قولهم جميعاً فجاءت المرأة حتى وقفت عليهم ورغبتهم أن يرغبوا زوجها أن يقبل عذرها وأن يغفر عنها . فقال لهم الرجل لا تطيب نفسي على ذالك أبداً فقالت له المرأة كنت مجوسية قبل هذا وأنا اليوم أسلمت بين يديك فعفى زوجها وقبل عذرها وأنصرفا راجعين. وقد خرج رجل في سفر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهد امرأته أن لا تخرج إلى أسفل الدار وكان أبوها ساكناً في أسفل الدار فمرض أبوها فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه أن تنزل إلى أبيها لتزوره في مرضه فأخبرته بما قال لها زوجها . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فدفن أبوها ولم تره فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرها [ص50] أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي امراة معلقة بشعرها يغلي دماغها ورأيت امرأة قد خرج لسانها من قفاها والحميم يصب من فوق رأسها والنار تدخل من أسفلها وتخرج من فيها ورأيت امرأة في تابوت من تار معلقة من ثديها مقيدة من رجليها ورأيت امرأة خرسا عميا من النار تأكل ومن النار تشرب . قالت فاطمة رضي الله عنها فقلت له يا حبيبي يا رسول الله لأي شيء وضع عليهن العذاب فقال لها أما المرأة المعلقة من شعرها وكانت لا تغطي شعرها أمام الرجال وأما المعلقة من ثدييها فكانت تفرش فراش زوجها لغيره وأما التي خرج لسانها من قفاها فكانت تسرق من مال زوجها وأما التي كانت خرسا عميا فكانت تنظر بعينها غير زوجها فتلك التي تلعنها الملائكة في السموات والأرض إلا أن تثوب وترجع فهذا ما جاء في حق الزوج على الزوجة .

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن حق المملوك قالت له نعم العبيد الذين ملكت أيمانكم بهم دفع الله عنكم التعب ووقاكم النصب ما أحببتم فأمسكوهم وما أكرهتم فبيعوهم ولا تعذبوا خلق الله لأنهم مثلكم لم يخلقوا من حجر ولم ينحتوا من شجر أطعموهم من طعامكم وأكسوهم من ثيابكم ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون عليه لأنهم أولاد نوح عليه السلام وما أوردهم ذالك المورد إلا دعوة نوح عليه السلام دعى على ابنه حام بن نوح حين ضحك من سوءته. فقال له يا حام يا ولد ضحكت من سوءة أبيك سود الله وجهك وغير لونك فأجيبت الدعوة في ذريته إلى يوم القيامة.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن حق الجار قالت له نعم الجار وصية الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم والجارة القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما زال جبريل يوصيني على الجار حتى ظننت أنه سيورثه إن غاب فاحفظوه وإن حضر فأكرموه وإن مرض فعودوه وإن افتقر فواسوه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى جاره فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني ما جزاء من شهد بالزور قالت له نعم أما شاهد الزور لا ينظر الله إليه يوم القيامة وهو عليه ساخط غضبان قال الله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾[110] وقال تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عند ربك[111] مسئولا﴾. وشاهد الزور لا يزال واقفاً بين يدي الله تعالى حتى يأتي بالبراءة مما قال او يؤمر به إلى النار. ويكفيك في شهادة الزور حديث واحد ذكر أن قاضياً كان في بني إسرائيل كثي الخير متعبداً صالحاً [ص51] وكانت امرأة صالحة جميلة بارة بزوجها تسمى أسمى وكان لزوجها أخ فأراد القاضي أن يخرج إلى بيت الله ليحج فدعى بأخيه فاستخلفه على الحكومة وأوصاه بحوائج أهله يدخل عليهم ويخرج. فلما كان ذات يوم دخل إلى زوجة أخيه ودعى بها لنفسه فقالت اتق الله يا فاسق ما تستحي أن تهتك حجاب أخيك وتريد أن تطأ فراشه اذهب عني فلا أهلا بك ولا مرحبا وإياك أن تدخل على غير هذه الساعة.

---

110 الفرقان ٧٢.

111 كذا والصواب «عنه» وقد جاء التصحيح في الهامش. الإسراء ٣٦.

فقال لها والله إن لم تجيبيني على هذه الحالة لأستعين على هلاكك فخرج عنها وهي تدعوا فتمثل له إبليس اللعين على صفة شيخ كبير فقال له ما لي أراك متغير الحال فأخبرني ولا تكتم عني فأخبره بأم زوجة أخيه فقال له والله ما ضعت شيئاً فلو جاء زوجها لا بد أن تخبره وتشقى معه فإنه يصدقها في جميع ما قالت له وإن شاورتني فأنا أدلك على ما تفعل لأنك ما كتمت عني من سرك شيئاً ارجع إليها وقل لها والله إن لم تطيعيني لأقمت عليك شهوداً يشهدون عليك الزور ويرتفع أمرك إلى الملك يأمر برجمك فرجع إليها فقالت له والله لو كنت تحرقني بالنار ما عصيت ربي ولا خنت زوجي أبداً فافعل ما شئت. قال فلما يئس منها دعى عليها بأربعة شهود من المشائخ السوء وأعطاهم مائة دينار وقال لهم أشهدوا على أسمى زوجة أخي بالزنا حتى تخبروا الملك بخبرها. ففعلوا ذالك ودخلوا على الملك فأخبروه بذالك فقال له الملك افعل فيها ما أوجب الكتاب فقال له الملك يجب عليها في الكتاب الرجم فقال له أنفذ فيها الحكم لأن أخاك إذا شهد عنده بذالك أنفذ فيه الحكم.

قال فأمر بها فأخرجت من دارها وجعلت لها حفرة وأدخلت فيها فبكت ودعت وتضرعت إلى ربها فلما بدؤوها بالرجم قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم دعت بدعوة فأنقذها الله تعالى وإذا برجل جمال مر بها في جوف اليل وهي تئن تحت الحجارة فأقلع عنها الحجارة وحملها على جمل له فلما وصلت إلى أهله أخذ في دوائها حتى استراحت وعادت إلى حالها من الحسن والجمال فنظرت إليها زوجة الجمال كذالك فغارت منها ثم سألتها عن قضيتها فأخبرتها بالأمر كما ذكروا عنها وأنها بريئة من ذالك وعاهدتها أنها لا تتزوج زوجها ولا تصده عنها أبداً فرفقت بها وكان للجمال ولد صغير فضمته إليها. فلما نظر الأخير إلى اسمى افتتن بها فراودها عن نفسها فزجرته وحلفت له أن تفضحه عند سيده إن لم ينته عن ذالك فلم يقدر على إمساك نفسه فعاودها فنهرته وزجرته فقفل عنها أياماً ثم جاءها في اليل وهي نائمة ليذبحها فمد يده إلى رأسها فأصاب رأس الولد ابن الجمال في ذراعها فظن أنه رأسها فذبحه فقامت المرأة زوجة الجمال في اليل تفتقد ولدها [ص52] فوجدته مذبوحاً في ذراعها فغشي عليها وبكت بكاء شديداً فقال الجمال فصبرها.

وقال لها اصبري على نفسك والله ما هذا فعل هذه المرأة ولا هي إلا بريئة من هذا الأمر فغضبت زوجة الرجل الجمال وقالت له جئت بامرأة فاجرة قد زنت ثم رجمت ثم ذبحت ولد وتبخسني عندك وأنت تربيها فهذه المرأة بينك وبينها حديث وأنت تريد زواجها

وكان الجمال رجلا صالحاً فلما سمع المرأة تبكي وتحلف بالله تعالى. فأتاها وقال لها والله يا جارية ثم والله ما ملكت يدي سوى هذه الخمسين دينارا خذيها واذهبي حيث شئت فخرجت المرأة وذهبت في البرية[112] لا تعرف أين تريد فمشت أياماً إلى أن وصلت إلى مدينة من مدائن بني أسرائيل لا تعرفها. فإذا برجل قد أمر عليه ملك المدينة أن يصلب وهو عشار للملك قد انكسرت عليه خمسون ديناراً فصلب فيها فلما أرادوا أن يقتلوه فمرت بهم المرأة فقالت لهم في كم صلب هذا الرجل فقالوا له لها في خمسين ديناراً فقالت لهم أطلقوه من صلبه فهذه خمسون دينار. فأخذوه وأنزلوه عن الجزع فانطلق لأهله وقالوا من خلصك من الصلب ومن الموت فقال لهم بسبب امرأة غريبة وهي التي دفعت عني خمسين ديناراً وإني أريد أن أكون لها عبداً ما عشت في دار الدنيا فرجع ودلوه عليها فنظر إليها واتبعها حتى أدركها وهي من القرب بالبحر فأتى إليها وخر ساجداً لها.

فلما نظر إلى حسنها وجمالها افتتن بها فراودها عن نفسها فزجرته وقالت له هذا جزاءي منك الذي خلصتك من الموت فقال لها لا بد لي منك فصاحت عليه حتى خاف على نفسه أن يسمعه المسافرون في البحر. فتقدم أمامها وهي تمشي خلفه وأتى إلى البحر ولقى تاجراً في سفينة كانت في الشط فقال لهم من يشتري مني جارية ذات حسن وجمال فقالوا له أين هي فأشار إليها فقال أحدهم أنا أشتريها منك فلما وصلتهم المرأة ونظر إليها التاجر أعجبته. فقال بكم هي فقال له بثلاث مائة دينار ذهباً فقال له اشتريتها منك ثم رضي فقام الذي ابتاعها وجلست المرأة مكانها لنظر بعض التجار لتركب معهم في المركب إلى مدينة من وراء البحر وقد ملكها ملك عادل لا يظلم أحد ببلده.

فلما وسق التاجر سفينته قام الذي اشتراها وقال قومي وادخلي في السفينة فقالت له وكيف أدخل حتى اكتري من صاحب السفينة فقال لها قومي وأنا مولاك اشتريتك من سيدك. فقالت له ما لي مولا إلا الله تعالى فأخذ بيدها فصاحت فانتهرها أهل السفينة وقال لها نظنك مجنونة قومي وادخلي مع سيدك فقال لهم مالي سيد إلا الله تعالى فأدخلوها قهراً ودخل معها الذي اشتراها في قارب المركب وأقلعوا. فلما جن اليل عليهم مد التاجر إليها يده فصاحت فشتمها أهل السفينة وقالوا ما هذه إلا مجنونة دفع سيدك ماله فيك وأنت تصيحين اضربوها بالسياط حتى تقطعوا لحمها وأجنابها. فقالت لهم يا قوم اتقوا الله فوالله

---

112 «البريئة» في الأصل.

ما أنا إلا حرة فقالوا له اقتلها فإنها مجنونة فرفع التاجر يده ولطمها [ص53] وأخد شعرها فدعت عليهم فاشتد عليهم الظلام وهبت عليهم الرياح من أجل ما عذبوا المرأة الصالحة وقامت الأمواج في البحر وأتاهم ريح بقدرة الله تعالى.

فتغرقت السفينة بهم واقتلع الريح الذي ابتاع الجارية فرمى به في البحر ونجى الله الجارية على لوح من السفينة حتى وصلت إلى ساحل البحر. فلما أصبح الله بخير الصباح على المرأة فهي لا تعرف أين تتوجه فإذا بقضاء الله تعالى مركب يريد[113] تلك المدينة التي أرادت المرأة التي فيها الملك العادل وكان أصحاب السفينة قوما صالحين. فركبوها حتى وصلوها وقالوا لها سيري إلى الملك فأخبريه بخبرك فسارت إلى الملك فأخبرته بخبرها فقال لها الملك اختاري لنفسك من شئت ننزلك عنده فقالت له يا مولاي لا أرى في خلطة الناس صلاحا وإنما مرادي بيت معتزل عن الناس أكون فيه وحدي. ثم إن ذالك الملك العادل أمر ببيت فبنى لها من بيت مال المسلمين وسكنت فيه ولزمت العبادة حتى علا ذكرها وشاع في البلدان خبرها وكان من كانت به عاهة أو مرض أو جنون أو آفة من الآفات إذا دعت له يشفيه الله تعالى حتى شاع خبرها في بني إسرائيل يرجع الخبر إلى الذي رجمها أخو زوجها.

فلما أصبح عليه في الليلة التي رجمها فأصبح قد عمي بصره وخولط عقله وأصبح الشهود الذين شهدوا عليها قد وقعت الأكلة بأفواههم فقطعت ألسنتهم وإن زوجها قد رجع من الحج فلم يجد زوجته فسأل عنها فأخبروه بخبرها أنها قد زنت فرجمت بعد أن شهد عليها أربعة من الشهود عند أخيك وبلغ خبرها للملك فأمر برجمها فرجمت وماتت تحت الحجارة[114]. فمضى زوجها إلى الموضع الذي رجمت فيه فنبش ولم يجدها فعظم عليه الأمر وقال والله ما زنت أمرأتي قط وما ترضى بذالك ولقد كذب عليها الشهود ثم دخل على أخيه فوجده أعمى ذاهب العقل قد ذهب عقله فشق عليه ذالك أيضاً واجتمعت عليه. فقالوا له إن أردت أن يبرأ أخوك فاذهب به إلى المراة الصالحة العابدة التي في مدينة الملك الفلاني فإنها لم تدع لذي عذر أعمى أو به عاهة أو آفات من أمور البلاء إلا برئ بإذن الله تعالى قال فأخذ القاضي أخاه وركبه على دابة وخرج به إلى تلك المدينة فسمع بمسيرة المشائخ السوء الذين شهدوا بالزور الذين تآكلت وجوههم من الأكلة وأفواههم وذهبت بلحوم وجوههم وألسنتهم فخرجوا معه وساروا في تجملة.

113 «تريد» في المخطوط.

114 وردت هذه الكلمة بالهامش.

فبينما هم كذالك وإذا هم برجل ومعه شاب مغلول اليدين مقيد الرجلين قد أكل لحم ذراعيه حتى ظهرت عظامهم فقال القاضي أين تريد بهذا الفتى قال أسير به إلى مدينة الملك الفلاني ذكر لنا انه ملك عادل وأن في مدينته امرأة صالحة إذا دعت لأحد يبرأ بإِذن الله تعالى. وكشف ما به من البلاء فساروا جميعاً حتى قربوا من البحر فإِذا برجل وشيخ ومعهم شاب مكبوب على وجهه وقد تقطع لحمه جذاماً فقالوا له أين تذهب فقال لهم هذا ولدي قد دخل به بلاء عظيم وأريد أن أسير به إلى المرأة الصالحة لتدعوا له لأنها ذكرت بملك الملك العادل [ص54] فلعل الله تعالى يشفيه. قال فساروا جميعاً حتى وصلوا البحر فاكتروا سفينة وركبوا فيها وإذا هم بقوم رقود على أصلابهم وقد عظمت بطونهم وسلكت فوق صدورهم وقد تشفقت لحومهم واسودت ألوانهم.

فقالوا لهم إلى أين تسيرون بهؤلاء القوم فقالوا هؤلاء الذين نزل بهم هذا البلاء نسير بهم إلى امراة صالحة بمدينة فلان الملك تدعوا لهم فلعل الله تعالى يشفيهم من هذا الذي نزل بهم. قال فساروا جميعاً حتى وصلوا على المدينة فنزلوا في بيت المرأة الصالحة وجعلوا يكلمونها ويرغبونها ويقولون لها يا أمة الله جئناك من بلدة بعيدة بهؤلاء القوم فادع لهم يكشف الله ما بهم وما نزل بهم. قال ثم إن المرأة الصالحة نظرت وعرفت زوجها فقال لهم من داخل البيت يا قوم إني لا أدعوا إلا لمن عاهد أن يتوب من ذنبه ويعرفني بسبب ما جرى به وما ذنبه الذي أخذه منه هذا البلاء. فقال واحد مهم هذا أمر عظيم بين فقال أخو زوجها الذي رجمها لأخيه يا أخي إن ذنبي عظيم وأنا أستحيي منك أن أذكره فقال له أخوه اذكر يا أخي ولا تبالي. فقال له يا أخي إن ذنبي لما أنك سرت إلى الحج دخلت على زوجتك أسمى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني فلم أزل ألج عليها حتى زين لي الشيطان وقد خفت أن تفضحني عندك فأعطيت لهؤلاء الشيوخ الأربعة الذين تآكلت وجوههم مائة دينار وشهدوا لي عليها بالزنا وهي بريئة وقد ظلمتها.

وقالت يا هذا لقد سمعت منك وسمعت قولك فبغا[115] زوج المرأة يبكي ويقول والله لقد علمت قبل إقرارك أنها مظلومة وأنها لم تزن قط فيا حسرتي عليها ويا أسفي عليها بقية عمري. ثم قالت لشيوخ السوء هكذا كان أنتم أمركم معشر الشيوخ فقالوا لها نعم ثم قالت للآخرين اعترفوا أنتم أيضاً اعترفوا بذنوبكم وتوبوا إلى ربكم. فقال الذي أكل لحمه وذراعاه

115 كذا.

أما أنا فإن سيدي هذا جمال فمر بامراة مرجومة قد رجمت في زنا شهد به عليها فوجدها حية فاخرجها من تحت الحجارة ومن الرجم فحملها إلى أهله ودواها فاستراحت فرأيتها في دار سيدي هذا فافتتنت بها فراودتها عن نفسها فأبت وطالبتها فامتنعت مني فخفت أن تذكر أمري عند سيدي فدخلت عليها في اليل لأذبحها فغلطت في ولد سيدي هذا فذبحته وقد ظننت أنها المرأة. فقالت أما أنت فقد سمعت ذنبك فليذكر ما بغا[116] فقال لها الثالث أما أنا فقد كنت رجلاً عشاراً للملك فانكسرت على خمسون ديناراً فصلبني الملك فيها ولم أقدر أن أخلصها فمرت بي امرأة غريبة فنظرت إلي ففدتني بخمسين ديناراً ذهباً من مالها وذهبت فلما أخل الملك سبيلي من الصلب اتبعتها لأخدمها أيام حياتي.

فلما أدركتها نظرت إليها افتتنت بها فراودتها عن نفسها فامتنعت مني وصاحت على فخفت على نفسي أن يسمعها أحد من تجار البحر وبعتها لبعض التجار فهذا ذنبي. فقالت المرأة أما أنت فقد سمعت كلامك فليذكر غيرك فقال الذين [ص55] اسودت وجوههم وانتفخت بطونهم وتشققت جلودهم نحن والله التجار الذين اشتروا الجارية من هذا الغلام وأشاروا إلى أحدهم فقالوا هو الذي دفع فيها ماله وخلا بها في بعض الركون من المركب فلما مد يده إليها صاحت وامتنعت منه فلطم وجهها ونتف شعر رأسها ودعت علينا فاشتدت الريح والظلمة علينا وعصف الريح وغرقنا في البحر وكل واحد منا على لوح وغرقت أموالنا. فقالت ادن مني أيها الرجل فدنا منها قالت له أتعرفني فلما نظر إليها عرفها فغشي عليه فبكى وبكت معه فلما أفاق من غشيته دخل إليها وجعل يقبل رأسها وتقبل يديه.

ثم قالت له قد سمعت ما كان من اعتراف أخيك واعتراف هؤلاء القوم كلهم وأنا الممتحنة ولاكن الله عصمني وسترني. ثم قالت اللهم اغفر لمن تاب إليك واعترف بين يديك اللهم إنك ابتليتهم فاكشف بلاءهم قال فكشف الله بلاءهم بأجمعهم ثم قالت للجمال هذا قاتل ولدك وطلبك عنده باق فإن شئت أن تقتص وإن شئت أن تعفو. وقال للتاجر هذا الذي أخذ مالك في الثمن فإن شئت فخذ مالك وإن شئت فهبه له ثم قالت لزوجها هذا أخوك وهؤلاء هم الشهود الذين هتكوا حرمتك فإن شئت فخذ وإن شئت فهب وأما أنا فقد وهبت ما كان مني لله سبحانه الذي منَّ علي وسترني فله الحمد والشكر كثيراً. فانصرف الجميع من عندها فارحين كأنما نزلت بهم عاهة ولا شيء من البلاء فهذا أغرب ما جاء في شهادة الزور.

116 كذا بدل «بغى».

قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني عن جوارح ابن آدم وما فيها من المعاصي قالت له نعم المعاصي مفترقة على الجوارح فأولها القلب فيؤمر بالإخلاص في جميع العبادة لله تعالى واليقين في كل ما يجب به الإيمان والصبر والرضا والحيا والقناعة والزهد وهو أن يطرح الدنيا من قلبه ويرغب في الآخرة والورع وليس بواجب بل هو من المستحب الذي تركه مكروه وان يترك ما يستر به منه غير حلال ومثله كلما يسترئي أنه واجب فيفعله وكلما يسترئي منه أن يكون حراماً فيتركه والتوكل على الله تعالى في كل الأحوال وسلامة الصدر وحسن الظن وسخاوة النفس. وسئل بعض الصالحين وقيل بعض العارفين عن السخاء فقال السخي من أدبر عن الدنيا وأقبل إلى الآخرة لا ينظر إلى الدنيا وينظر المولى.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن السخاء يسمى في السماء الأول سخي وفي الثانية عزيز وفي الثالثة شريف وفي الرابعة كريم وفي الخامسة سليم وفي السادسة تقي وفي السابعة سعيد. وقيل السخاء من فعل كما فعل إبراهيم عليه السلام بذل نفسه للجيران وماله للضيفان وولده للقربان وقلبه للرحمان فلذالك اتخذه الله خليلاً لقوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً. [ص56] وقال بعض العلماء السماء شجرة في الجنة وأغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن من أغصانها قاده إلى الجنة والشكر لله تعالى في كل ما أنعم به وحسن الخلق من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وعن أبي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تعاقبوا ظالماً فيبطل فضلكم ولا تراؤوا الناس فيحبط عملكم ولا تمنعوا الموجود فيقل خيركم إلا أن الأشياء ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعوه وأمر استبان بغيره فاجتنبوه وأمر اختلف عليكم فردوه إلى الله ورسوله أيها الناس ألا أنبئكم بأمرين خفيف مؤنتهما عظيم أجرهما لم يلق الله تعالى بمثلهما الصمت وحسن الخلق.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال لعئشة رضي الله عنها كان فيمن كان قبلكم رجل كانت له امرأة حسنة الخلق كثيرة المعروف ذات وجه وإحسان وكانت له أم سيئة الخلق ذات شح وبخل وكانتا لا يجتمعان في منول واحد فأسكن أمه في بيت وزوجته في بيت يبيت ليلة عند أمه وليلة عند زوجته. فلما كان في اليلة التي بات عند أمه فبينما زوجته جالسة في بيتها إذ أتاها شخصان فسلما عليها فردت عليهما السلام فقالا لها هل عندك موضع ننزل فيه قالت نعم حباً وكرامة ورحبت بهما فوجدا في البيت وعاء فيه بعرا فقالا ما في وعائك فقالت لهما دقيق لترغبهما في النزول عندها.

فقال أحدهما لصاحبه أعط متمنيا ما تمنى فقالا لها ما هذه الأصوات التي نسمعها حول بيتك فقالت لهما أصوات غنم لي فقال أحدهما لصاحبه أعط متمنيا ما تمنى فأصبح وعاؤها ممتلئاً دقيقاً وأصبح حول بيتها أغنام كثيرة. فلما رأت أمه ذالك قالت له يا بني أنزلت أمرأتك في منزل الخصب وأنزلتني في منزل الجدب فصيرها في منزلي وصيرني في منزلها ففعل الرجل فلما كان من المساء أتاها الشخصان اللذان أتيا إلى زوجته فوقفا عندها وسلما عليها فردت عليهما السلام برد ضعيف فقالا لها هل من منزل عندك فقالت لهما ما لكما عندي منزل فنظرا إلى وعاء في بيتها فيه دقيق فقالا لها ما في وعائك هذا فقالت لهما حلة تعني بعرا لئلا ينزلا عندها. فقال أحدهما أعط متمنياً ما تمنى وإن تمنى شراً فأصبح وعاؤها مملوءاً بعراً قالا لها وما هذه الأصوات التي نسمع حول بيتك [ص57] قالت لهما أصوات السباعِ وإني خفت أن تدخلِ عليكما فتأكلكما فقال أحدهما أعط متمنياً ما تمنى وإن تمنى شراً فأصبح وعاؤها مملواً بعراً والسباع حول بيتها فأكلوها.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالمعروف وإياك والشح قال الله تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه فأولائك هم المفلحون﴾[117] والمفلحون هم أهل الجنة ويدرك الرجل بحسن خلقه درجة الصائم القائم. ومما قيل في حسن الخلق وهو أن يتصف بمحاسن الشريعة ويستقيم فيها ومن محاسن الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك. ومما ينهى عنه مما يتعلق بالقلب الغل والحسد والبغي والغضب إلا إذا كان لله تعالى والغش والكبر والعجب والرياء والسمعة والبخل لان البخل شجرة في النار وأغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن من أغصانها قاده إلى النار وكراهية الحق والطمع وخوف الفقر والسخط بالقضاء والقدر وتعظيم الأغنياء لغنائهم واحتقار الفقراء لفقرهم والفخر والتنافس في الدنيا والمباهات والتزين للخلق والمداهنة وحب المدح والاشتغال بعيوب الخلق عن عيوب نفسه ونسيان النعمة. وقال صلى الله عليه وسلم في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.

قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني عن ما يصلح القلب وما يفسده قالت له نعم تصلحه خمسة أشياء وتفسده خمسة أشياء أما التي تصلحه العقل والعلم والورع واليقين والقناعة وأما التي تفسده الحمق والجهل والحرص والطمع والكذب. وقال بعض العلماء

---

117 الحشر ٩ والتغابن ١٦.

الجسم إذا كان سقيماً لا ينفعه طعام ولا شراب وكذالك القلب إذا كان متعلقاً بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن اللسان وما فيه قالت له نعم اللسان أعظم ما يكون على العبد وروي أن الجوارح تصبح تشتكي باللسان وتقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا. وقال بعض الصالحين لساني سبعي إن أطلقته أكلني فمن أراد الله به خيراً أعانه على حفظ لسانه فيما نهى عنه من الغيبة والنميمة والغيبة أن تقول في الإنسان خلفه ما يكره أن لو سمعه إن كان ما يذكر فيه موجود وإن لم يكن موجوداً فهو بهتان. والنميمة قال فيك فلان كذا وكذا فيحتمل العداوة بسببه والكذب والقذف والتلفظ بالفحشاء والمزاح والنياحة والغناء والإيمان الغموس وهو أن يحلف على الكذب وشهادة الزور وغير ذالك مما لا يحل. إنما خلق اللسان [ص58] لتكثر به من ذكر الله تعالى وتلاوة القرءان وترشد به خلق الله تعالى إلى طريقه وتظهر ما في ضميرك من حاجة دينك ودنياك.

فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله عليك فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا خصائر ألسنتهم فاستظهر بغاية قوتك حتى لا يكفيك في قعر جهنم. ففي الحديث الصحيح أن الرجل ليتكلم بالكلمة فتهوي به في جهنم تسعين خريفاً وفي الحديث أن شهيداً قتل بالمعركة فقال له قاتل هنيئاً له الجنة. فقال صلى الله عليه وسلم ما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه فاحفظ لسانك عن ثمانية فيه ولاكن ثلاثة لا سيما الأول الكذب فاحتفظ منه في الجد والهزل ولا تعود نفسك الكذب هزلا فيتعدا[118] إلى الجد فالكذب من أمهات الكبائر. ثم إنك إذا عرفت بذلك سقطت الثقة بقولك وتزدريك الأعين وتحقرك وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب فانظر إلى كذب غيرك إلى نفور نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك له وكذالك فافعل في عيوب نفسك فإنك لا تدرك قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك فما استقبحته من غيرك فيستقبحه غيرك منك لا محالة فلا ترض لنفسك ذالك.

الثاني الخلف في الوعد وإياك تعد شيئاً بل ينبغي أن يكون إحسانك للناس فعلا بلا قول فإن اضطررت القول فإياك أن تخلفه إلا بضرورة فإن ذالك من إمارة النفاق وخيانة

118 كذا.

الأخلاق. قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كثر فيه فهو منافق وإن صام وصلى ما إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان. الثالث الغيبة إحفظ لسانك من الغيبة فالغيبة أشد من ثلاثين زنية في الإسلام كذا أتى في الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر أنساناً فيما يكرهه أن لو سمعه وإن كان صادقاً وإياك وغيبة القراء المرائين أن تعمم المقصود من غير تصريح فتقول أصلحه الله فقد ساءني وغمني ما جرى عليه فنسأل الله أن يصلحنا. فهذا جمع خبيثتين أحدهما الغيبة إذا حصل به التفهيم والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالتمدح والصيام لاكن إذا كان مقصودك من قولك أصلحه تعالى بالدعاء فادع له سراً وإن اغتممت بسببه فعلامتك أنك لا تريد إفصاحه وإظهار عيبه وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار الغيبة ويجزئك زاجراً.

عن الغيبة قوله تعالى ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾[119] فقد شبهها الله تعالى بأكل الميتة. وروي عن بعض الصحابة أنه قال من عجز عن ثمانية فليلزم ثمانية أخرى ينال فضلها من أراد صلاة اليل وهو نائم فلا يفطر بالنهار ومن أراد التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه. الثالث من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر. الرابع [ص59] من أراد فضل المجاهدين فليجاهد الشيطان الخامس من أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم ما سمع من العلم السادس من أراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجماعة السابع من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع بينهم العداوة الثامن من أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره وليرض لأخيه ما يرضى لنفسه.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن العين وما فيها من المعاصي قالت له نعم العين لا ينظر بها فيما لا يحل لها النظر فيه فمن ذالك النظر إلى العورات والمرأة كلها عورة إلا وجهها وكعبها هذا للأجنبي وأما ذو المحارم فيجوز لهم من المنحر إلى الرأس وأطراف اليدين والرجلين وأما غير ذالك من الصدر والأكتاف ونحو ذالك فلا يحل لهم ولا يجوز نظر الأجنبي إلى الوجه خوف الفتنة إلا أن تكون عجوزاً أو سوداء ونحوها والنظر بالالتذاذ فيما لا يحل له الالتذاذ به. وليس في النظرة الأولى حرج إذا سلمت الخواطر كما قال الشاعر :

** وليس اكتحال العين للعين زينة * إذا سلمت من ذاك تلك الخواطر **

---

119 الحجرات ١٢.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العيون كلها باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين عين سهرت في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين أعرضت عن محارم الله. يروى أن عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلم يسق فقال لهم عيسى من كان له ذنب فليرجع فرجع الناس كلهم أجمعون ولم يبق معه إلا رجل واحد أعور فقال له عيسى عليه السلام وأنت ما لك ذنب قال له لا أعلم لنفسي ذنباً إلا أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزتني دخلت اصبعي في عيني فأخرجتها وأتبعتها بها قال له عيسى عليه السلام ادع فدعى[120] الرجل فسقوا في الوقت. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لأمتي من بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة لأن الله تعالى قدمهن في أول الشهوات فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة الآية.

وقالت عائشة رضي الله عنها من شقوتنا[121] قدمنا الله تعالى في أول الشهوات يا عجبا للرجال كيف يختارون هؤلاء الحيض المفاتن وقد زهد الله فيهن ودل على ما هو خير منهن. فقال تعالى ﴿قل أو نبئكم بخير من ذلكم[122] للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[123] الآية. فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال فإن شرهن وصل إلى ملائكة الله تعالى ألا ترى هاروت وماروت أفما أصابهما البلاء والفتنة من قبل الزهرة التي مسخ الله تعالى وصيرها كوكباً وأبونا [ص60] آدم ما أصاب المعصية إلا على يد أمنا حواء ولا قتل قابيل أخاه هابيل إلا على سبب أخته حين أراد أن يتزوجها فامتنع من ذالك وأبى ولا امتحن يوسف عليه السلام بالسجن إلا على امرأة العزيز راودته عن نفسه فأبى عليها ولم يصب داوود عليه السلام ما أصابه من الفتنة والبلاء إلا على يد أمرأة وزيره أو رياء أم ولده سليمان عليه السلام وسبب فتنته من نظرة العين.

وذالك أن داوود عليه السلام دخل في محرابه يصلي ويعبد الله تعالى إذ دخل عليه من طائف المحراب طائر جسده من الذهب وجناحيه من الياقوت ورأسه من الزبرجد الأخضر ورجليه من اللؤلؤ فسلم داوود من صلاته ومريده ليأخذه فطار قليلا فأراد أخذه فانتفض

---

120 كذا.

121 كذا والمعنى غير مفهوم.

122 وردت «ذالك» في النص خطاء.

123 آل عمران ١٥.

فما زال الطائر يطمعه في نفسه وداوود يتعجب لحسنه فدنى منه قليلا فانتفض الطائر ونظر داوود في حوض البستان فإذا فيه زوجة أورياء قائمة على دكان الحوض عريانة قد أرسلت شعرها على بياض جسدها وهي تغتسل. ثم قامت قائمة مرة أخرى تغتسل ومرة تأخذ الماء وتصبه على جسدها فلما نظر إليها داوود افتتن بها لحسنها وجمالها وقذف الله تعالى حبها في قلبه ورجع إلى موضعه وقد افتتن. ثم بعث إليها أمرأة من نسائه تسألها من تكن فقالت لها أنا امرأة أورياء فرجعت فأعلمته فبعث داوود عليه السلام إلى أورياء. فلما دخل عليه قال له خذ على نفسك فقد قدمتك على جيش المسلمين تسير بهم إلى أرض البلقى عسى الله تعالى أن يفتح على يديك فخرج أورياء إلى أرض بلقى.

فحصرهم بفتح الله على يديه فكتب إلى داوود إني أخذت مدينة كذا وكذا من أرض البلقى فكتب إليه داوود إذا وصلك كتابي هذا فسر بالجيش أمام التابوت وقاتل مدائن العماليق وحصون أرض البلقى حتى تستفتحها. فقتل أورياء وانهزم جيش المسلمين فلما رأوا بنو إسرائيل الهزيمة على المسلمين ثبتوا قليلا وقدموا التابوت أمام الجيش. ثم كانت على العماليق الى اليل ومات منهم خلق كثير وكان الذي قدموا على أنفسهم من بعدهم موت أورياء ابن أخت داوود عليه السلام فكتب إلى خاله داوود عليه السلام بما كان من قتل أورياء فبعث إليه داوود إذا وصلك كتابي هذا فأقبل إلي بجيش المسلمين. ثم بعث داوود عليه السلام إلى زوجة أورياء فاعتدت فتزوجها داوود عليه السلام ونسي ما وعده ربه.
ثم بعث الله تعالى عليه ما كان على صفة رجلين من بني آدم وكان داوود عليه السلام إذا دخل محرابه يغلق أبواب مسجده فلما رآهما فزع منهما فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط يعنون اقصد السبيل في الحكم واملك الغضب حين دخلا عليه [ص61] بغير إذنه وكانا قد أريا في وجهه الغضب.
وكان الله قد شرد ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب وكان من تشريده يحرسه في كل ليلة ألف رجل يحرسون قصره وكان داوود عليه السلام أول من قضى بالبينة على المدعى واليمين على من أنكر. فقال لهما قصّا علي قصتكما فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب يعني إذا تكلم أبلغ في خطابه وإذا قضى أسرع إجابة مني وإذا خرج كان أكثر نغماً مني فلا طاقة لي به. قال داوود له قد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه نظر الواحد إلى الآخر فتبسم ضاحكاً من قوله فقال داوود للمدعا[124] عليه ظلمته نعجته إذ أخذتها منه ظلماً وأنت تضحك ما أحوجك إلى قادم.

124 كذا والصواب «المدعى».

قال له الملك بل أنت أحوج إلى ذالك مني ثم ارتفعا وغابا عنه ولم يدر حيث ذهبا فعرف أنهما ملائكة بعثهما الله بسبب خطيئته التي أخطاها فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذالك الآية. فتزوجها داوود عليه السلام فولدت له سليمان وشلوم عليهما السلام فلما تمت لسليمان عليه السلام سبع سنين قضى في الزرع والغنم وقضى بين المرأة والشهود الذين شهدوا عليها أنها زنت مع الكلب. فأول ما تبين لداوود عليه السلام من حكمة سليمان ابنه عليه السلام أن امرأة كانت في بني إسرائيل وكانت من أجمل نساء بني إسرائيل قد كساها الله سبحانه من الحسن والجمال ما لا يقدر على وصفه أحد إلا الله فلما كان يوم من الأيام تخاصمت مع زوجها في حق كان لها عليه عند قاضي داوود عليه السلام.

فافتتن بها القاضي فراودها عن نفسها فامتنعت منه وانقلبت منه إلى صاحب الشرطة فافتتن بها فراودها عن نفسها فامتنعت منه وانقلبت إلى أمير السوق فافتتن بها فراودها عن نفسها فامتنعت منه فتركت حقها ولزمت بيتها فاجتمع القاضي وصاحب الشرطة وأمير السوق وحاجب داوود عليه السلام فرفعوا ذكرها بينهم فشكى كل واحد منهم بما وجد من حبها لصاحبه. فقال لهم الحاجب ما يمنعها منا ونحن نعرف منزلها ونحن ولات الأمر فتآمروا[125] أمرها وتدبروا في هلاكها عند داوود عليه السلام فكتبوا عليها عقداً وعلم عليه القاضي وأتوا إلى نبي الله داوود عليه السلام فقالوا له يا نبي الله إن لها كلباً تطعمه وتحسن إليه وترسله إلى نفسها. فقال لهم داوود عليه السلام حققتم ذالك فقالوا له نعم حققنا ورأينا أمرها مع الكلب فبعث إليها داوود عليه السلام فأتى بها على أن يرجمها فقال له سليمان مهلا على رسلك قليلاً حتى أنظر في أمرها فخرجوا وبقي سليمان مع داوود.

فقال له سليمان يا نبي الله تريد أن أريك أمراً [ص62] تعجزهم في شهادتهم فقال له أبعث إليهم واحداً بعد واحد واسئلهم عن لون الكلب فإن اجتمعوا في شهادتهم أنه أسود أو أبيض أو أصفر أو أحكر أو أبلق فامض عليها وارجمها. فبعث إليهم داوود عليه السلام فدخل عليه صاحب الشرطة فسأله سليمان عن لون الكلب قال حققت وعاينت قال فما لون الكلب قال له أسود قال له اجلس مكانك فجلس ثم جاء أمير السوق فقال له سليمان حققت وعاينت قال نعم قال فما لون الكلب قال أبيض قال اجلس مكانك ثم دخل الحاجب فقال سليمان عاينت الكلب وحققته قال نعم قال فما لونه قال احمر قال اجلس مكانك ثم دخل عليه القاضي فقال حققت وعاينت قال نعم قال فما لون الكلب قال أبلق.

---

125 «توامروا» في المخطوط.

فقال لم كذبتم كلكم واجتمعتم على ظلم امرأة مسكينة ثم أمر سليمان بإخراجهم فخرجوا ثم خرج سليمان فأمر عليهم بالرجم فرجموا وقيل أمر بضرب أعناقهم ثم بعث إلى المرأة وخلا سبيلها ورجعت إلى بيتها. فكان هذا أول ما تبين لداوود عليه السلام من فهم سليمان وحكمته وعدله في حكمه وهو حديث السن وتبين لداوود فهمه ولم يصب برصيص العابد الفتنة والبلاء بعد عبادة أربع مائة سنة إلا على يد ابنت[126] السلطان المجنونة. وذالك أن برصيصاً كان في غاية الاجتهاد والعبادة وكان قد اعتزل عن الناس في صومعة إذا وضع يده على داء أبرأه الله سبحانه فنزل بابنة الملك مرض عارض الجنون فجاءه أبوها وإخوانها فطلبوه أن يضع يده عليها فأبى فاجتمعوا عليه يرغبونه في ذالك فقال لهم إذ لا بد فابنوا لها صومعة تقابل صومعتي فإذا صرعها أشرفت عليها.

فإن فيها من[127] ففعلوا ذالك وجعلوا لها امرأة تختلف بطعامها وشرابها فلما كان ذات يوم صرعها الخبيث وتكشفت فأشرف إليها من صومعته فنظر إلى شيء لم يكن يعرفه فكاد أن يطيش عقله وتمكن الشيطان من قلبه بالوسوسة. وقال له انظر ما حرمت منه نفسك فلم يزل يغويه ويقول له بلغت في العبادة ما لا يظن أحد بك سوءاً و يسهل له ذالك ويزين له المعصية ويحببها إليه حتى كان ذات يوم صرعها أيضاً وكشفها فأشرف عليها من صومعته فلم يملك نفسه حتى نزل بها فواقعها فحملت منه فجاءه إبليس لعنه الله متمثلاً في صورة أحد من العباد.

فقال له ما هذا الذي صنعت يا برصيص بعد أن كنت عند الناس من أعظم العباد فما يكون عذرك إذا افتضحت قال له ما أصنع يا أخي قال له اذبحها وادفنها في صومعتها فذبحها ودفنها في صومعتها. فأقبلت المرأة التي تختلف عليها بطعامها وشرابها فلم تجدها فذهبت إلى أبيها فأخبرته بالخبر [ص63] وصرخ إبليس اللعين في الناس أن برصيصاً العابد واقع ابنة الملك فحملت منه وخشي الفضيحة فقتلها ودفنها في صومعتها. فأقبل الناس بأجمعهم وأقبل أبوها وإخوانها فقالوا له ما فعلت أختنا يا برصيص فقال لا علم لي بذالك فأتوا إلى صومعته وجعلوا يجرونه بالحبال فجاء الملعون إبليس وقال له ما هذا الذي نزل بك يا برصيص قال له أغويتني حتى أوردتني هذا المورد قال له الملعون أتريد أن أخلصك مما

---

126 كذا.

127 كلمة غير مقروءة هنا.

أنت فيه فقال له وكيف ذالك قال له أكفر بالله تعالى وتسجد لي سجدة واحدة فكفر بالله تعالى وسجد لإبليس من دون الله تعالى.

فلما فعل ذالك قال له الملعون إني بريء منك إني أخاف الله رب العلمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذالك جزاء الظالمين. فأنزل الله تعلى خبره على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعلى وهو أصدق القائلين كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ولا يحق جريح ما لحق الأعلى يد امرأة كانت في بني إسرائيل. وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال كان في بني إسرائيل راهب منفرد السكن فقام في صومعته دهراً طويلاً وكان كل يوم يأتيه ملك غدوة وعشيا مرتين فيقول له الملك حاجة فيقول له لا.

وكان قد أنبت الله تعالى في صومعته كرمة تلد كل يوم قطف عنب وكان إذا عطش مد يده فانبسط عليه الماء فلما كان ذات يوم مرت به امرأة ذات حسن وجمال مع العشاء فقالت يا راهب قال لها لبيك قالت له اليل قد نزل والقرية بعيدة. قال لها فما تحبين قالت له أبيت عندك الليلة فقال لها اصعدي فلما صارت في الصومعة رمت ثوبها وبقيت عريانة تجلوا نفسها فغطى بصره وقال لها ويلك استري فقالت له لا تكثر علي وتمتع في هذه الليلة. فقال لنفسه أي شيء تريدين فقالت أبى والله فقال لنفسه تريدين سر[128] القطران ومقطعات النيران ويذهب بعبادتك.

وليس كل من زنا يعفى عنه فإن الزنا عظيم وأخاف أن يقال لك ايئسي من رحمة الله وأخاف عليك يا نفسي من نار لا تطفى وعذاب لا يقى ويغضب عليك المولى ولا يرضى. قال فراودته عن نفسه فقال يا نفسي إني أعرض عليك ناراً صغيرة فإن صبرت عليها متعتك بما شئت فقام إلى السراج فملأه وأغلظ الفتيلة والمرأة تسمع مخاطبته لنفسه ثم إنه دخل أصابعه في النار فصاح بالنار ملك يا نار احرقي فأكلت إبهاميه ثم رجعت إلى السبابة حتى أكلت يده فلما رأت المرأة ذالك صاحت[129] صيحة خرت ميتة.

قال فسترتها بثوبها وقام إلى صلاته فلما أسفر الصبح صرخ إبليس في المدينة أيها الناس الراهب فلان قد زنا بفلانة وقتلها فركب [ص64] الملك في أهل مملكته وأعوانه حتى

---

128 كلمة غير مقروءة.

129 «صاح» في النص ونقحت بالهامش.

وقفوا بباب الدار وأصاح[130] به فأجابه فقال له وأين فلانة قال هي عندي قال قل لها تنزل قال له إنها ماتت قال له ما رضيت بالزنا حتى قتلتها فخرب الدير وهدم الصومعة وجعل في عنقه سلسلة وحملت المرأة على سرير وجيء بالراهب إلى موقف العذاب وكان القوم ينشرون الزناة بمناشر من حديد. قال ويد الراهب في كفه وهو لا يحدثهم ولا يعلمهم بقصته قال فلما وضع المنشار على رأسه قال لهم الملك جروه فجروه حتى وصل النشار إلى عنقه فتأوه فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن يقول له لا تنطق فلقد أبكيت حمالة العرش وأملاك السموات فتأوه الثانية فأوحى الله إليه لئن تأوهت الثالثة لأطبقن السموات على الأرض.

فصبر الرجل حتى طرح نصفين ورد الله تعلى على المرأة الروح فقامت وقالت والله إنه لمظلوم والله ما زنا فيّ وإني امرأة بكر بخاتم ربي. ثم قصت عليهم القصة فوجدوا يده محترقة وندم الملك ندامة شديدة ثم ماتت المرأة والرجل فحفروا لهما قبراً[131] مسكاً وكافوراً. ثم صلوا عليهما فناداهم مناد من السماء اصبروا حتى تصلي عليهما الملائكة ثم دفنوهما في موضع واحد وبنيت على قبرهما قبة من الياسمين. وأنزل الله تعلى على قبرهما كتاباً طوله ذراعا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من الله عز وجل إلى عباده إني نصبت المنبر تحت العرش وجمعت ملائكتي وخطب جبريل وشهدت الملائكة وزوجته خمسين آلاف عروس.

وهكذا أفعل بأهل المراقبة فبلاؤهم هو البلاء والسلامة منهن هي السلامة وإنما مدح الله تعلى يحيى بن زكرياء حين جعله حصوراً لا يحب النساء ثم أثنى عليه تبارك وتعلى حيث يقول ﴿وسيداً وحصوراً ونبياً من الله للصالحين﴾[132] فإن من السنة إذا رأى أحدكم المرأة فليأت أهله فإن عند أهله ما يكفيه فإن غلبت عليه نفسه فليذكر حيضتها وليمثلها بين عينيه إذا كانت بعد ثلاثة أيام في القبر وليتذكر حور العين المتطهرات من الحيض. وقد ورد في الخبر أن سليمان ابن داوود عليهما السلام كانت له آلاف جارية فابتلى بذهاب ملكه على يد إحداهن وهي قراطيق بنت الملك البحري وكان سبب ذالك أن سليمان عليه السلام رجع من بعض أسفاره فبينما هو يسير فإذا هو بشيخ كبير قاعدا على قارعة الطريق وهو يقلب عظاماً بين يديه.

---

130 كذا والصواب «صاح».

131 كلمة غير مقروءة هنا.

132 آل عمران ٣٩.

فقال له سليمان عليه [ص65] السلام كم لك هاهنا في هذا الموضع تقلب هذه العظام قال له منذ مائة عام ولا تزوجت امرأة قط فقال له سليمان عليه السلام ولم ذالك أيها الشيخ أما علمت أن مسكيناً رجل بلا امرأة ومسكينة امرأة بلا رجل. قال له يا نبي الله منعني من ذالك هذه العظام نقلبها لم نعرف فيهم الأبيض من الأسود والحر من العبد والذكر من الأنثى والصغير من الكبير والسعيد من الشقي والغني من الفقير. وهذه العظام يا نبي الله من عظام الجبارين وهي مدينة من مدائن الجبارين كانوا لا يجود كبيرهم على صغيرهم ولا يوفر صغيرهم كبيرهم ولا يرحم كبيرهم صغيرهم فأتاهم أمر من الله وهم لا يشعرون.

فقال سليمان عليه السلام هل لك في صحبتنا فتنال بركة الدنيا والآخرة قال له الشيخ يا نبي الله ما نصحبك إلا على خصال تضمن لي حياة بلا موت وشباباً بلا هرم وعافية بلا سقم ودخول الجنة بلا حساب. قال له سليمان عليه السلام لا أقدر على هذا لنفسي فكيف أقدر عليه لغيري فهل عندك من الحوائج غير هذا قال أعظم الحوائج عندك قال وما هي قال أعرف في البحر الخامس جزيرة يقال لها جزيرة داهل بن مهابل فيها جبار عنيد متكبر قد اتخذ في الدنيا دولاً وكبرياء لم يهزم له عسكر قط ولا ذارت له راية ولا عرفت له غاية. وهو مع تجبره وتمرده يعبد ديكاً من دون الله وله بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقدر واعتدال كأنها شمس بدت من غمام أو بدر تجلى على الظلام وأهل مملكته يعبدونه من دون الله.

فإذا كان في كل يوم وصباح يخرج إلى وسط قصره فيجلس على سرير ملكه ويجعل الديك عن يمينه وبنته عن يساره واسم بنته قراطيق واسم الملك صارخ بن طارخ البحري. فيدخل الشيطان في فم الديك فيصرخ صراخاً فيسجد له من دون الله وأهل مملكته أجمعين ولاكن يا نبي الله نحب أن أخرج إليه بجيشك وسلطانك ونقتله وتطهر منه الأرض. فقال له سليمان عليه السلام إن الله تبارك وتعلى لا يهلك أمة حتى يبعث إليها رسولا فأنا أبعث إليهم رسولاً يدعوهم إلى كلمة الإخلاص فإن أجابوه كان لهم ما لنا وعليهم ما علينا وإن أبوا أن يجيبوا استأذنت إليهم في قتالهم فنقاتلهم. ولاكن يا شيخ من كان الرسول إليهم قال الشيخ أنا الرسول إليهم فضحك سليمان عليه السلام ثم قال يا شيخ كم المسافة إليهم قال بيننا وبينهم مسافة خمسة آلاف فرسخ في البحر وأما في البر فلا يصله أحد لبعد المسافة وطول العمارة.

فقال له سليمان [ص66] يا شيخ لا يبعد علينا طريق ولا تصعب علينا المسافة لما أعطانا الله ربي من القوة والملك ثم إن سليمان عليه السلام أقبل على دمرياظ أمير الجن فقال له يا دمرياظ فقال له لبيك يا نبي الله قال له انطلق واختر لي شيطاناً يحمل رسولي هذا إلى جزيرة داهل بن مهابل يبلغ رسولي ويرده إليّ سالماً. فانطلق دمرياظ فقال له لبيك يا نبي الله فاختار له شيطاناً عظيم الخلقة خشن الصورة له رأس كرأس الفيل ويداه كيدي السبع ورجلاه كرجلي الذيب وخرطومه كخرطوم الفهد. فقال له أجب نبي الله فقال له السمع والطاعة قال فلما مثل بين يديه أي سليمان عليه السلام قال له اسمي تاج بن همام ابن الأيسر ابن إبليس لعنه الله. قال فما صنعتك قال نسترق السمع من السماء وننقل الأخبار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ومن ذالك لا يخفى علي خبر.

فقال له سليمان عليه السلام احمل رسولي هذا الشيخ إلى جزيرة داهل بن مهابل حتى يبلغ رسالتي وترده إلي في يومها هذا سالماً مسلماً فقال له السمع والطاعة لله ثم لك معي يا نبي الله فطبع سليمان عليه بخاتم على الطين ثم دفع الطابع إلى الشيخ وقال له انطلق واعرض عليه كلمة الإخلاص وطابعي هذا فإن أجابها فاتركه وارجع إلي. قال فحمله الشيطان وطار به طيراناً وخفق به خفقاناً حتى نزل على الجزيرة فدنى الشيخ من باب القصر فاستأذن عليه بالدخول فأذن له بالدخول فدخل عليه وهو جالس على سرير ملكه. فقال له من أنت فقال له أنا رسول سليمان بن داوود عليهما السلام فقال له ما الذي يريد مني سليمان قال له الشيخ يريد أن تقول لا إله إلا الله وأن سليمان نبي الله ورسوله وأراه الطابع من الطين المطبوع بالخاتم.

فضحك الملك فقال له الشيخ ما أضحكك فقال أظن أن الذي بعثك مجنون قال ولم ذالك قال أن أمرني بعبادة ربه بهذا الطين أنا واحد في بلدي وسيد في قومي ولولا أني آليت على نفسي أن لا أقتل رسولا أتاني لأمرت بضرب عنقك. ولاكن ارجع إليه وأخبره بخبري وأعلمه بملكي وقل له لا يدخلك الطمع الكذاب في ملكي وإلا خرجت إليه بخيلي ورجالي فوطئت بلده وذللت عزه وقتلت رجاله. واعلم أن الذي يدعوني إليه لا يغني عني شيئاً تعلى الله عن قوله فقال له الشيخ ليس عندك من الجواب غير هذا فخرج الشيخ من القصر وأقبل على الشيطان وقال له احملني إلى سليمان بن داوود عليهما السلام. قال فحمله وأقبل به إلى سليمان ابن داوود عليهما السلام حتى مثل بين يديه فقال له سليمان عليه السلام أيها

الشيخ ما وراءك فأخبره بقصته فقال له سليمان يا شيخ انزل ورمق السماء بطرفه وقال إلاهي وسيدي ومولاي ما الذي تأمرني في أمر هذا الطاغي فأوحى الله إليه يا سليمان عليه السلام على دمرياظ رئيس الجن وقال له انطلق واختر لي مائة وخمسين ألف فارس من الجن.

ففعل ما أمره به سليمان وأقبل على آصف بن برخيا وقال انطلق واختر لي مائة وخمسين ألف فارس من الأنس ففعل ما أمره به سليمان عليه السلام فاجتمع العسكر فيه ثلاث مائة ألف فارس بين يدي سليمان بن داوود عليهما السلام فنظر من على قصره [ص67] فنظر إلى عسكر الأنس وكثرته وعسكر الجن وأهواله وقال يا دمرياظ. فقال لبيك يا نبي الله فقال له قد أمرتك على الجن ثم أقبل على آصف بن برخيا فقال له يا آصف قد أمرتك على العسكر من الجن والأنس وأمرهم بالسمع والطاعة لله ثم له. فلما نظر سليمان إلى العسكرين خر ساجداً لله تعلى وجعل يقول في سجوده سجد وجهي لله رب الحمد لله كثيراً وله الشكر دائماً على ما أعطاني ربي وأنا أسأله وعده الذي وعدني ربي في نصرته لي على عدوه.

ثم أقبل على الريح ثم قال لها كم بعد المسافة لهذه الجزيرة فقالت له الريح خمسة آلاف فرسخ فقال لها سليمان أيتها الريح إني أمرتك أن تحملي العسكرين أجمعين إلى جزيرة داهل بن مهابل حتى يقاتلوا عدوي وتردهم إلي في يومك هذا عند صلاة العصر. فقالت له السمع والطاعة لله ثم لك يا نبي الله ثم قال للريح انبسطي بين يدي واحملي العسكرين جميعاً على بركة الله وعونه فانبسطت الريح وحملت العسكرين حتى وصلتهم إلى جزيرة داهل بن مهابل بقدرة الله وعونه وأقبل آصف بن مرخيا على العسكرين فقال لهم ارفقوا قليلاً حتى انطلق إلى الرجل فأعرض عليه كلمة التوحيد لعله يرجع إلى الله تعلى.

فمضى آصف بن برخيا ولبس مدرعة من الشعر وبرنوساً من الشعر وعباءة من الصوف فاستأذن عليه فأذن له فدخل عليه وهو جالس على سرير مملكته والغانيات معه فقال له من أنت قال أنا رسول سليمان ابن داوود عليهما السلام قال له الملك ما يريد مني سليمان قال له يريد أن تقول كلمة الإخلاص لا إله إلا الله وأن سليمان رسول الله قال الملك ومن الله قال له آصف الذي خلقني وخلقك وخلق الخلائق كلهم لا من حاجة منه إلا الإقرار بربوبيته والإخلاص بوحدانيته. قال فإني لا أعرفه قال هو الذي ينفع ويضر ويغني ويفقر ويحيي ويميت ويمرض ويشفي ويعز ويذل فقال له الملك لولا أني آليت على نفسي أن لا أقتل رسولاً أتاني برسالة لأمرت بضرب عنقك ولاكن انطلق إليه وقل له لا يدخلك الطمع الكذاب

في ملكي وعزتي وسلطاني وإلا سرت إليه بخيلي ورجالي وأقتل رجاله وأعلمه أن الذي يدعوني عليه لا يغني عني شيئاً تعلى الله عن قوله علواً كبيراً.

فقال له آصف ليس عندك جواب غير هذا فخرج آصف من قصره وصار حتى وصل إلى العسكرين وصاح بالأنس والجن صيحة الغضب وصاح دمرياظ بالجن صيحة الغضب وصاح جبريل بالملائكة صيحة الغضب فسقط الملك على وجهه مغشياً عليه وعلى أهل مملكته من شدة الصيحة فاختلع القصر من أصله وحمل على ظهر الريح. وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه جميعاً رضي الله عنهم حملت الريح العسكرين وقصر الملك وجميع ما فيه وأقبلت بذالك كله حتى مثلته بين يدي سليمان ابن داوود عليهما السلام قائم يصلي صلاة العصر فلما فرغ من صلاته أقبل عليهم بوجهه الكريم على الله تعالى فقال له دمرياظ هذا الملك يا نبي الله من ولد يافث بن نوح.

فقال له سليمان يا ويح يافث بن نوح [ص68] كل العمالقة والجبابرة من ولده ثم أقبل على الملك وقال له أيها الملك الطاغي الباغي المتمرد على الله قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإني سليمان نبي الله ورسوله. قال له الملك وأنت الذي على في قصري من غير إذني ولا مشاورتي فقال له سليمان يا هذا ما دخلت لك قصراً ولا وطأت لك منزلاً بل أنت أسير في يدي وفي بلادي وقصرك مخلوع أمامي. فقال له الملك وما الذي تريد مني يا سليمان قال أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإني سليمان نبي الله ورسوله فقال له الملك لأن تنقل جبل تهامة حجراً بعد حجر على ظهري أهون علي من قول هذه الكلمة ولم يزداد إلا تمرداً على كفره وطغيانه.

قال فأمر سليمان بضرب عنقه وأعرض على أهل مملكته الإسلام فأسلموا جميعاً فأمر سليمان الريح أن تحملهم إلى جزيرتهم وأخذ سليمان ابنت الملك قراطيق التي وصف له الشيخ ووقع في قلبه محبة لها. فقال لها سليمان عليه السلام من أنت قالت له أنا قراطيق بنت صارخ بن طارخ البحري قال لها سليمان قولي لا إله غلا الله وحده لا شريك له وإني سليمان رسول الله وإلا ألحقتك بأبيك. قالت له يا سليمان لئن أكرهتني على ديني لأقتلن نفسي فخاف سليمان أن تقتل نفسها إن أكرهها على دينها وأمرها بالمسير إلى القصر وأسكنها داراً شريفة وكان معها صنم تعبده من دون الله من ذهب.

ثم إن سليمان اجتاز بها يوماً ودخل عليها وهي لا تشعر فوجدها ساجدة لصنمها فقال لها سليمان ما تصنعين قالت له سجدت لإلاهي فغضب سليمان غضباً شديداً وخرج من عندها وجعل يعاتب نفسه ويقول يا سليمان هكذا كانت الأنبياء قبلك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وأيوب وداوود تعبد الأصنام في زمنهم من دون الله تعلى فاستعدد يا بن داوود لذالك فإنه لبلاء عظيم. فلما نظر إبليس لعنه الله إلى ذالك فدخل في الصنم وتنحنح وتكلم على لسانه فقال لها يا قراطيق فقالت له لبيك يا إلاهها وسيدها منذ عبدتك ما تكلمت لي إلا هذه الساعة فكيف حتى كلمتني في هذا اليوم. فقال لها أتحبين أن أحيي لك أبيك وأرده إلى جزيرته وملكه قالت له وكيف ذالك قال لها مري سليمان بن داوود يقرب لي قرباناً فبعثت قراطيق من ساعتها الى سليمان عليه السلام إني قد اشتقت بالنظر إليك فأقبل سليمان وسر بذالك سروراً عظيماً وظن أنها أحبت الإسلام فهبط من مجلسه وأقبل حتى دخل عليها.

فلما نظرت إليه مقبلاً قامت فاستقبلته وضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه ففرح بذالك فرحاً شديداً وأجلسته في صدر مجلسها وجلست بين يديه وجعلت تضاحكه وتلاعبه. فقال لها سليمان ألك حاجة فقالت له نعم قال لها وما هي قالت له تقرب لإلاهي قرباناً فاضطرب من ذالك اضطراباً شديداً واصفر لونه وقال يا جارية أمسكي عن هذا الكلام لئلا يلحقك مني ما لا قوام لك به وهل يا قراطيق يقرب القربان إلا لله تعلى. فخرج غضباناً فلما نظر إبليس إلى سليمان دخل في الصنم ثانية وتنحنح وتكلم على لسان الصنم وقال لها يا قراطيق قالت له لبيك يا إلاهها وسيدها فقال لها أبى سليمان أن يقرب لي قرباناً [ص69] ولاكن عليك بآصف بن برخيا فبعثت قراطيق إلى سليمان أني حضر لي أمراً أريد أن أشاور فيه أهل الأدب والحكمة والعلم وقد بلغني أن ابن خالتك آصف بن برخيا عنده بلاغة وعقل وأدب وحكم ورأي حسن في المشاورة فابعثه لي لأشاوره في أمري.

فذهب عن سليمان أمر القربان للصنم وأنساه الله لأمر المقدر عليه وظن أنها تريد الإسلام فبعث إلى آصف فحضر فقال له انطلق إلى هذه الجارية البحرية فالطف بها لعلها تسلم ولعل الله يقرّ بها عيني. فانطلق إليها فلما نظرت الجارية إليه مقبلاً قامت إليه وسلمت عليه ووقفت أمامه وقالت له يا آصف قال لها لبيك قالت له أليس سليمان بعثك إلي قال لها نعم فقالت له فتقرب لإلاهي قرباناً فاضطرب آصف من ذالك اضطراباً شديداً وتغير لونه. وقال لها يا جارية

اسكتي عن هذا الكلام فإنه لا ينبغي القربان للصنم وإنما القربان لله تعلى قالت له يا آصف أليس سليمان بعثك إلي قال نعم ولاكنه لم يعلم أنك تسئلي هذه المسئلة العظيمة.

فقالت الجارية فإني مرسلة إليه ثانية فبعثت الجارية إلى سليمان أن آصف قد عصاني في جميع ما أمرته وخالفني قال فرجع الرسول إلى آصف يقول له إن سليمان يأمرك أن تطيع الجارية في جميع ما أمرتك به ولا تخالف لها أمراً فدخلت على آصف من ذالك مشقة عظيمة. قال فلما سمع آصف ذالك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إن هذا أمر عظيم أن يأمرني نبي الله أن أقرب للصنم قرباناً من دون الله تعلى لعل يكون عند الله ما يخلصني من ذالك فقال ما القربان قال كعب الاحبار ووهب بن منبه رضي الله عنهما ثم إن إبليس لعنه الله مثل لها على صفة جرادة سقطت بينهما في وسط المجلس قالت يا آصف قرب لإلاهي بهذه الجرادة فأخذ آصف الجرادة بشماله والسكين بيمينه ورمق السماء بطرفه وقال إلاهي وسيدي أنت تعلم أن الذي أتيته عظيماً كبيراً عليك وما أريد بذالك إلا لطاعتها وطاعة نبيك اللهم لا تؤاخذني.

ثم فرق بين الرأس والجسد ولما فرق بين الرأس والجسد اضطرب سرير سليمان من تحته وناداه يا سليمان الخاطئ إنزل عن ظهري فإني لا يعلوني من عصى الله وسقط التاج عن رأسه ونفرت الجن بعدما كانت لا تقدر على حركة وعرق سليمان عرقاً شديداً أنتن من الجيفة بعدما كان عرقه يفوح أطيب من المسك الأذفر وأنكر شأن ذالك ونزل عن سرير ملكه وخرج إلى قصره. فأقبل إلى آصف فقال له من أين أقبلت فقال من عند الجارية البحرية وقال وما الذي صنعت عندها قال قربت لصنمها قرباناً قال له من ذا الذي أمرك بذالك قال أنت حين بعثت إلي أن لا أعصي لها أمراً ولا أخالف لها قولاً ودخل على سليمان من ذالك مشقة عظيمة.

فعلم من أين أوتي عليه وندم على تركها في قصره ودخل في بيت متعبدة فبكى على خطيئته وندم على معصيته أربعين يوماً حتى ظن أن الله تعلى [ص70] قبل أن يخرجوا منها وأما ألف درهم لكل درهم فيدخر لهم إلى الآخرة والذي بعثني بالحق لدرهم واحد أثقل من جبلكم هذا وأشار بيده إلى جبل أبي قبيس. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر في البيت من غير طواف ولا صلات أفضل من عبادة سنة صائم قائم راكع وساجد وقال صلى الله عليه وسلم من جلس مستقبل الكعبة ساعة واحدة محتسباً لله تعلى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً للقبه كان له أجر الحاج والمعتمر والمرابط الصائم القائم.

وأول ما ينظر الله عز وجل إلى عباده ينظر إلى أهل الحرم فمن رآه طائعاً غفر له وقال صلى الله عليه وسلم من طاف حول الكعبة سبعاً في يوم صيف شديد الحر فاستلم الحجر من غير أن يؤذي أحداً وقلل كلامه إلا عن ذكر الله تعلى كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف درجة ويكتب الله له سبعون حسنة ويمحو عنه سبعين ألف سيئة ويعطيه الله تعلى فضل الماشي على الراكب وفضل الماشي على الراكب كفضل القمر على سائر الكواكب. وقال صلى الله عليه وسلم الكعبة محفوفة بسبعين ألفاً من الملائكة يستغفرون لمن طاف بها ويصلون عليه إلى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من حجه كيوم ولدته أمه.

وقال صلى الله عليه وسلم أن الطائفين بالبيت يخوضون في رحمة الله وأن الله تعلى يباهي بهم الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من الطواف قبل أن يحول بينكم وبينه وكأني أنظر يقول صلى الله عليه وسلم إلى رجل أصلع أقرع من الحبشة جالساً عليها يهدمها حجراً حجراً إلى آخرها. وقال صلى الله عليه وسلم من لمس الحجر تكفيراً لخطاياه وانحطاطاً لذنوبه حطت عنه خطاياه وقال صلى الله عليه وسلم من دعى بمكة أمنت الملائكة على دعائه آمين آمين من حول بيت الله الحرام تحت الميزان وخلف المقام وفي الطواف والعفة والملزم ومنى وعند الحجرات الثلاثة وعند الصفا والموة والسعي من اجتهد بالدعاء في هذه الأماكن الشريفة ضمنت له الإجابة وقسمت البركة عشراً. فجعل في الشام تسعة وفي الدنيا واحدة وقسم الجمال عشراً فجعل في الروح تسعة وفي الدنيا واحدة وقسم الحسد عشراً فجعل في العلماء تسعاً وفي الدنيا واحدة.

فأما المعصية ثلاثة الكبر والحرص والحسد فأما الكبر فأول من تكبر إبليس لعنه الله تعلى حين أمر بالسجود لآدم فاستكبر حتى صار لعيناً وأما الحرص فقد ظهر على آدم حيث تناول من الشجرة لكي يخلد في الجنة فأخرج منها وأما الحسد فقد ظهر على ابن آدم حين قتل أخاه من أجل أخته فصار في النار. قال بعض العلماء نزلت بقرية الإسلام على ساحل البحر فرأيت قبراً عليه مكتوب لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله قال فأشكل الأمر على الفقيه مما رأى وأقبل يلتمس من يبين له الأمر وإذا شيخ كبير قد جلس على ساحل البحر فسلم عليه الفقيه. فقال له الشيخ وعليك السلام فقال له يا شيخ أريد أن أسئلك وأنا غريب تحمل كلامي لغربتي فإن لي عليك حق فقال له الشيخ يا ولدي قل ما شئت فقال له يا شيخ كيف معنى هذا الكلام [ص71] يرحمك الله: لله درّ الحسد ما أعدله بدأ بصحبه فقتله.

فقال له الشيخ يا بني هذا حديث طويل لاكن أنت اليلة في ضيافتي وإن الحديث فيه طويل فإذا جن اليل واطمأنت العقول واجتمعت الفكرة وفرغت أوان الأسرار من المطالب ودفعنا عن أنفسنا شواغل الدنيا وطال الحديث بين الأحباب فحينئذ وجب الحديث. قال صدقت فمشى معه إلى منزله حتى صلوا العشاءين وجعل له بين يديه شمعة وقدم له من الطعام ما حضر ثم أخذ معه في الحديث. فقال له الشيخ كان في هذه الجزيرة رجل من الفقراء وكان حمالاً يحمل على رأسه وظهره دون دابته وهذه القرية هي كما ترى على الساحل وهي مرسى تجار البحر فجاء الشتاء والبرد وقل الرزق ووقعت الشتاء والأنواء فقال المسافرون وإذا بركب عظيم قد نزل بالقرية. وإذا بشيخ أعجمي له مال كثير فوقع النواء والحركة في البحر فأنزل الله المياه وأنزلت التجار أموالهم على الساحل فحذر الشيخ على ماله وكان شحيحاً فقال للحمال كم تأخذ على هذه الأحمال وهي عشرون فقال له يا سيدي عشرة دراهم فقال كثير فقال الحمال قللتها أنا عندي فقل أنت ما خف عندك واحسب ذالك على صدقة لوجه الله تعلى فإن لي بنات عشر لهن ثلاثة أيام ما رأين طعاماً.

فقال له خمسة دراهم فقال له نعم يا سيدي جزاك الله خيراً ما قل كثير وفيه البركة فحمل الشيخ على رأسه حملاً فقال له حط يا حمال فقال له لأي شيء يا سيدي فقال له لأنك طلبت كثيراً فقال له وما تريد أنت فقال له درهمين ونصف فما زال يقول له اطرح ويعييه ويعزر عليه حتى بلغ دانقاً فحمل عشرين حملاً بدانق وجعل الحمال يقول إن المطر يقدم على الحاجة عمى عن طريق النجاة ومن احتاج لا يحتج وأنشدوا في حق الشيخ :

*لا يسقط الخردل من كفه * إن ثقب بمنقار *
*يكتب بالحبر على خبره * سلمك الله من الفار *
*ويجلد الكلب بلا عدة * إن وقف السابل بالدار *
*إن أكل الطير له حبة * حادة ولمزيد بطيار *

غيره :
*أبخل من كلب بني زائدة * ينبح من نبحة واحدة *
*وقطع البحر على ظهره * في ليلة مظلمة باردة *
*وكفه مملوة خردلاً * ما سقطت من كفه واحدة *

ذمَّ الله البخل والبخلاء فقال تعلى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخلِ وقال تعلى ومن يبخل فإِنما يبخل لنفسه. يرجع الحديث إلى الحمال فرفع عشرين حملاً بدانق واحد وعشى بذالك الدانق وتقوى النوى وحب المطر وذهب من اليل أكثره ولم يجد الرجل ما يشتري لبناته وكان عنده عشر من البنات وأمهن.

[ص72] فتحير الحمال في أمرهن فمر بأطفال بأيديهم جوزات خضر يلعبون بهن فقال لهم سألتكم بالله ألا أخذتم مني هذا الدانق وأعطوني الجوزات لبناتي عشر جياع فرقّوا عليه الأطفال ودفعوا له الجوزات وأخذوا منه الدانق. وخرج الرجل عند العشاء وقد ابتلت مرقعته فقامت عليه زوجته وبناته فقالت له زوجته لو جئت بصاع شعير أو خشكر أو فريسة خير لنا مما جئت به. فضاق عليه الأمر وأخبرها بما اتفق له من عسر التاجر وبخله وأن الدانق ما حصل له إلا بعد تلاف عقله ودينه وصحة بدنه فرقت له وبكت بين يديه وتصايح البنات بالبكاء من الجوع وايئسوا من الفرج في تلك الليلة ونزل الظلام والماء وعصفت البروق والرياح. فخرج الحمال وقد ضاقت روحه ولو وجد من يأخذ روحه لوهبها له بلا ثمن فخرج متحيراً لا يدري إلى أين يسير ولا لمن يشير ولم يجد في السوق قليلاً ولا كثيراً.

فإذا هو بصياد على ساحل البحر وقد ارتج وتراكمت أمواجه ونزل المياه والظلام فقال الحمال السلام عليك فرد عليه الصياد السلام كما قال له بالرحمة والبركة فقال له الحمال يا سيدي ما عندك ما يتعشون به عشر بنات عندي وأمهن ولهن ثلاثة أيام ما أكلن شيئاً فقال له الصياد والله يا أخي ما لي إلا ثلاثة أيام ما اصطدت شيئاً وما عندي ما نجود به عليك ولا بقي لي إلا تلك السمكة الجائفة وقد دخلتها الرائحة أنا أولى بها منك أتقوت بها اليلة وهذا نوء ثقيل وما أدري ما يكون غداً. فقال الحمال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقال له الحمال يا سيدي ما تتصدق بها على وجه الله العظيم لأنك تصبر والبنات لا يصبرن على الجوع وأنا وأنت نقدر على الجوع ولعل الله سبحانه أن يخلف عليك فقال الصياد فإذا أعطيتك أنا قوتي فبأي شيء أشتغل عن الجوع فقال له يا سيدي بهذه الجوزات فلما رأى الصياد الجوزات مال إليهن واستوحش رائحة الحوتة فرق على الحمال وأخذ منه الجوزات وأعطاه السمكة. فأخذها الحمال وسار بها إلى داره فلما رأتها البنات ضحكن واستبشرن وكان فيها نحو عشرة أرطال وتبادرن يجمعن الحطب وغسلنها وشققنها فوجدن فيها ياقوتة عظيمة مالها ثمن فأشرق منزل الحمال بها وجعلتها في طاق عنده وخرج إلى السوق يطلب النار.

فمر بالتاجر وهو قد أشرف على العطب وخاف على نفسه من السراق فقال له يا حمال ألا تحملني أنا وخرجي إلى دارك ولك عندي درهم أبيت عندك لئلاّ أقتل وأما الأحمال فهن كبار وفيهن أثقال وأما الاقطاع على سرقتهن ظارقة ولقد خفت على نفسي وهذا الخرج. فقال له نعم يا سيدي فأعطاه درهماً وحمل الحمال خرج التاجر ومشى معه الى بيته فلما دخل التاجر نظر إلى الياقوتة وتحير في أمرها وقال له من أين لك هذه الياقوتة يا حمال فقال له وجدتها في بطن حوت فقال له التاجر وما أنت صانع بها قال أعطيها غداً للأمير يهديها إلى السلطان ويعطيني فيها ما أعطاني الله سبحانه. فقال له التاجر إن أخرجتها تقتل عليها وتطلب لغيرها ولا تدري أين يولي أمرك ولاكن [ص73] بعها لي فقال له الحمال كم عليك فيها قال خمس مائة دينار فقال أثقل روحي عليك كما ثقلت روحك عليك فإن الله تعلى قد انتقم لي منك لأنك عذبتني.

فقال له افعل قال له ألف دينار إن وصلها حمله فقال له الحمال هذا شيء لا يصلح لي منه شيء وأنا آخذ بناتي وأهلي وأنطلق إلى أرض العراق وأبيعها أو أهديها ويفعل الله ما يريد فإن بعتها لك بخمسة آلاف دينار أو عشرة آلاف أو أقل أو أكثر رحلت أنت والمال معروف عندك وأنا إن ظهر علي المال ولم يكن عندي قبل هذا كيف الحيلة أخاف من صاحب البلد أن يعذبني وأموت تحت العذاب لاكن أخبره بالحقيقة ويعطيني ما خلاه الله إليه هنيئاً مريئاً غير مروع ويعطيني ما أعطيتني أنت أو نصفه أو ربعه وربما جعلني أميناً على الجالين[133] ويكفيني ذالك شغلاً أتعين عنده فأنال منه أضعاف ما أعطيتني أنت وأنا [134].

فقال له التاجر لقد كنت كيساً ولاكني أدلك على رأياً أحسن لي ولك إن شاء الله تعلى قال وما هو يرحمك الله قال أشهد لك أنك ابن عمي وأنت ليس لك وارث غيري ولا لي وارث غيرك وأنا أعرف بالمال أوصيت به لك وتعرف أنت أنك قبضته مني وتبريني وتأخذ بيدك عقداً وأنا نسخة فتأمن أنت من السلطان إذا ظهر عليك المال ويكون البيع بيننا صحيح وما بهذا من بأس. فقال له لله درك هذا رأي حسن فأخذ منه الياقوتة ودفع له ثمنها بعد أن كتب بينه وبينه ما قال التاجر وأخذ كل واحد منهم عقداً بيد الثاني وسافر التاجر وباع الياقوتة وربح فيها فوق أمله لأنها كانت ثمينة وزوج الحمال إحدى بناته للصياد وأوثر عليه أنه مبارك عليه

---

133 كذا ولعلها «الحالين».

134 كلمة غير مقروءة هنا.

ورجع التاجر إلى القرية بعد مدة فأنزله الحمال وأكرمه فرأى التاجر مال الحمال كثيرا فساءه ذالك وحسده وتحركت سواكنه ودبر الحيلة كيف يرد ماله فلم يجد حيلة.

فقال في نفسه ما بقيت إلا حيلة واحدة فأنا أقولها لعله يموت وارثه فقال له ويحك يا حمال لقد بعت الياقوتة بأكثر من هذا كله بمائة ألف دينار قال فضحك الحمال ساعة فقال التاجر ما أضحكك يا حمال فقال له الحمال فاتك أنت أكثر من ذالك الذي فاتني. فقال له ما الأمر فقال إني بعت تسعاً وتسعين مثلها وأحسن منها من رجل يهودي بدرهمين فلما سمع ذالك التاجر صاح صيحة واحدة فمات وورثه الحمال بالعقد الذي كان بينهما فغسله وكفنه ودفنه وكتب على قبره البيتين اللذين رأيت فنعوذ بالله من الحسد وقسم العلم عشرة فجعل في قريش تسعة وفي الدنيا واحدة وقسم الذل عشراً فجعل في النصارى تسعة وفي الدنيا واحدة وقسم المصائب عشراً فجعل في الصالحين تسعاً وفي الدنيا واحدة.

وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال مات ابن لي فكتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من محمد بن عبد الله إلى معاذ بن جبل السلام عليك ورحمة الله وبركاته فإني أحمد [ص74] الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر. ثم أنفسنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله الهنية وعواديه المستودعة متعنا الله بها في غبطة وسرور وقبضه بأكر كثير إن صبرت واحتسبت لا يجمعان يا معاذ مصيبنا عليك أن يحبطن حزنك أجرك على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك علمت أن المصيبة قد قصرت عنها. واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً فيذهب أسفك ما هو نازل بك والسلام وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً ربه ومن أصبح يشكوا مصيبة نزلت به فكأنما يشكوا ربه ومن تواضع لغنى لأجل غناه لينال ما في يديه أحبط الله ثلث عمله ومن أعطى القرءان فدخل النار فلا أبعده الله منها يعني أعطى القرءان ولم يعمل بما فيه وتهاون به حتى دخل النار فأبعده الله من رحمته لأنه هو الذي فعل ذالك لنفسه حيث لم يعرف حرمة القرءان.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاث من الأولاد فصبر واحتسب كانوا له جنة من النار وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه كان إذا ولد له ولد أخذه يوم السابع فسئله عن ذلك فقال أني أحب أن يقع في قلبي شيء فإن مات كان أعظم أجراً. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان يجيء بصبي إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثم إن الصبي توفي واحتبس والده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجده قيل له يا رسول الله مات صبيه الذي رأيت فقال هل لا أذنتموني قوموا إلى أخينا نعزوه فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم إذا بالرجل عليه ضرب فقال يا رسول الله إني كنت أرجوه لكبر سني وضعفي فقال له رسول الله ما يسرك أن يأتي يوم القيامة فيقال له ادخل الجنة فلا يزال يشفع حتى يشفع له ويدخلكم الجنة جميعاً فذهب عنه الحزن.

ففي الخبر دليل أن التعزية سنة إذا أصابت الرجل مصيبة تعين على إخوانه تعزيته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يتوجع أحدكم في شسع نعله إذا انقطع فإنه من المصائب. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعلى أنا لله وإنّا إليه راجعون اللهم اجزني في مصيبتي وعقبني خيراً منها إلا جعل الله له ذالك. قالت أم سلمة فلما توفي أبو سلمة قلت ذالك ثم قلت ومن خير من أبي سلمة فاعقبه الله نبيه صلى الله عليه وسلم فتزوجها وقد وعد الله في المصيبة أجراً عظيماً إذا صبر واحتسب وهو قوله عز وجل ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ومعناه الاختيار بشيء من الخوف يعني مخافة قتل العدو والجوع يعني المجاع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين على المصائب وأمرها.

ثم وصفهم فقال الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وإنا إليه راجعون تفسيره نحن عباد الله وفي قبضته وفي ملكه إن عشنا فعليه أرزاقنا وإن متنا فإليه مرادنا وإنا إليه راجعون يعني نموت ونرجع إليه. ثم قال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة يعني أهل هذه الصفة المذكورة والصلوات جمع صلاة والصلاة من الله توفيق الطاعة وعصمة من الذنوب والمغفرة هذا تفسير الصلات الواحدة. وأما تفسير الصلوات فلا يعرف قدرها إلا الله تعلى ثم قال وأولئك هم [ص75] المهتدون إلى الاسترجاع ولو أعطى ذالك أحد لأعطيه يعقوب عليه السلام ألا ترى أنه قال يا أسفي على يوسف ولو علم الاسترجاع لقاله.

وروي أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول تبكي أو لم تنهنا عن البكاء قال لا ولاكني نهيت عن صوتين فأخبرين صوت عند نعمة ومزمار فإنه لعب ولهو وصوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب وزنة الشياطين وهذه رحمة جعلها الله في قلوب الرحماء ومن لا يرحم لا يرحم.

ثم قال يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق لحزنا عليك حزنا وهو أشد من هذا وأنا بك لمحزن تدمع العينين ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الرب. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أول شيء كتب الله في اللوح المحفوظ أنا لله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي من استسلم لقضاء وصبر على سلك وشكر نعماي كتبته صديقاُ وبعثته صديقاً مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضاء ولم يصب على بلاء ولم يشكر نعماء فليخرج ما بين أرضي وسمائي وليتخذ إلاها غيري.

وقال صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبتي وقال صلى الله عليه وسلم الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزاء كتب الله له ثلاث مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماءِ والأرض إلى العرش ومن صبر على الطاعة كتب الله له ست مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض إلى العرش. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسع مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض إلى العرش إلى الأرض السابعة السفلى ووجب الصلاة والرحمة عليه فمتى ذكر مصيبة واسترجع عنها صابراً محتسباً كتب الله له من الأجر مثل ما كتب له حين نزلت عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ما من عبد من عبيدي ابتليته في جسده أو في ماله أو ولده ثم تلقى ذالك بالصبر الجميل تسلى عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات ومن صبر يؤتى في الجنة أعلى الغرفات. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلى فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر فطلع فاستغفر أولئك لهم الأمن من الفزع الأكبر قيل يا رسول الله وما الفزع الأكبر قال إذا فزع الناس إلى جهنم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من أعطين فقد أعطى خير الدنيا والآخرة قيل وما هي يا رسول الله قال قلب شاكر ولسان ذاكر وبدن على البلاء صابر وزوجة عفيفة لا تخونه في نفسها ولا في ماله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يقضى فيه يوم القيامة الدماء وأول ما يعطى فيه الثواب أهل البلاء[135] بين الذين ذهبت أبصارهم ويعطى الناس على قدر شغافهم فيعطى من الثواب حتى يتمنون أنهم يفرضون في الدنيا بالمقاريض. قال بعض العلماء سمعت

135 وردت هنا كلمتان غير مفهومتين.

رجلاً مبتلياً قد قطع الجذام يديه ورجليه وعامة بدنه وهو يقول وعزتك وجلالك لو أمرت للهوام فتقسمني بعضاً بعضاً ما زدت لك بتوفيقك إلا صبرت ولا بك رضاء وسمعت رجلاً يقول إلاهي إن كنت ابتليتني لتأجرني وتجعل بلاءك سبباً إلى رحمتك قلك الحمد على كل حال لأنك أهل لكل خير وأولى لكل نعمة. وأوحى الله إلى أيوب عليه السلام لا تعجبن من صبرك فإني قد علمت ما تجد [ص76] شعرة من لحمك ودمك ولولا أني أعطيت كل شعرة من بدنك صبرا ما صبرت ولم يكن الذي ابتلى الله به أيوب أكلة إنما كان يخرج في بدنه هرج مثل ثدي الغزال ثم يتفقع صديداً.

وقال بعض العلماء مكث أيوب عليه السلام ملقى على المزبلة سبع سنين فلا يمر به أحد إلا وضع يده على أنفه لئلا يجد رائحته. قال بعض الحكماء خرجت أنا أريد الرباط فإذا بمظلمة وإذا فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه وعيناه وهو يقول إلاهي إني أحمدك حمداً يوافي جميع خلقك إذ فضلتني على كثير من خلقك تفضيلاً فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له إني أسئلك عن شيء فهل أنت تخبرني به. قال إن كان لي به علم أخبرتك به فقلت له على أي نعمة تحمده أو على فضل تشكره عليه وقد ذهبت يداك ورجلاك وعيناك فقال لي لو أن الله تعلى أرسل لي ناراً فأحرقتني أو أمر الجبال فدمرتني أو أمر البحار فأغرقتني أو أمر الأرض فخسفت بي ما أزددت له إلّا إخباراً والله إلا شكراً.

ثم قال لي ألك حاجة قلت له وما حاجتك قال كان ولد يتعاهدني لوقت صلاتي ويطعمني عند إفطاري وقد فقدته من أمس فانظر هل تجده لي قال فخرجت في طلبه حتى أتيت كثبانا من رمل وقد وجدته مات والطيور تأكله فوليت وأخبرته بخبر ولده. فلما سمع ذالك مني قال الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا غيره ثم أشهق شهقة عظيمة ومات رحمة الله عليه فقلت أنا لله وإنا إليه راجعون من يعينني على غسله وكفنه ودفنه. فبينما أنا كذالك وإذا بمركب يريد الرباط فأشرت إليهم فأقبلوا إلي فأخبرتهم خبره فغسلناه وكفناه في أثواب كانت عليه وواليت الصلاة عليه ودفناه في مظلمته.

فلما كان اليل رأيته في منامي في قبة خضراء لم يرى الراؤون مثلها وعليه ثياب خضر وهو قائم يصلي ويتلوا كتاب الله تعلى فقلت له أنت صاحبي بالأمس قال نعم قلت له ما الذي صيرك إلى ما أرى فقال لي زدت على الصابرين درجة لم ينلها أحد منهم إلا الصابرون على البلاء والشاكرون عند الرخاء فلم أزل من ذالك اليوم أحب أهل البلاء. قال بعض أهل

العلم خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف بالبيت إذا بامرأة قد أضاء ما حولها من حسن وجهها فقال رجل كان إلى جانبي والله ما رأيت قط امرأة أحسن من هذه المرأة ولا ذاك إلا من قلة الهم والحزن فسمعت المرأة كلامه وقالت له كيف قلت يا هذا الرجل والله إني لكثيرة الأحزان ومملوة بالهموم والأشجان.

قال لها وكيف ذالك قالت أخبرك أن بعلي ضحى بشات وكان لي ولد صغير يلعب وأنا أرضع طفلاً صغيراً فقمت لأصنع لهم منها طعاماً إذ قال ابني الكبير للصغير لأريك صنع أبي بالشات قال نعم فأخذه وأضجعه ووضع الشفرة على حلقه فما رفع يده حتى ذبحه فلما هرق الدم وعلى الصراخ هرب الصبي نحو الجبل فمر به ذيباً فأكله فانطلق أبوه في إثره فأدركه العطش في الطريق فمات عطشاناً فوضعت الطفل الصغير في الأرض وخرجت إلى الباب ننظر ما فعل أبوهم فدب الطفل حتى انتهى إلى البرهة التي على النار فألقى يده فيها فصبه على نفسه فتناثر لحمه على عظمه وبلغ ذالك إلى ابنتي وكانت في حجبتها فضربت بنفسها فصاحت صيحة واحدة فوافقت أجلها فماتت من حينها. فأفردني الدهر من بينهم قال لها الرجل وكيف صبرك على هذه المصيبة الجليلة فقالت يا هذا ما من أحد ميز بين الجزع والصبر إلا كان له [ص77] ثواباً.

فأما الصبر فحسن العلاقية محمودة وأما الجزع فصاحبه غير معوض عوضاً فأعرضت وهي تقول:

*جزعت فكان الصبر في القلب مولع * وهل جزع يجري علي فأجزع *
*صبرت على ما لو تحمل بعضه * سور لكان لي بذالك تضرع *
*ملكت دموع العين حتى رددتها * إلى نظر بالعين في القلب تزمع *

خرج رجل من بني اسرائيل يقال له جابر بن عبد الله على فرس له من عتاق الخيل فبينما هو كذالك في فلوات من الأرض يمشي إذا هو بحيرة عظيمة قد اشتبت بين قوائم فرسه فوقفت على ذنبها وقالت له يا شاب أجرني منعك الله من الفزع الأكبر. فقال سبحان الله أحية تتكلم فقالت أنطقني الذي أنطق كل شيء وهو بكل شيء عليم فقال لها مما أجبرك قالت له من عدو يطلبني إن أدركني قطعني إرباً إرباً قال لها والله ما معي وعاء أخبأك فيه. قالت له اتركني أدخل في بطنها قال لها ويحك وكيف ذالك وأنت عدوتي وعدوة من كان قبلي فقالت له والله لا أخشيت مني أبداً أن أسيء إليك بوجه من الوجوه.

ثم قال اللهم يا سميع يا عظيم أنت تعلم شأني في هذه العدوة فأسئلك أن تملئني صبراً وتجازيني بما أفعل شكراً ففتح فاه وأدخلت الحية في بطنه. فلم يلبث إلا قليلاً حتى أقبل طالب الحية فقال السلام عليك يا شاب هل رأيت أو مر بك عدو لي ولك قال ومن عدوي وعدوك قال حية فتلت ولدي في هذه الساعة قال ما رأيتها قال سبحان الله فأنصر طالب الحية حتى غاب عن بصره. فقال لها أيتها الحية اخرجي قالت له لست بخارجة حتى أجازيك بفعلك قال لها وماذا تجازيني فقالت له اختر لنفسك بين ثلاثة أشياء إما أن أفتت قلبك فأصيره رميماً أو أرضّ كبدك أو أطيل عذابك أيام حياتك. قال لها وكيف ذالك والله ما جازيتيني ولا كافيتيني بفعلي إليك جعلت بطني لك وعاء سترتك من عدوك وكافيتيني بأن تفرقي بين جسدي وروحي. قالت له أي شيء يكون مكافات مثلي لمثلك أما علمت لي مالاً أعطيكه أو داراً فأسكنك فيها وأنا قد غررتك وغررت آبائك قبلك وأنا حية من الجن قال لها سألتك أن تهمليني حتى أصلي ركعتين لله تعلى.

قالت له صل إن علمت أنها تنفعك صلاتك فصلي ركعتين ثم دعى الله وقال اللهم يا غياث المستغيثين ويا ولي المؤمنين ويا كاشف الكروب ويا مفرج المحزونات من فوق سبع سماوات ويا من تواضع له الجبابرة والملوك وأبناء الملوك يا من ليس له شريك يا معروفاً بالمعروف أسئلك أن تشد ركبتي برحمتك يا رحمان الدنيا والآخرة. فالتفت عن يمينه وإذا بعين من ماء وعليها شاب من أحسن الناس وجها فقال له حسبي ما لي أراك قد قلّ صبرك وكثر جزعك قال له قل صبري وكثر جزعي على عدو جاءني جعلت بطني له وعاء وسترته من عدوه. فكافائني بأن يفرق بين لحمي وعظمي وروحي وجسدي قال له لا خوف عليك قد جاءك الفرج من رب العالمين خذه هذه البقلة فكلها فأخذها وأكلها فتضخمت بطنه فأكلها ثانية فتغلقت أحشاؤه فأكلها ثالثة [ص78] فألقى الحية مقطوعة على ثلاثة قطعات.

فقال له من أنت يرحمك الله الذي منّ الله تعلى عليّ بك بعد اليأس وانقطاع الرجاء قال له وما تعرفني قال لا وعزة ربي وجلاله قال له أنا المعروف والله لقد أبكيت ملكية السموات السبع فأوحى الله إلي يا معروف أغث عبدي فجئت إليك أعافيك وأجازيك بفعلك مع الحية وأخذنا لك أن الله لا يضيع أجر من فعل معروفاً وهذا يطول خبره. فنرجع إلى ما كنا بصدده وقسم الهدى عشرة فجعل في العلماء تسعة وفي الدنيا واحدة وقسم الصدق عشراً فجعل في أهل الله تسعة وفي الدنيا واحدة ويكفيك في الصدق حديث واحد بإسناده عن وهب ابن منبه اليماني. قال كان في المدينة إسكندرية رجل كان عطاراً من عظماء بني إسرائيل

يسمى أوش قد ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم ومبعث أمته من التورية ولم يعرف بذالك أحد من بني إسرائيل.

قال فبقي في ذالك الزمان قليلاً ما يذكر فيه محمد صلى الله عليه وسلم قال فمات أوش وخلف ولداً له يسمى بلوغيا[136] وقاح فنشر صناديق أبيه فوجد تابوتاً من الحديد فسأل الجارية عن مفاتيحه قالت لا علم لي بهم فسأل أمه فلم تعلمه بذالك فكسر القفل فإذا فيه صندوق وأدراج من ذهب فوجد فيه صفحة مكتوبة فيها مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من التورية. فقرأه على أمه وعلى بني اسرائيل فاعتبروا وبكوا بأجمعهم وقالوا يا بلوغيا لو أن آباءك كان فينا رئيساً لنبشنا عليه وحرقناه بالنار فقال لهم يا قوم لا يضركم شيئاً أنه قد ترك حظه. قال فأراد الخروج في طلب محمد صلى الله عليه وسلم فاستأذن أمه في الخروج وقال يا أمي نريد الخروج إلى الشام في طلب محمد صلى الله عليه وسلم ولعل الله يرزقني الدخول في دينه فأذنت له فخرج فإذا هو يمشي بجزيرة من جزائر البحر وإذا بحيات كأمثال الإبل وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فلما أبصرناه قلن له أيها المخلوق من أنت فقال لهم أنا رجل من بني اسرائيل واسمي بلوغيا قالوا ما بنو اسرائيل فما سمعنا بهم قال فمن أنت وما سبب اجتماعكن في هذا المكان فقلن له من حيات جهنم تنفخ نفختين في كل سنة فإذا تنفست ألقتنا هاهنا ثم نعود إليها. قال لهن وكيف هي قلن له يا بلوغيا إن حرها أشد من حر الصيف وإن بردها أشد من برد الشتاء وليس في جهنم شبر ولا باب إلا وفيه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذالك عرفنا محمداً صلى إله عليه وسلم قال لهن بلوغيا أيتها الحيات وهل في جهنم مثلكن قلن يا بلوغيا إن في جهنم حيات تدخل إحدانا في أنف الواحدة وتخرج من تحت ذنبها ولا تشعر بها لعظيم خلقتها.

قال فسلم عليهن ومضى فبينما هو يسير وإذا بجزيرة أخرى وفيها حيات كأمثال الجزوع وفيهن حية صغرى إذا اجتمعت الحياة حولها تنفخ عليهن وتدخل كل واحدة منهن تحت الأرض. فقال لهن بلوغيا من أنت قالت أنا مليكة الحياة واسمي بلخيا ولولا أني موكلة بتلك الحياة لقتلن بني آدم في يوم واحد ولكن إذا صحت عليهن تدخل كل واحدة منهن تحت الأرض. فمن أنت وما اسمك وما الذي جاء بك [ص79] إلى هذا المكان قال لها أنا

---

136 «بلوقيا» في النص.

من بني إسرائيل واسمي بلوغيا وخرجت في طلب محمد صلى الله عليه وسلم. فقالت له يا بلوغيا عندي حاجة إذا بلغت محمداً صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني السلام وقل له بلخيا مليكة الحياة تقرئك السلام فمضى بلوغيا إلى بلد الشام والى بلد المقدس وكان فيه حبر اسمه عفان فلقيه بلوغيا وحدثه وسأله فيما أتى فأعلمه بخبره مع الحيات وفيما خرج إليه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

قال له بلوغيا يا عفان إلى كم بيننا وبين محمد صلى الله عليه وسلم سنين وقروناً كثيرة ولاكن يا بلوغيا دلني على مكان الحياة وموضع الحية التي تسمى بلخيا فأنا إن قدرنا على صيدها قلنا ملك لا ينبغي لأحد ونحيا حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم وندخل في دينه. فحمله بلوغيا حرصاً على الإسلام ودخوله في دين محمد صلى الله عليه وسلم حتى أتيا مكان الحية فأخذ عفان تابوتاً وكان قد عرف ذالك من الكتاب وجعل في تابوت لوزين من فضة أحدهما مملوة لبناً والأخرى من خمر. ثم وضع التابوت وتركه مفتوحاً فاستنشقت تلك الرائحة فحلت فاها ثم شربت من اللبن والخمر فسكرت فقام عفان فغلق التابوت عليها فرفعها فسارا جميعاً فلم يحوزا على شجرة إلا وكلمتها بإذن الله حتى انتهينا إلى شجرة فكلمتها تلك الشجرة.

وقالت يا عفان من أخذ مني قطعة فدرسها وعسرها ودهن بها قدميه فإنه يمشي على الماء ولا يبتل له قدم بإذن الله تعلى قال عفان وذالك طلبت وإياك رغبت ثم دنا من الشجرة فقطع منها غصناً وعصر ماءه وجعله في كوز. ثم أطلق الحية من سجنها ووثاقها فطارت بين السماء والأرض وهي تقول يا بن آدم ما أجرمك على الله فذهبت الحية وسار عفان حتى وصل إلى البحر فمشى على الماء كما يمشي على الأرض اليابسة لا يبتل له قدم إلى أن جاز البحر. وإذا بجبل ليس بالعالي ولا بالدني ترابه المسك عليه غمامة بيضاء فنظر فإذا فيها كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب متوكئ على قفاه ويده اليمنى على صدره ويده اليسرى على بطنه كأنه نائم وليس بنائم ولاكنه ميت.

فقال بلوغيا يا عفان من يكون هذا الشاب قال له سليمان بن داوود عليهما السلام فنظر فإذا عند رأسه تنينين يحرسانه وخاتمه في إصبعه وكان ملك سليمان في خاتمه وحلقة الخاتم من ذهب ومن فضة وياقوتة حمراء وفيه مكتوب أربعة أسطر في كل سطر اسم من أسماء الله تعلى وكان عند عفان علم الكتاب. قال عفان يا بلوغيا هل لنا أن نأخذ خاتمه

ويكون لنا ملكه ونرجوا الحياة حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فقال له بلوغيا وكيف ذالك وقد سأل ربه أن يعطيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال عفان إن عندنا اسم الله الأعظم فقال له بلوغيا وكيف لنا بذالك والتنينين يحرسانه قال له عليك بتلاوة التورية فإنهما لا يضر لك شيئاً فأخذ بلوغيا في قراءة التورية وتقدم عفان [ص80] ليأخذ الخاتم.

فقال التنينان يا عفان ما أجرمك على الله أتريد أن تأخذ خاتم سليمان إن كنت قهرتنا باسم الله الأعظم لنغلبنك بقوة الله تعلى فنفخ التنينان نفخة وبلوغيا يقرأ التورية فلم يضره شيئاً ثم تقدم عفان ليأخذ الخاتم فاشتغل بلوغيا بالنظر إلى عفان وتغافل عن قراءة التورية فنزل جبريل عليه السلام فصاح صيحة واحدة اضطربت الأرض من صيحته واختلطت البحار منها فصار عذباً مالحاً. ثم نفخ التنينان فاحترق عفان وجرت نفختهما في البحر فما مرت بشيء إلا حرقته ونجا بلوغيا بأسماء الله العظام ولم يضره ذالك شيئاً بإذن الله تعلى[137]. ثم جاء جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا بن آدم ما أجرمك على الله فقال بلوغيا وما أنت يرحمك الله قال أنا جبريل رسول رب العالمين قال بلوغيا يا جبريل ما خرجت أنا إلا في طلب محمد صلى إله عليه وسلم وإني ما طلبت الخطا ولا تعمدت إليه قال له جبريل بذالك نجوت ثم عرج جبريل عليه السلام الى السماء.

وقد مضى بلوغيا وقد طلا مقدميه بذالك الدهن فضل عن الطريق الذي أتى عليه هو وعفان وأخذ طريقاً غيره وهو لا يدري ومضى وهو يخترق البحور حتى انتهى إلى البحر السادس فجاوزه حتى انتهى إلى البحر السابع وإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الزعفران وأشجارها النخل والرمان. قال ما أشبه هذه بصفة الجنة فتقدم إلى بعض الأشجار متعجباً من كلامها ثم نظر أمامه فإذا هو بقوم بين القصور والأشجار وبأيديهم سيوف مسلولة فلما رأوه أغمدوها وتعجبوا منه وتعجب هو منهم ونادوا بأجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا من أنت يا عبد الله قال أنا رجل من بني إسرائيل واسمي بلوغيا وقد ضللت عن الطريق ورأيت من الأهوال ما لا يوصف فمن أنتم يرحمكم الله قالوا نحن قوم من مؤمن الجن وكنا مع الملائكة في السماء فأنزلنا الله تعلى إلى الأرض لنقاتل كفارة الجن إلى يوم القيامة ولا صبر لمثلك عندنا.

---

137 تكتب هذه الكلمة هكذا دائما.

فانطلقوا إلى ملكهم صخريا فلما رآه سلم عليه فرد عليه السلام وأمره بالجلوس إلى جانبه وحدثه وسأله عن حاله وما رأى من العجائب فبكى ملك الجن المؤمن وصلوا بأجمعهم على محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا بلوغيا نحن مؤمن الجن ولا صبر لمثلك معنا فقال بلوغيا يا صخريا أخبرني عن خلق الجن. قال نعم إن الله تبارك وتعلى خلق جهنم وخلق لها سبع طباق وسبعة أبواب وسبعة جسور فخلق فيها خلقين فسمى الواحد تلهيت والآخر دمليت فأما تلهيت فهو على صورة الأسد وأما دمليت فإنه على صورة الذيب والأسد ذكر والذيب أنثى وجعل كل واحد منهما مسيرة خمس مائة عام وجعل ذنب الذيب بمنزلة العقرب وجعل ذنب الأسد بمنزلة ذنب الحية. ثم أمرهما أن يتناكحا فتناكحا في النار فانتفضا فسقط من ذنب الذيب عقارب أهل النار وسقط من ذنب الأسد حيات أهل النار فعقارب جهنم كلها وحياتها من ذالك. ثم أمرهما أن يتناكحا فتناكحا فحمل الذيب [ص81] من الأسد فولدت لها سبع بنات وسبع بنين فأمرهم أن بتزوج بعضهم من بعض ففعلوا ذالك فأطاعوا منهم ستة وعصى السابع وهو إبليس عصى أباه فلعنه وكنيته أبو العمر ولعنه الله في الثانية بسبب آدم فسماه إبليس وكناه أبو مرة.

فهذا شأن خلق الجن ثم قال له إن بني آدم لا تستقر مع الجن ولاكن اركب فرسي هذا فإذا وصلت إلى ساحل البحر تجد شيخين ومعهما شاب فادفع إليهم الفرس فمضى بلوغيا حتى انتهى إلى ساحل البحر فوجدهم قاعدين فسلم عليهم فردوا عليه السلام فدفع لهم الفرس وكان بلوغيا بلغهم في نصف النهار. فقالوا له يا بلوغيا متى فارقت الملك قال فارقته غدوة قالوا ما أسرعت ما جئت أتعبت الفرس قال لهم يا قوم والله ما حركت عليه يداً ولا رجلاً ولاكن سارت سيراً شديداً فنزعوا السرج والبرقع عن الفرس فإذا هو قد عرق وله جناحان قد أرخاهما من شدة الطيران فقالوا يا بلوغيا سرت اليوم مسيرة خمس مائة عام وذالك الفرس حين حس بثقلك كان بين السماء والأرض وبين البناء وجبل قاق وأنت لا تعلم ولاكن الجن أخف من الإنس.

قال بلوغيا هذا عجب ما رأيت وما ظننت أن هذا يكون قالوا له يا بلوغيا عجائب الله أكثر فسلم عليهم ومضى فبينما هو يسير وإذا بملك يده بالمشرق ويده الأخرى بالمغرب وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم بلوغيا ومضى. ثم قال له من أنت أيها الملك وما اسمك قال له اسمي برخيائل وأنا موكل بضوء النهار وظلمات اليل قال بلوغيا فما بال يديك مبسوطتان قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي يد اليسرى

ظلمات اليل فلو شئت النهار كله لضاءت السموات والأرض ولم يكن اليل أبداً ولو شئت الظلام كله لظلمت الدنيا ولم يكن ضوء أبداً وبين عينيه سطران مكتوبان أحدهما أبيض والآخر أسود. قال له بلوغيا هذين السطرين الذين بين عينيك قال له الملك إذا رأيت الأسود نقص نقصت من الظلمات وإذا رأيت الأبيض نقص نقصت من الضوء فلذالك اليل في الشتاء أطول واليل في الصيف أقصر وفي الشتاء النهار أقصر واليل أطول.

ومن أنت أيها المخلوق قال له أنا رجل من بني إسرائيل وسلم عليه ومضى فبينما هو سائر وإذا بملك آخر يده اليمنى في السماء والأخرى في الماء وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه فقال له الملك من أنت أيها المخلوق قال له أنا رجل من بني إسرائيل اسمي بلوغيا فمن أنت أيها الملك وما اسمك قال له سيحيائل قال له بلوغيا ما بال يدك في السماء ويدك في الماء. فقال له اليمنى أحبس بها الريح واليسرى أحبس بها البحر فلو رفعت شمالي لغرق من في السموات ومن في الأرض في ساعة واحدة ولو نزلت يميني لهلك [ص82] من في السموات ومن في الأرض في ساعة واحدة ولاكن أشدها بين أصابعي فإذا خرجت لم تمر بشيء إلا أخذته فيصير بعضها برداً وبعضها ثلجاً فإذا وصل الأرض رجع كما كان أول مرة.

فسلم عليه ومضى فبينما هو يسير وإذا بأربعة أملاك أحدهم رأسه كرأس الثور والثاني رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الأسد والرابع رأسه كرأس الإنسان فأما الذي على صورة الثور فهو يدعو للبهائم ويقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف ولو في قلوب بني آدم الرأفة والرحمة ولا تحملهم فوق طاقتهم. وأما الذي على صورة النسر فهو يقول اللهم ارحم الطيور ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف واجعلني في شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. وأما الذي على صورة الأسد فهو يدعوا للسباع ويقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف واجعلني في شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. وأما الذي على صورة الإنسان فهو يدعوا اللهم ارحم المسلمين والمسلمات ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف واجعلني في شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

قال فسلم عليهم ومضى فبينما هو يسير وإذا بجبل يقال له قاق وقاق جبل محيط بالدنيا وهو جبل من ياقوتة خضراء وذالك لقوله تعلى ﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن

جاءهم ﴾[138] فلما نظر إلى الملك سلم عليه فرد عليه الملك السلام فقال له من أنت ومن أين أقبلت قال أنا رجل من بني إسرائيل واسمي بلوغيا قال وأين تريد قال خرجت في طلب محمد صلى الله عليه وسلم ولم أجد له خبراً فقال له الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ربنا بالصلاة عليه ولم نره. قال له بلوغيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيائل قال له أيها الملك ما تصنع ها هنا قال أنا من العمال على جبل قاق فنظر بلوغيا إلى وتد في يده وهو يهزه مرة ويخليه مرة وعروق الأرض كلها مشدودة في الوتد وهو في يده فإذا أراد الله أن يضيق على عباده في الأرض أمرني أن أشد الوتد فيشتد عليهم فإذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرني أن أجر عروق الأرض وأن أحركها فلهذا يهتز موضع دون موضع.

قال له بلوغيا أيها الملك ما وراء هذا الجبل قال أربعون دنيا غير دنياكم هذه في كل دنيا مائة دنيا وأربعون مثل الدنيا التي جئت منها ليس فيها ظلمة كلها نوراً عليها حجاب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا إبليس وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لذالك خلقوا وبذالك أمروا وعلى ذالك يبقوا إلى يوم القيامة. قال بلوغيا وما وراءهم قال له حجاب وخلف [ص83] الحجاب علم قال بلوغيا أيها الملك كم الأرضون وكم البحار قال له الأرضون سبع والبحار سبع قال فأين جهنم قال تحت الأرض السابعة السفلى. فسلم عليه بلوغيا ومضى حتى انتهى إلى الحجاب طوله في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفول مختوم خاتم من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما بلوغيا فردا عليه السلام وقالا له من أنت وما اسمك أيها المخلوق قال أنا رجل من بني إسرائيل واسمي بلوغيا فخرجت في طلب محمد صلى الله عليه وسلم حتى انتهيت إلى هذا المكان قال لهما بلوغيا أيها الملكان كيف عرفتما محمداً صلى الله عليه وسلم وهو من نسل آدم وأنتما لا تعرفان آدم قالا له ها هنا خلقنا وأمرنا بالصلاة عليه إلى يوم القيامة.

قال لهما بلوغيا افتحا لي الباب حتى أجوز قالا له ما نقدر على فتحه فدعى بلوغيا وتضرع لله تعلى فأمر الله تعلى جبريل أن يفتح الباب ثم قال له جبريل ما أجرمك على الله ثم مضى حتى انتهى إلى بحر ملح وبحر عذب في البحر الملح جبل من ذهب وفي العذب جبل

---

138 سورة ق ١.

من فضة وبينهما نمل من أمثال الغزلان فلما انتهى إليهم[139] سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له من أنت قال أنا رجل من بني إسرائيل واسمي يلوغيا فأخبروني من أنتم قالوا نحن أمناء على البحرين ولا يختلطان ولا يبغيان وذالك قوله تعلى ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾[140] يعني لا يختلطان وهذا الجبلان اللذان من ذهب وفضة هم كنوز الله في الأرض فكل ذهب في الأرض وكل فضة فهي من هذين الجبلين وكل ماء حلو فهو من هذا البحر وكل ماء مر فهو من هذا البحر الملح[141].

فسلم عليهم بلوغيا ومضى حتى انتهى إلى بحر وفيه حيتان وبينهم حوت عظيم يقضي بينهم فلما نظروا إليه قالوا بأجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له من أنت قال أنا رجل من بني إسرائيل واسمي بلوغيا خرجت في طلب نبي يقال له محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له يا بلوغيا فإذا لقيته فأقرأه مني السلام. قال أيتها الحيتان إني جائع وعطشان وماء البحر ملح وليس أجد شيئا آكل منه فهل من شيء تطعموني قال له الحوت الذي يقضي بينهم أنا أطعمك طعاماً تسير به أربعين يوماً لا تعيا وتنام ولا تجوع فأعطاه الحوت قرصاً أبيض فأكله بلوغيا وسار بينهما وهو يسير.

وإذا بشاب يمر على الماء كالبرق الخاطف قال له بلوغيا من أنت قال اسئل الذي خلفي فمضى وإذا هو بآخر يمر كالريح العاصف قال له بلوغيا من أنت قال اسئل الذي خلفي فمضى بلوغيا يوماً وليلة وإذا هو برجل آخر قال له بلوغيا [ص84] سألتك بالله العظيم وبوجهه الكريم إلا ما وقفت لي فقال له ويحك لا تستحلفني قال خشيت أن تقول لي مثل ما قال أصحابك فأخبرني من أنت ومن صاحبك. قال الأول أسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائل صاحب المطر وأرزاق العباد وأنا جبريل رسول رب العالمين. قال يا جبريل وأين تذهبون قال له إلى البحر قال وما تصنعون فيه قال له حية من الحيات آذت سكان البحر فأمرنا ربنا نسوقها إلى جهنم يعذب بها الكفار قال بلوغيا يا جبريل وما طولها قال طولها ثمانون سنة وعرضها أربعون قال فهل في جهنم مثلها قال بلوغيا إن في جهنم حيات تدخل في أنف أحدهما وتخرج من دبره ولا تشعر بها من عظم خلقتها.

---

139 لقد أضيفت هنا «سلم إليهم».

140 الرحمن ١٩.

141 كذا عوض «مالح».

فسلم عليه بلوغيا ومضى حتى وصل إلى جزيرة من جزائر البحر وإذا هو بغلام أمرد يصلي على قبرين فسلم عليه وقال له من أنت قال أنا رجل من بني إسرائيل واسمي بلوغيا فمن أنت يرحمك الله قال أنا صالح النبي وأنا أصلي على قبر أمي وأبي إلى يوم القيامة فسلم عليه ومضى حتى انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر وإذا بشجرة وتحتها سرير من ذهب وعلى السرير مائدة من الطعام عليها منديل من السُنْدُس وفوق الشجرة طائر. فسلم عليه بلوغيا فرد عليه السلام وقال له كل من تلك الطعام فأكل. وإذا هو بشيخ قد أقبل وعليه ثياب خضر كلما خطا خطوة نبت العشب تحت قدميه قال فسلم عليه بلوغيا وقال له من أنت فقال له أنا الخضر فأعلمه بلوغيا فما رأى من الأهوال والعجائب وما كان من أمره في طلب النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال له بينك وبينه قرون كثيرة فسأله أن يرده إلى أمه فقال له اركب على هذا الطير فركب على ظهره فقال له الطير أغمض عيناك ففعل فطار به الطير حتى وضعه عند أمه فقال لها يا أماه ما الذي جاء بي قالت له يا بني طائر أبيض وضعك بين يدي. فخرج بلوغيا إلى بني إسرائيل ليحدثهم ويوصف لهم ما رأى من العجائب والغرائب فلما سمعوا حديثه وما اتفق له في خروجه كتبوا ذالك في جميع كتبهم يتحدثون به طول حياتهم ويتعجبون من غرائب أمره فهذا ما جاء في الصدق وأهله. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن عدد الممسوخين** وما كان ذنبهم قالت له نعم منهم الفيل ذكر أنه كان رجلا لواطا وكان ينكح البهائم فمسخه الله تعلى فيلا والثاني الدب ذكر أنه كان مؤنثاً يؤتى في دبر فمسخه الله تعلى دباً والثالث الضب ذكر أنه كان رجلاً يسرق التمر من رؤوس النخل.

فمسخه الله تعلى ضباً والرابع الوطواط ذكر أنه كان رجلاً أعرابياً يسرق الحجاج في طريق فمسخه الله تعلى وطواطاً والخامس القنفذ ذكر أنه كان رجلاً نماماً بين الخلق فمسخه الله تعلى [ص85] قنفذاً والسادس العقرب ذكر أنه كان رجلاً نماماً قراضاً لا يكاد أحد ينجو من لسانه فمسخه الله تعالى عقرباً والسابع الدغموص ذكر أنه كان رجلاً يمشي بين الناس بالنميمة فمسخه الله تعلى دغموصاً والثامن الجريث ذكر أنه كان رجلاً ديوثاً يدعوا الناس إلى خليلته فمسخه الله تعلى جريثاً والتاسع القرد مسخهم الله تعلى من القوم الذين اعتدوا في السبت من بني إسرائيل والعاشر الكوكب يسمى سهيلاً ذكر أنه كان رجلاً عشاراً باليمن ظالماً فمسخه الله تعلى كوكباً.

وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعنه إذا رآه والحادي عشر زهرة ذكر أنه كانت امرأة افتتن بها هاروت وماروت فمسخها الله تعلى كوكباً والثاني عشر الأرنب كانت امرأة قدرية لا تغتسل من الحيض ولا غيره فمسخهما الله تعلى أرنباً والثالث عشر الخنفساء ذكر أنها كانت امرأة سحرت ضرتها فمسخها الله تعلى عنكبوتاً والخامس عشر الخنازير الذين مسخهم الله تعلى من قوم عيسى عليه السلام من الذين أكلوا من المائدة والسادس عشر العقاب ذكر أنه كان رجلاً عصاباً فمسخه الله تعلى عقاباً والسابع عشر شقشاق ذكر أنه كان رجلاً ضحاكاً والعرنوق[142] والذيب والثعلب والضربان والسلحفة كان رجلاً خباطاً فهذا عدد الممسوخين وسبب ما عوقبوا عليه.

قال لها أحسنت يا جارية في كل ما نطقت به ولا بقي لي عندك إلا مسئلة واحدة فإن أتيتيني بجوابها سلمت لك وانصرفت فقالت ما عندك من العلم فقال لها أخبريني عن فرضك فقالت له أي فرض تريد أن تسئلني عنه عن فرض واحد أو عن خمس أو عن خمس أو عن خمس أو عن خمس أو سبعة عشر أو عن أربعة وثلاثين أو عن واحد من أربعين أو عن واحد من ثلاثين أو عن واحد من خمسة أو عن خمسة من مائتين أو عن واحد من اثني عشر ولا يكمل ذالك كله إلا بواحدة في طول عمره.

قال سألتك عن فرضك فأتني بحساب ذالك فقالت له لولا الدين حساب ما أخذ الله تبارك وتعلى عباده بالحساب حيث يقول وتوضع الموازين ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين. قال لها سألتك بالله العظيم أن تخبريني عن هذا كيف يفسر قالت لي أما قولي عن فرض واحد فهو دين الإسلام وقولي لك عن خمس فهو خمس صلوات بخمسة أوقات بخمسة أوضية بخمسة نيات بخمسة تكبيرات بخمسة تسليمات بسبع عشر ركعة بأربع وثلاثين سجدة بأربع وتسعين تكبيرة في الرباعية اثنتان وسبعون واثنتان وعشرون تكبيرة في غيرها وفي السنة ألف صلاة وثمان مائة صلاة وركوعها خمسة آلاف ركعة ومائتان ركعة وخمس ركعات وسجودها عشرة آلاف [ص86] سجدة وأربع مائة وعشر سجدات وتكبيرها أربع وثلاثون ألفاً وعشر تكبيرات.

وأما قولي لك واحد من أربعين ديناراً على أربعين في الزكاة وقولي لك واحد من ثلاثين فلكل ثلاثين عجل تبيع واجب في زكاة البقر وقولي لك واحد عن خمسة من الإبل وأما

142 كذا والصواب «الغرنوق».

قولي لك خمسة من مائتين فهي خمسة دراهم من مائتي درهم من الورق وأما قولي لك واحد من اثني عشر فهو رمضان وقولي لك لا يكمل ذالك إلا بواحدة فهي الشهادة.

قال لها أحسنت يا جارية بارك الله فيك فقالت له يا سيدي ألقيت علي مسائل كثيرة وأنا أريد أن ألقي عليك مسئلة واحدة فإن كان عندك جوابها فلك الفضل كله. قال ما هي يا جارية قالت له أخبرني عن رجل نظر إلى أمة قوم عند صلاة الغدات[143] فحرمت لأنها كانت لا تحل له فلما كان صلاة الظهر اشتراها فحلت له فلما كان صلاة العصر أعتقها فحرمت عليه فلما كان صلاة المغرب تزوجها فحلت له فلما كان صلاة العشاء الأخيرة طلقها فحرمت عليه فلما كان صلاة الصبح راجعها فحلت له فلما كان صلاة الظهر ظاهرها فحرمت عليه فلما كان صلاة العصر أعتق عنها فحلت له فلما كان صلاة المغرب ارتد عن الإسلام فحرمت عليه فلما كان صلاة العشاء الأخيرة تاب إلى الله تعلى فحلت له.

فهذا جواب مسئلك قال فلما رآها الأستاذ تمر في جوابها كمر السحاب ولا تتوقف في شيء مما سألها عنه قام قائم على قدميه وقال أشهدك يا أمير المؤمنين أن الجارية أعلم مني بالفقه ومسائله وإني مقر لها بذالك وهذا واجب الانصراف فانصرف وانتهى خبر الجارية مع الفقيه العالم بالكتاب والسنة فحمد الله وحسن عونه ودخلت مع القارئ النحوي في اللغة والقرآن.

باب ما فعلت الجارية مع القارئ النحوي ثم التفتت وقالت أيكم الأستاذ المعرب بدا القائم بالنحو واللغة واشتقاق الحروف والألفاظ قال فقام إليها الأستاذ وقعد بين يديها وقال لها أنا هو ذالك يا جارية تسئليني أم أسئلك قالت له اسئل عما شئت فقال لها يا جارية هل قرأت كتاب الله وأحكمت آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومشابهه ومكيه ومدينه وغرائبه وتفسيره على الرواية وأصول القراءة. قالت له نعم يا أستاذ قراءة[144] كتاب الله وعرفت منه إحدى وثلاثون نحواً أولها المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول والأسباب والإضمار والخاص والعام

---

143 كذا.

144 كذا بدل «قرأت».

والأمر والنهي والوعد والوعيد [ص87] والحدود والأحكام والخير والافتقار والاهمة[145] والحروف المتصرفة والأعذار والإقرار والحجة والاحتجاج والمواعظ والأمثال والقسم.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيه قالت له نعم يا أستاذ التعوذ واجب ندب الله إليه وأمر به عند قراءة القرآن قال الله عز وجل فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. قال لها أحسنت يا جارية فما معنى لفظه قالت له اختلفت القراء في بعض فمنهم من تعوذ بالله السميع العليم ومنهم من يستعذ بأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم وأحسن من هذه الوجوه ما دل عليه التنزيل وورد فيه السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني الشيخ رحمه الله تعلى بإسناده عن نافع بن جبير عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام بالقرآن قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروينا بإسناد آخر يرفع عن ابن جبير عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي في اليل قال الله أكبر الله أكبر وسبحان الله بكرة وأصيلا يقولها ثلاث مرات ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ومن نزعاته ومن نفخته.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال وما ترى جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمه الاستعاذة فقال والامتناع والشروق والمخص واللجا إلى الله تعلى من همزات الشياطين لقوله تعلى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين والدليل على ذالك من الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعلى فإذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وأما السنة فروى نافع بن جبير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعوذ قبل القراءة بهذا جهراً وروي عن ابن مسعود أنه قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كذا قرأه جبريل عليه السلام عن اللوح عن القلم واختار هذا اللفظ القراء كلهم وكفى بذالك دليلاً.

قال لها أحسنت يا جارية فمن أين اشتق الشيطان فقالت اختلفت العلماء في اشتقاق الشيطان فقيل إن اشتقاق الشيطان من الشطن إذا بعد ومنه قولهم دار شطون أي بعيدة فهو بعيد من رحمة تعلى مطرود عنها وقولهم بير شطون أي بعيدة القعر وقيل مشتق من قولهم اشطن إذا خالف فهو مخالفته لأمر الله تعلى وقيل مشتق من شاط يشيط إذا هلك فأهلكه الله تعلى على معصيته والشيطان من الامة كل مجرد عن الطاعة من الجن والإنس. والرجيم فيه

145 كذا والمعنى غامض.

ثلاثة أقوال فقيل إنه مرجوم بالنجوم على استراق السمع قال الله تعلى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وقيل إنه مستور على [ص88] معصية الله تعلى.

قال تعلى لئن لم تنته لنرجمنك أي أشتمنك وقيل معناه ملعون أي مطرود مبعود من رحمة الله تعلى قال الله تعلى شيطاناً مريداً لعنه الله أي أبعده الله لأن اللعنة مشتقة من البعد وهو معنى الملاعنة بين الزوجين لأنه يباعد النسب والرجيم معناه مرجوم وقيل جيء بالاستعاذة لله عاذ لأن معنى الاستعاذة الاستجارة من الشيطان الرجيم بالله ومعنى للدعاء. فإذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وهو ليس بآية من القرءان إجماعاً إلا ما جاء في سورة النحل ويتعوذ القارئ قبل القراءة ويجهر ويسر ولاكن الجهر فيه أحسن وأشهى أي كثر وظهر وانتشر وفشا ومنه قول الله تعلى إذا عوا به أي أفشوه وبعض القراء يخفونه في جمع القرءان.

وأخبار الاستعاذة كثيرة منها أعوذ تالله العلي من الشيطان الرجيم الغوي أعوذ بالله وكلماته من الشيطان الرجيم وهمزاته أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم أعوذ بكلمات الله التامات من الشيطان وهامات فهذه الألفاظ كلها وردت عن القراء. وقد تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها وهي مستحسنة كلها والمختار من هذه الألفاظ الذي ورد في النحل ووردت فيه ألفاظ كثيرة أعوذ بالله من الشيطان فإنه مغو للإنسان أعوذ بالله من شدة العقاب أعوذ بالله من مناقشة الحساب أعوذ بالله من غضب رب الأرباب أعوذ بالله من فعل الرديء أعوذ بالله من شماتة العدة أعوذ بالله من الذل والعار أعوذ بالله من كثرة الأوزار فإنها تورث غضب الجبار وتخرج أهلها من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من عذابه الأليم أعوذ بالله من عذاب الله. وفي الاستعاذة عشر خصال الأولى الاعتصام بالحبل المتين والثانية العمل بالكتاب المبين والثالثة الزيادة في اليقين والرابعة الثبات على الدين والخامسة الدخول في الحص والسادسة السلامة من شر اللعين والسابعة تزيين القلوب بالتسكين والثامنة النجاة من العذاب المهين والتاسعة الوصول إلى المقام الأمين والعاشرة اللجأ لرب العالمين فهذا ما جاء في الاستعاذة.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في بسم الله الرحمن الرحيم قالت له نعم لما نزلت البسملة هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وصغت البهائم بآذانها تسمع ورجمت الشياطين من السماء وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب لتعلمها بنزولها فأقسم رب العزة أن لا يذكر اسمه على شيء غلا بارك فيه. وروي عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال من قال بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة وقال بعض العلماء بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن ينجيه الله من [ص89] الزبانية التسعة عشر فليقل بسم الله الرحمن الرحيم لأن عدد حروفها عدد الزبانية قال لها ما الحكمة في أن يجعل الله الزبانية خزقة جهنم تسعة عشر هل لا جعلهم أقل من ذالك أو أكثر.

قالت له نعم إن الله تعلى خلق النار وخلق لها سبع طبقات ستة منها للكفار يدخلون فيها والواحدة للعاصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالكفار يدخلونها على ثلاثة أشياء على ترك الاعتقاد بالقلب وعلى ترك النطق باللسان وواحدة لترك العمل بالجوارح. وقيل إن الحكمة في ذالك ثلاثة مضروبة في ستة بثمانية عشر والمؤمن العاصي يدخل النار على ترك العمل بالجوارح فقط فجعل الله تعلى على ذالك الباب ملكا واحداً لترك العمل بالجوارح. وقيل إن الحكمة أن ساعات اليل اثنى عشر[146] ساعة وساعة النهار كذالك فالمجموع من هذا أربعة وعشرون ساعة فخمس ساعات منها مشغولة بالعبادة وهي الصلوات الخمس فهذه المشغولة بالعبادة لم يجعل الله لها ملكاً. فانزع خمسة من أربعة وعشرين بسم الله به يبتدئ[147] الكلام والرحمان الرحيم هو التمام بسم الله تشرح الصدور بسم الله تفرج الصحور بسم الله تغني الحاجات بسم الله تقطع بها الفلوات بسم الله تصلح به الصلوات بسم الله جرت سفينة نوح بسم الله به تطمئن النفس والروح بسم الله سلم به الفلك من الطوفان بسم الله يسلم به المؤمن من الهوان.

قال لها أحسنت يا جارية فهل البسملة نزلت متصلة أم منفصلة أو متفرقة قالت له نعم لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بمكة كان يقول باسمك اللهم حتى أنزل الله عليه قول نوح عليه السلام بسم الله مجريها ومرسيها فكتب بسم الله حتى أنزل عليه قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزل عليه قول سليمان أنه من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم. فكان صلى الله عليه وسلم يكتب كذالك فبقيت سنة في أمته إلى يوم القيامة وجيء بها في أول كل سورة على جهة التبرك بسم

146 جاءت هذه الكلمة في الهامش.

147 «يبتدا» في الأصل.

الله تعلى وبصفاته لقول عائشة رضي الله عنها اقرؤوا ما في المصحف وهي مكتوبة وذالك الإشارة لمن يقول انها آية من كتاب الله تعلى ويسقط الأول من أولها لكثرة الاستعمال.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتبها في كل سورة إلا في سورة براءة وذالك أن براءة لها حالين الحالة الأولى إذا بدأ من أولها والحالة الأخرى إذا تم السورة. ودخلها الوجهين ممنوعين من البسملة وذالك أن وجه المنع في النطق بها اتباعاً[148] للمصحف وامتنع الكتاب من ذالك لوجوه أحدها أن براءة هي سورة واحدة مع الأنفال وقيل إنها قريبة من سورة البقرة وإنما رفع أولها ومعنى رفع أي نسخ. وفيما يقال كان في أوله إذا زيافا رجموها فإذا ابتدأ ذالك فهي بمثابة جزء من القرءان. قال عثمان بن عفان مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا ذالك وكانت براءة من آخر ما نزل من القرءان كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نكتب بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة إلا في أول [ص 90] براءة.

وجميع القرّاء[149] يبسملون بين السورتين غير أبي ابن أبي عمارة الكوفي وأبو عمر وابن العلا البصري فإنهما لا يبسملان بين السورتين فخير ولا خلاف بينهم أجمعين في ترك البسملة فيها. وإنه لقصص يطول ذكره ولاكني أقول لك منه اختصاراً وإنما ذالك توفيق من رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة براءة فقال لا لأن براءة نزلت بالسيف فيها أمان وبسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة عذاب وقيل إن بسم الله الرحمن الرحيم رحمة وبراءة شر وقيل إن فيها خافية لذالك كله وقيل إنها نزلت بنقض العهد. وقال أبو عمر وكانت عادة العرب إذا أرادوا نقض عهد كتبوا من بني فلان من غير بسملة وإنما منعت البسملة من أولها لقبح لفظها. وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب رضي إله عنه إلى قوم مشركين في يوم الموسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والبسملة أمان ويروى أن من قرأها من قلبه خالصاً لم يحترق بالنار ولم يغترق بالماء.

قال لها أحسنت يا جارية فما معنى بسم الله الرحمن الرحيم عند أهل التأويل قالت له نعم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قعد عيسى عليه السلام بين يدي المعلم فقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال له عيسى عليه السلام وما معنى بسم الله الرحمن

148 كذا.

149 «القراءن» في الأصل.

الرحيم فقال له المعلم لا أدري فقال له عيسى عليه السلام الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملكه وقال الحسن الميم مجده. قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني كيف كانت العرب تكتب قبل نزول القرءان على النبي صلى الله عليه وسلم قالت له نعم سئل ابن عباس رضي الله عنهما فقال له معشر قريش هل كنتم تكتبون بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون ما افترق وتقطعون ما قطع وتغلق فيه ما اتصل من حروف الهجاء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. قال نعم فقيل من علمكم ذالك قال حرب بن أمية بن عبد الرحمن ابن جدعان عن أهل الأنبار عن طارئ من أهل اليمن من كندة عن الخلجان بن الموهم وكان يكتب الوحي لنبي الله هود عليه السلام.

قال لها أحسنت يا جارية ثم أطرق ساعة ورأسه إلى الأرض وقال لها والله ما هذا إلا عجب عجيب ما تكلمت هذه الجارية به في التعوذ والبسملة فكيف في غيرهما قال لها أحسنت يا جارية. ثم قال لها أخبريني عن حروف المعجم وتفسيرها قالت له نعم حدثني الشيخ رحمه الله قال لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قالت له قريش يا محمد إن كنت صادقاً فأخبرنا بتفسير حروف العجم فقال أما الألف فهو الله الذي خلق كل شيء وأما الباء بارك الله لعباده في الرزق وأما التاء تاب الله على آدم حين أكل من الشجرة وأما الثاء ثبت الله الأرض أن تزول وأما الجيم جمع الله بعلمه كل شيء وأما الحاء حاط بكل شيء علماً وأما الخاء فالله تعلى خالد لا يموت أبداَ كتب على نفسه البقاء وكتب على عباده الموت والفناء وأما الدال دنى الله في علوه وتعلى في كبريائه وأما الذال أذل الله أهل النار ومن فيها وأما الراء فهو ربوبية الله تعلى [ص91] لأنه رب السموات والأرض وما فيهما.

وأما الراء[150] فهي رواية في جهر وأما الطاء فهو طول القيامة وأما الظاء فهي الكلمات التي أرسل الله يوم الطهر يوسف في وجهه عليه السلام وأما الكاف كلم الله موسى تكليماً وأما اللام فاللوح الذي كتب فيه كل شيء وأما الميم فهو محمد صلى الله عليه وسلم. وأما النون فهو الحوت الذي عليه قرار الأرض من كبده يأكل أهل الجنة قيل اسمه نون وقيل اسمه بهموت وقيل اسمه ليوت وقيل اسمه لوتوت وقيل اسمه بلهوت. وقيل إن إبليس لعنه الله تعلق إلهي حتى وصله فقال له أتدري ما على ظهر يا بهموت لو أنك تحركت لألقيت كل ما كان على ظهرك فهم أن يصنع فسلط الله عليه دابة فدخلت في خياشمه حتى وصلت إلى

150 «الراى» في المخطوط.

دماغه فاستعاذ منها إلى الله تعلى فخرجت من دماغه فكلماهم أن يصنع تعود إلى مكانها والله تعلى أعلم.

وأما الصاد صفوف الملائكة تحت العرش وأما الضاد ضلال الكفار وأما العين عيسى روح الله وكلمته أما الغين غضب الله على أهل النار وأما الفاء فقوله تعلى أوفوا بعهده أوف بعهدكم وأف بعهدكم وأما القاف فهو قدرة الله على خلقه وأما السين شر الله تعلى على ما خلق أما الشين قال الله تعلى كل يوم هو في شأن وأما الهاء الهاوية للكافرين يوم القيامة وأما الواو فويل لأهل جهنم وأما اللام ألف فهو لواء النبي صلى الله عليه وسلم وأما الياء فدعاء المضطر إذا قال يا رب كل شيء. **قال لها أحسنت يا جارية أخبريني عن القرءان هل نزل جملة واحدة** من عند الله أم لا قالت له عرض الله عز وجل في اللوح المحفوظ على الملائكة الكرام ونزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا في خمسة عشر يوماً خلون من شهر الله رمضان ثم نزل به على جبريل عليه السلام الروح الأمين على النبي صلى الله عليه وسلم على عشرين سنة أمر ونهي وجزر ومحكم ومتشابه ومكي ومدني وناسخ ومنسوخ وحلال وحرام قال الله العظيم ما فرطت في الكتاب من شيء.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني كم في القرءان من سورة وكم فيه من عشر وكم فيه من حرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من طائر وكم فيه من نبي مذكور قالت له نعم يا أستاذ القرءان فيه مائة سورة وأربعة عشرة سورة وستة وإحدى وعشرين عشر وفيه إحدى عشر سجدة وفيه تسعة أطيار أسميها لك إن شاء الله منها الباعوض[151] والنحل والذباب والغراب والهدهد وطير أبابيل وطير عيسى ابن مريم والجراد والنمل وفيه ثلاثة وثلاثون نبياً مذكوراً.

قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني عن أنصافه وأثلاثه وأرباعه وأخماسه وأسداسه وأسباعه وأثمانه وأتساعه وأعشاره وقراريطه وآياته وكلماته وحروفه المعجم قالت له نعم النصف الأولى من البقرة إلى قوله تعلى ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾[152] والنصف [ص92] الثاني إلى ﴿قل أعوذ برب الناس﴾[153]. وأما الأثلاث فالثلث الأول من البقرة إلى ثلاثة وسبعين آية من التوبة قوله تعلى ﴿لا يجدوا ما ينفقون﴾[154] والثلث الثاني إلى اثنين وأربعين آية من

151 كذا عوض «البعوض».

152 الكهف ٧٤.

153 الناس ١.

154 التوبة ٩٢.

العنكبوت ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾[155] والثلث الثالث إلى قوله ﴿ من الجنة والناس ﴾[156] . وأما الأرباع فالربع الأولى من البقرة إلى ثلاث آيات من الأعراف قوله تعلى ﴿ أوهم قائلون ﴾[157] والربع الثاني إلى اثنين وسبعين آية من الكهف قوله ﴿ لقد جئت شيئاً نكرا ﴾[158] والربع الثالث إلى أربع وأربعين [159] آية من الصافات قوله تعلى ﴿ يوم يبعثون ﴾[160] والربع الرابع إلى قوله ﴿ من الجنة والناس ﴾[161] .

وأما الأخماس فالخمس الأول من البقرة إلى اثنين وثمانين آية من المائدة قوله ﴿ ذالك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾[162] والخمس الثاني إلى اثنين وخمسين آية من يوسف قوله تعلى ﴿ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾[163] والخمس الثالث إلى إحدى وعشرين آية من الفرقان ﴿ وعتوا[164] عتوا كبيرا ﴾[165] والخمس الرابع إلى ثلاثة وأربعين آية من الشورى ﴿ وإنهم في شك[166] مريب ﴾[167] والخمس الخامس إلى قوله تعلى ﴿ من الجنة والناس ﴾ . وأما الأسداس فالسدس الأول من البقرة إلى مائة وأربعين آية من النساء قوله تعلى ﴿ وكان الله شاكراً عليما ﴾[168] والسدس الثاني إلى ثلاثة وسبعين آية من الكهف قوله تعلى ﴿ شيئاً نكراً ﴾[169] والسدس الرابع إلى اثنين وأربعين آية من العنكبوت ﴿ وما

---

155 العنكبوت ٤٣ .
156 الناس ٦ .
157 الأعراف ٤ .
158 الكهف ٧٤ .
159 « ومائة » سقطت هنا .
160 الصافات ١٤٤ .
161 الناس ٦ .
162 المائدة ٨٢ .
163 يوسف ٥٢ .
164 كذا والصواب « عتو » .
165 الفرقان ٢١ .
166 « منه » ساقطة هنا .
167 الشورى ١٤ .
168 النساء ١٤٧ .
169 الكهف ٧٤ .

يعقلها إلا العالمون ﴾[170] والسدس الخامس إلى إحدى وثلاثين آية من الجاثية ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾[171] والسدس السادس إلى قوله ﴿ من الجنة والناس ﴾.

وأما الأسباع فالأول من البقرة إلى إحدى وستين آية من النساء ﴿ يصدون عنك صدودا ﴾[172] والسبع الثاني إلى مائة وستين[173] آية[174] من الأعراف ﴿ أنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾[175] والسبع الثالث إلى سبع وعشرين آية من إبراهيم قوله تعلى ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾[176] والسبع الرابع إلى أربع وخمسين آية من المؤمنين قوله تعلى ﴿ إنما نمدهم به من مال وبنين ﴾[177] والسبع الخامس إلى إحدى وعشرين آية من سبأ قوله تعلى ﴿ إلا فريقاً من المؤمنين ﴾[178] والسبع السادس خاتمة الفتح مغفرة وأجراً عظيما والسبع السابع إلى ﴿ من الجنة والناس ﴾[179].

وأما الأثمان فالثمن الأول من البقرة إلى خاتمة آل عمران قوله تعلى ﴿ لعلكم تفلحون ﴾[180] والثمن الثاني إلى ثلاثة آيات من الأعراف ﴿ أوهم قائلون ﴾[181] والثمن الثالث إلى أربع وأربعين آية من هود ﴿ وقيل بعدا للقوم الظالمين ﴾[182] والثمن الرابع إلى اثنين وسبعين آية من الكهف قوله تعلى ﴿ شيئاً نكراً ﴾[183] والثمن الخامس إلى رأس عشرين

170 العنكبوت ٤٣.
171 الجاثية ٣٢.
172 النساء ٦١.
173 كذا والصواب «سبعين».
174 وردت الجملة التي ما بين «من النساء» و«ستين آية» في الهامش.
175 الأعراف ١٧٠.
176 إبراهيم ٢٥. أخطأ الناسخ إذ كتب «لعلكم تذكرون».
177 المؤمنون ٥٥.
178 سبأ ٢٠.
179 الناس ٦.
180 آل عمران ٢٠٠.
181 الأعراف ٤. وأخطأ الناسخ إذ كتب «أولهم قائلون».
182 هود ٤٤.
183 الكهف ٧٤.

ومائة[184] من الشعراء[185] ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾[186] والثمن السادس إلى مائة وأربع وأربعين آية من الصافات قوله تعلى ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾[187] والثمن السابع في خاتمة الطور[188] قوله تعلى ﴿ وأدبار النجوم ﴾[189] والثمن الثامن إلى قوله ﴿ من الجنة والناس ﴾[190].

وأما الأتساع فالتسع الأول من البقرة إلى مائة [ص93] وخمسين آية من آل عمران ﴿ وهو خير الناصرين ﴾[191] والتسع الثاني إلى ستين آية من الأنعام ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[192] والتسع الثالث إلى ثلاثة وسبعين آية من التوبة إلى قوله ﴿ ألا يجدوا ما ينفقون ﴾[193] والتسع الرابع إلى عشرين آية من النحل ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾[194] والتسع الخامس إلى تسعة عشر آية من الحج ﴿ ما في بطونهم والجلود ﴾[195] والتسع السادس إلى اثنين وأربعين آية من العنكبوت ﴿ وما يعقلها[196] إلا العالمون ﴾[197] والتسع السابع إلى تسع آيات من حم المؤمن وهو غافر قوله تعلى ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾[198] والتسع الثامن إلى إحدى عشر آية من الواقعة قوله تعلى ﴿ المقربون ﴾[199] والتسع التاسع إلى من ﴿ الجنة والناس ﴾[200].

184 كذا والصواب « مائتين ».
185 « الشعر » في النص.
186 الشعراء ٢٢٠.
187 الصافات ١٤٤.
188 « والطور » في الأصل.
189 الطور ٤٩.
190 الناس ٦.
191 آل عمران ١٥٠.
192 الأنعام ٦٠.
193 التوبة ٩٢.
194 النحل ٢٠.
195 الحج ٢٠.
196 « يعلمها » في المخطوط.
197 العنكبوت ٣٤.
198 غافر ٨.
199 الواقعة ١١.
200 الناس ٦.

وأما الأعشار فالعشر الأول من البقرة إلى تسع وثمانين آية من المائدة ﴿ ذالك بأن منهم قسيسين ورهبانا وإنهم لا يستكبرون ﴾[201] والعشر الثالث إلى إحدى وأربعين آية من الأنفال إلى قوله تعلى ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾[202] والعشر الرابع إلى اثنين وخمسين آية من يوسف ﴿ وإن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾[203] والعشر الخامس إلى اثنين وسبعين آية من الكهف ﴿ شيئاً نكرا ﴾[204] والعشر السادس إلى إحدى وعشرين آية من الفرقان ﴿ وعتوا عتوا كبيراً ﴾[205] والعشر السابع إلى ثلاثين آية من الأحزاب ﴿ وكان ذالك على الله يسيرا ﴾[206] والعشر الثامن إلى ثلاث وأربعين آية من الشورى قوله تعلى ﴿ لفي شك منه مريب ﴾[207] والعشر التاسع إلى عشرين آية من الحديد ﴿ ذو[208] الفضل العظيم ﴾[209] والعشر العاشر إلى ﴿ من الجنة والناس ﴾[210].

وأما قراريطه فأربعة وعشرون قيراطاً فأول ذالك من البقرة إلى قوله تعلى ﴿ ولا هم ينصرون ﴾[211] والثاني خاتمة البقرة والثالث خاتمة آل عمران والرابع إلى قوله ﴿ شاكراً عليما ﴾ والخامس إلى عشرين ومائة من المائدة ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[212] والسادس إلى رأس ثلاث آيات من الأعراف قوله تعلى ﴿ أوهم قائلون ﴾[213] والسابع إلى خاتمة الأعراف والثامن إلى ثلاثة وسبعين[214] آية من التوبة ﴿ ألا يجدوا ما ينفقون ﴾[215]

---

201 المائدة ٨٢.

202 الأنفال ٤٠.

203 يوسف ٥٢.

204 الكهف ٧٤.

205 الفرقان ٢١.

206 الأحزاب ٣٠.

207 الشورى ١٤.

208 «والفضل» في المخطوط.

209 الحديد ٢١.

210 الناس ٦.

211 البقرة ١٢٣. ورد «ينظرون» خطاء.

212 المائدة ١٠٨.

213 الأعراف ٤.

214 كذا والصواب «تسعين».

215 التوبة ٩٢.

والتاسع إلى أربع وأربعين آية من هود ﴿ وقيل بعدا للقوم الظالمين ﴾[216] والعاشر خاتمة الرعد والحادي عشر ثمانون آية من النحل ﴿ ومتاعاً إلى حين ﴾[217] والثاني عشر إلى الكهف قوله تعلى ﴿ شيئاً نكرا ﴾[218] والثالث عشر رأس إحدى وستين آية من الأنبياء ﴿ لعلهم يشهدون ﴾[219] والرابع عشر من النور ﴿ تواب حكيم ﴾[220] والخامس عشر رأس عشرين ومائة[221] من الشعراء[222] قوله تعلى ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾[223] والسادس عشر رأس خمس وأربعين من العنكبوت ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾[224] والسابع عشر ستين آية من الأحزاب [ص94] ﴿ وكان الله غفوراً رحيما ﴾[225] والثامن عشر أربع وأربعين ومائة من والصافات إلى ﴿ يوم يبعثون ﴾[226] والتاسع عشر سبعون آية من المؤمنين ﴿ فسوف يعلمون ﴾[227] والعشرين إحدى وثلاثون آية من الجاثية ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾[228] والحادي والعشرون خاتمة والطور والثاني والعشرون خاتمة الممتحنة والثالث والعشرون إلى المزمل والرابعة والعشرون خاتمة القرءان.

وأما الآيات فستة آلاف ومائة وسبعين آية وقيل ستة آلاف وست مائة وستون آية ألف منها أمر وألف نهي وألف وعد وألف منها وعيد وألف قصص وأخبار وألف منها أمثال وعبر وخمس مائة حلال وحرام ومائة دعاء وتسبيح وستون آية ناسخ ومنسوخ.

216 هود ٤٤.
217 النحل ٨٠.
218 الكهف ٧٤.
219 الأنبياء ٦١.
220 النور ١٠.
221 كذا والصواب «مائتان».
222 «الشعر» في الأصل.
223 الشعراء ٢٢٠.
224 العنكبوت ٤٥.
225 الأحزاب ٥٩.
226 الصافات ١٤٤.
227 لعلها غافر ٧٠.
228 الجاثية ٣٢.

أما الكلمات فسبع وسبعون ألفاً وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة وأما الحروف فثلاث مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وست مائة وإحدى وسبعون حرف. وأما كل حرف من المعجم فقد بلغنا أن جميع ما في القرءان من الألفات ثمانية وأربعون الفاً وتسع مائة وأربعون ومن الباءات إحدى عشر ألفاً وأربع مائة وعشرون باء ومن التاءات عشرة آلاف وأربع مائة وثمانون ومن الثاءات ألف وأربع مائة وأربع ثاءات والجيمات ثلاثة آلاف وثلاث مائة واثنى وعشرون جيماً ومن الحاءات أربع آلاف ومائة وثلاثون حاء ومن الخاءات ألفان وخمس مائة وثلاث حاءات ومن الدالات خمسة آلاف وتسع مائة وأربع وثلاثون دالاً.

ومن الذالات أربعة آلاف وتسع مائة وأربع وثلاثون ذالاً ومن الراءات اثنا عشر ألفاً ومائتان وست راءات ومن الزايات ألف وست مائة وثمانون زاياً ومن الطاءات ثمانية مائة وأربعون طاء ومن الظايات مائتان وأربع ظايات ومن الكافات عشرة آلاف وخمس مائة واثنان وعشرون كافا ومن اللامات ثلاثة وثلاثون ألفا ومائتان وأربع لامات ومن الميمات ستة وعشرون ألفاً وسبع مائة واثنان وعشرون ميماً ومن النونات ستة وعشرون ألفاً وتسع مائة وخمسة وعشرون نوناً ومن الصادات ألفاً وسبع مائة وثمانون ومن الضادات ألف ضاد وست مائة واثنان وثمانون ومن العينات تسعة آلاف عين وأربع مائة وتسعة وعشرون ومن الغينات ألف ومائتان وتسع وعشرون ومن الفاءات ثمانية آلاف وأربع مائة وسبع وسبعون ومن القافات عدد الفاءات ومن السينات خمسة آلاف وتسع مائة وسبع وسبعون ومن الشينات ألفان ومائة وخمسة عشر ومن الهاءات تسعة عشر ألفاً ثمانون ومن الواوات خمسة وعشرون ألفاً وخمسين مائة وخمسة عشر واواً ومن لام الألف أربعة آلاف وسبع مائة وتسع ومن الياءات خمسة وعشرون [ص95] ألفاً وتسع مائة وسبع. وعدد نقط القرءان كله ألف ألف وأربعة عشر ألفاً وثلاثة عشر نقطة فقد انتهى ما سألتني عنه يا أستاذ.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أول سورة نزلت من القرءان قالت له روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أول سورة نزلت سورة العلق وقيل سورة المدثر ثم أنزل الله القرءان بالآيات وأما آخر آية نزلت آية الربا وقيل إذا جاء نصر الله. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني أي سورة في القرءان أفضل** وأي آية أعظم قالت له نعم يا أستاذ أما أفضل السور فسورة البقرة أما أي آية أعظم فآية الكرسي. وهي خمسون كلمة فكل كلمة معها خمسون بركة ولكل شيء ديباج وديباج القرءان الدخان ولكل شيء لباب ولباب القرءان المفصل ولكل شيء عروس وعروس القرءان الرحمان ولكل شيء قلب وقلب القرءان يس.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه يا علي اقرأ سوة يس فإن فيها عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا عيان إلا كسي ولا عازب إلا تزوج ولا خائف إلا أمن ولا مريض إلا برئ ولا مسجون إلا سرحه الله تعلى ولا مسافر إلا أعانه الله تعلى على سفره ولا قريب أجل إلا خفف الله عنه ولا رجل له ضالة إلا وجد ضالته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا مرّ بقوم خاف منهم قرأ أول يس إلى قوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[229] فيمن عليهم فنجوزهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن يرتفع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ حم للدخان ليلة جمعة يأت مغفوراً له.

وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ ﴿اقتربت الساعة﴾[230] ودعى في ملكوت السماوات المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ الرحمان والواقعة والحديد يدعى في ملكوت السماوات ساكن الفردوس وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن المكي منه والمدني والناسخ والمنسوخ** قالت له نعم أول ما نزل بالمدينة في قول بعض العلماء سورة البقرة وآل عمران والنساء والأنفال وبراءة والرعد والحج والنور والأحزاب والفتح والحجرات والرحمان والمسبحات من سورة الحديد إلى سورة الطلاق والتحريم ولم يكن والزلزلة والنصر جميع هذا مدني. وما بقي مكي وسائر ذالك مدني من ﴿ألم. أحسب الناس﴾[231] إلى قوله ﴿وليعلمن المنافقين﴾[232] مدني وسائرها مكي.

وذكر من الآيتين اللتين في إبراهيم قوله تعلى ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفروا﴾[233] إلى قوله ﴿وبئس القرار﴾[234] مدني وسائرها مكي وذكر من الأعراف ﴿وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾[235] إلى تمامها مدني وفي الحج ﴿وما أرسلنا من قبلك

---

229 سورة يس ٩.
230 القمر ١.
231 العنكبوت ١.
232 العنكبوت ١١.
233 إبراهيم ٢٨.
234 إبراهيم ٢٩.
235 الأعراف ١٦٣.

من رسول ولا نبي ﴾[236] إلى قوله ﴿ أو يأتيهم عذاب يوم مقيم ﴾[237] مكي وسورة الأنعام نزلت جملة واحدة مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة قوله تعلى ﴿ قل [ص96] تعالوا اتلُ ما حرم ربكم عليكم ﴾[238] إلى قوله ﴿ صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾[239] .

سورة إبراهيم مكية في الذين قتلوا من قريش ببدر ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم ﴾[240] الآية. والنحل مكية إلا ثلاثة آيات في آخرها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة ومثل به. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظفرنا الله تعلى بهم لأمثلن بهم مثلة ما مثلها أحد من العرب قط فأنزل الله تعلى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾[241] إلى آخر السورة. والحج مكية إلا ثلاثة آيات قوله تعلى ﴿ هاذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾[242] في الذين تبارزوا يوم بدر بالمدينة وهي مدينة يثرب على وحمزة وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة والوليد إلى قوله ﴿ وهدوا إلى صراط الحميد ﴾[243] . والشعراء مكية إلا أربع آيات وآخرتها ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾[244] إلى آخرها نزلت بالمدينة في حسان بن ثابت وكعب بن مالك وابن رواحة ولقمان بن مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة ولما نزلت بمكة ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[245] نحن تعنينا أم قومك قال كلا قد عنيت قال مالك تتلونا قد أوتينا التورية وهي بيان كل شيء.

فقال صلى الله عليه وسلم هي علم الله وقد أتاكم الله ما إن علمتم به اتتبعتم فأنزل الله تعلى ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾[246] إلى آخر الآيتين. والسجدة مكية إلا ثلاثة آيات نزلت بالمدينة على الوليد

---

236 الحج ٥٢.

237 الحج ٥٥. أخطأ الناسخ إذ كتب «مقيم» بدل «عقيم».

238 الأنعام ١٥١.

239 الأنعام ١٥٣.

240 إبراهيم ٢٨.

241 النحل ١٢٦.

242 الحج ١٩.

243 الحج ٢٤.

244 الشعراء ٢٢٤.

245 الإسراء ٨٥.

246 لقمان ٢٧.

بن عتبة وكان بين الوليد وبين علي رضي الله عنه كلاماً فقال له الوليد أنا أنشط منك وأحدّ منك لساناً وأوزن منك في الكتابة فقال علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فأنزل الله تعلى ﴿ فمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ﴾[247] إلى الآيتين. والزمر مكية إلا ثلاثة آيات نزلت بالمدينة في وحش وأصحابه ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾[248] إلى قوله ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾[249]. والتغابن مكية إلا هؤلاء الآيات ﴿ يايها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا[250] لكم ﴾[251] نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الجهاد أقبل إليه أهله ويقولون له إلى من تدعنا فيرق عليهم ويقيم فأنزل الله عليه هذه الآيات وبقية الآية إلى آخر السورة.

المزمل مكية إلا آية في آخرها ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي اليل ونصفه ﴾[252] إلى آخر السورة نزلت بالمدينة. والعلق والناس والحمد مدنية والطلاق مدنية والقدر مدنية والرعد والحج والرحمان والصف والتغابن وإذا زلزلت[253] مكية كلها. وقال بعض أهل العلم الحمد مدينة والامتحان والمجادلة والإنسان نزلت بالمدينة وقيل الآية التي في المائدة وهي قوله تعلى ﴿ اليوم وأكملت لكم دينكم ﴾[254] نزلت بعرفة في يوم جمعة. وأول ما نزل من القرءان بمكة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾[255] وقيل ﴿ يايها المدثر ﴾[256] وأول ما نزلت بالمدينة سورة البقرة فهذا هو المكي والمدني .

وأما الناسخ والمنسوخ فكل آية نزلت أولا نسختها آية أخرى وآية [ص97] عذاب نسختها آية رحمة.

---

247 السجدة ١٨.

248 الزمر ٥٣.

249 الزمر ٥٥.

250 «عدو» في الأصل.

251 التغابن ١٤.

252 المزمل ٢٠.

253 يعني سورة الزلزلة.

254 المائدة ٣.

255 العلق ١.

256 المدثر ١.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في قول الله تعلى ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسنا﴾[257] فقد أباحه الله تعلى في هذه الآية. قالت له يا سيدي إياك أن تكون من الظاهرية قال لها وما الظاهرية قالت الذين يتلون كتاب الله بالظاهرية وهذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر ونسخها قول الله تعلى﴿ يايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[258]. وقال عز من قائل ﴿ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾[259] وقال تعلى ﴿قل إنّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق﴾[260] الإثم قيل هو الخمر. وقال صلى الله عليه وسلم الخمر هو جماع الإثم وكانت العرب تسمي الخمر إثماً قال الشاعر:

*شربت الإثم حتى ضل عقلي * فشرب الإثم يذهب بالعقول *

قال لها أحسنت يا جارية كيف الفرق بين الابتدا والمبتدا قالت الابتداء معنى لا لفظا والمبتدا لفظا لا معنا قال لها فما تقولين في قول الله عز وجل ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[261] كيف أمر في هذه الآيات بالسجود قبل الركوع قالت له لهذه المسئلة جوابان أحدهما أن واو العطف لا يوجب الترتيب تقول جاءني زيد وعمر ويحتمل أن جاء زيد قبل عمر ويكون جاء عمر قبل زيد وأن يكونا جاءا معاً فواو العطف لا يوجب الترتيب كالذي أخبرتك. وأما الجواب الثاني فإنه قيل إنهم كانوا يقدمون السجود على الركوع في صلاتهم قال الله العظيم لكل جعلناكم منكم شرعة ومنهاجاً.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الصحابة الذين جمعوا القرءان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له نعم أربعة أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وقيس. وما القراء الذين يؤخذ عنهم القرءان قالت له حدثني الشيخ رحمه الله أن القراء أربعة عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن سلام فهم الذين يتلى عليهم الكتاب المبين. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الصحابة رضي الله عنهم وما

257 النحل ٦٧.
258 المائدة ٩٠.
259 البقرة ٢١٩.
260 الأعراف ٣٣.
261 آل عمران ٣.

خصهم الله به من الفضل قالت له نعم قال بعض العلماء ذكر الله الخلفاء الأربعة في أربعة عشر مواضع في كتاب الله تعلى قوله تعلى ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾[262] أبي بكر ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾[263] عمر ﴿ ومما رزقنهم ينفقون ﴾[264] عثمان ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾[265] هو علي والآيات الثانية ﴿ وآتى المال على حبه ﴾[266] أبو بكر ﴿ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾[267] هو عمر ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾[268] هو عثمان ﴿ والصابرين في البأساء والضراء ﴾[269] هو علي. والآية الثالثة الصابرين أبو بكر والقانتين عمر والمنفقين عثمان والمستغفرين علي والآية الرابعة قوله والكاظمين الغيظ هو أبو بكر والعافين عن الناس هو عمر والله يحب المحسنين [ص 98] هو عثمان والذين إذا فعلوا فاحشة هو علي.

والآية الخامسة ﴿ أولائك الذين أنعم الله عليهم ﴾[270] والآية السادسة ﴿ يايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[271] والآية السابعة ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾[272] الآية والآية الثامنة ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾[273]. والآية التاسعة قوله تعلى ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾[274] في سورة التوبة إلى آخر الآية والآية العاشرة قوله ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾[275] الآية والآية الحادية عشر قوله تعلى ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾[276] والآية الثانية عشر قوله تعلى ﴿ كانوا قليلاً من اليل ما

262 البقرة ٢.
263 البقرة ٢.
264 البقرة ٢.
265 البقرة ٢.
266 البقرة ١٧٧.
267 البقرة ١٧٧.
268 البقرة ١٧٧.
269 البقرة ١٧٧.
270 مريم ٥٩.
271 آل عمران ٢٠٠.
272 المائدة ٥٥.
273 الأنفال ٢.
274 التوبة ١١٢.
275 الفتح ٢٩.
276 المؤمنون ١.

يهجعون ﴾[277] والآية الثالثة عشر قوله تعلى ﴿ والتين والزيتون ﴾[278] الآية والآية الرابعة عشر قوله تعلى في سورة آل عمران ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحت ﴾[279].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أبا بكر يزيد في إيمانه ومن أحب عمر يزيد له في الغفران ومن أحب عثمان تخمد عنه النيران ومن أحب علي تمحوا عنه العصيان ومن أحب عائشة يقفل له الميزان ومن أحب معاوية يدخل الجنان ومن أبغض الصديق فهو زنديق ومن أبغض عمر فهاوية سقر ومن أبغض عثمان فهاوية النيران ومن أبغض علي فخصيمه النبي ومن أبغض عائشة فهو في سجن وهاوية ومن أبغض معاوية فإنه هاوية. وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أنهى السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. وقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كلهم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم أرحمكم بأمتي أبي بكر الصديق وأقواكم في الدين عمر بن الخطاب وأشدكم حياء عثمان بن عفان وأشدكم في الحرب قتالا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ولكل نبي حواري وحواريي طلحة والزبير ولكل نبي خليل وخليلي سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف هو من تجار الرحمان وأبو عبيدة أمين الله وأمين رسوله. ومن أراد أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم عليه السلام فلينظر إلى زهد أبي ذر الغفاري ولكل أمة حليم وحليم أمتي أبو هريرة ولكل أمة خديم وخديم أمتي أنس بن مالك ولكل كتاب فارس وفارس القرءان عبد الله بن عباس وقد رضيت لأمتي ما رضي لهما بن مسعود. وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأمرضكم زيد بن ثابت وأقرأكم لكتاب الله العزيز بن أبي بن كعب وحمزة ابن عبد المطلب عمي وصنواي الحسن والحسين سيديّ شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وعبد الله من السابقين وعمار بن ياسر من المجتهدين. وأول من يقرأ باب الجنة بلال بن حمامة ومن قال في أصحابي سوء فعليه مني اللعنة ومن جميع المسلمين ويمسي ويصبح في سخط الرحمان إلا أن يتوب.

277 الذاريات ١٧.
278 التين ١.
279 آل عمران ٥٧.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن كم ينقسم المد قالت له نعم المد ينقسم على أربعة عشر قسماً مشبع أو متوسط في وعارض حج ولازم عه ومدغم ع ومظهر ه ومخفي ح ومتصل [ص99] 8 و 6 ومنفصل ف وقصر مجازه 11 ومرصيقة 7 والمنهجي في 11 وجامد حج 11 وخامد عن. وأما المشبع فكل ما أتت بعده همزة نحو جاءِ وشاء وما أشبه ذالك وأما المتوسط فكل ما أتت قبله همزة نحو آمنوا وآتيكم وآدم وآزر وما أشبه ذالك وأما العارض فيكون موجوداً في الاتصال معدوماً في الانفصال نحو شاء انشره جاءِ أجلهم تلقاء أصحب النار والبغاء ان اردن وما أشبه ذالك. وأما اللازم يكون معه المشفع نحو شيء وما أشبه ذالك وأما المدعم فهو نحو الطامة والصاخة والظانين وما أشبه ذالك وأما المظهر فهو ألم كهيعص وما أشبه ذالك.

وأما المخفي فهو نحو أرأيتم وها أنتم وما أشبه ذالك وأما المنفصل نحو أتينا وما أشبه ذالك. وأما المنفصل فهو ﴿ يايها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾[280] وما أشبه ذالك. وأما قصر مجاز يكون في اللفظ دون الخط نحو الصالحين والظالمين والقانتين وما أشبه ذالك ومد صيغة نحو حكيما عليما والمنتهج نحو طسم ويس وجامد نحو الشيطان الرجيم وخامد نحو استكبروا وقالوا آمنا وما أشبه ذالك.

قال لها أحسنت يا جارية فما معنى المد قالت له نعم المد الزيادة تقول العرب مددت مدا أي زدت زيادة والدليل على ذالك قوله تعلى﴿ يمددكم ربكم ﴾[281] أي يزدكم قال لها فما تقولين في المد هل حرف أو حركة. قالت له ليس المد بحرف ولا بحركة وإنما هو شكل على صورة غيره والمد عند أهل اللغة هو الزيادة.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن النقل والوصل قالت له نعم النقل لا يكون إلا في حرف واحد وهو الألف والألف ينقسم على ثلاثة أقسام مضموم ومقسوم ومفتوح ومكسور فأما المضموم فهو على وجهين إذا كان الأول مضموماً وثالثه غير مضموم فهو نقل حيث وقع لا فرد عليه وإذا كان الألف مضموماً وثالثه مضموم حيث وقع إلا سبعة أحرف قل إذن إن عطفوه مختلفاً أكله دخلت أمه وقالت أمة وقد أمروا وأخ وأخت. وأما المفتوح فهو على وجهين إذا كان مفتوحاً وليس معه لام فهو نقل حيث وقع لا فرد له وإذا كان أيضاً

280 التحريم ٦.

281 آل عمران ١٢٥.

مفتوحاً ومعه لا نوصل حيث وقع إلا سبعة وعشرين حرفاً قل الله قل الذاكرين انس الزمناه أول ألقى قال بل ألقوا وان ألف عصاك مختلفا ألوانه مسودة أليس من مضل أليس عذاب أليم عذابا أليما أو ألقا السمع عتيد القيا بإِيمان الحقنا وجنات القاق فحدث ألم نشرح خير من ألف شهر حامية النعيم ممددة ألم تر عليم ألم يعلمون رحيم ألم خير ألم تنزيل قربانا إلهة ابكاء إلهة ولو ألقى معاذيره.

وأما المكسور فهو على أربعة أقسام إذا كان الألف مكسوراً وثالثه تاء فهو وصل حيث وقع إلا حرفين فهما بالنقل من انتامنه[282] من استبرق وإن كان الألف مكسوراً وثالثه غير تاء فهو وصل حيث وقع إلا سبعة عشر حرفاً من[283] فإِن بغت إحداهما قل أي وربي عن إبراهيم الروع أو إياكم بل إياه تدعون أو إخوانهن أو إخوانهم نفساً إيمانها ردت إلينا ردت إليهم من إحدى الأمم واذكر إسماعيل ينقل إليك البصر وقالت احديهما بعاد إِرَم ذات العماد قريش ايلفهم. وإذا كان الألف مكسوراً [ص100] وقبله تنوين فهو نقل حيث وقع إلا عشرة أحرف وقيل أحد عشر حرفاً خير اهبطوا عليم اعلموا أولهما انقضوا منشورا اقرأ كتابك من غلق اقرأ وربك بغلام اسمه يحيى نوح ابنه خير اطمأن به فتنة انقلبت حكيم انفروا خفافا راسيات اعلموا.

وإذا كان الألف مكسورا وجاء بعده التنوين نحو من املق أو اعراضا أو اطعام فهو نقل حيث وقع إلا أربعة أحرف فإِنها بالوصل أي وجدت امرأة تملكهم ان امرؤا هلك كللة أو امرأة وإن من امرأة خافت من بعلها وإذا كان القاف واللام نحو قل أوحى قل اتخذتم قل أي شيء أكبر شهرة فهو نقل حيث وقع إلا سبعة أحرف قل انظروا ماذا في السماوات والأرض قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن قل الله أسرع مكراً قل الحمد لله قل استهزئوا إن الله مخرج قل اللهم فاطر السموات والأرض قل انتظروا أنا منتظرون فهذه أقسام النقل والوصل يا أستاذ من غير تكرار.

قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني على كم ينقسم الهمز قالت له نعم يا سيدي الهمز ينقسم على خمسة أقسام وهمزة الأصل وهمزة القطع وهمزة المتكلم وهمزة الاستفهام فأما همزة الوصل فتعرف بشيئين سقوطها في الدرج وثبوتها في الابتداء وأما همزة الأصل

282 كذا والأرجح أن يكون «انتمائه».

283 كلمة غير مقروءة هنا.

فتعرف بشيئين ثلاثية وتوزن بفاء الفعل. وأما همزة القطع فتعرف بشيئين رباعية وزيادة على فاء الفعل ويكون مضموماً أول مستقبلها وأما همزة المتكلم فتعرف بشيئين بمجيء أنا بعدها وتقدير النون في موضعها وأما همزة الاستفهام فتعرف بشيئين مجيء أم بعدها في اللفظ وتقدير هل أنا في موضعها.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني أين دخلت همزت الاستفهام على الألف الوصل الداخلة مع لام التعريف قالت له في ستت مواضع في القرءان ﴿قل الذاكرين﴾[284] في الموضعين في الأنعام الآن في الموضعين ﴿قل الله أذن لكم﴾[285] وفي النمل ﴿اصطفى الله﴾[286]. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني أين دخلت همزة الاستفهام القطع الزائدة لبناء افعل على همزة أصل أو على همزة المتكلم قالت له نعم في قوله تعلى أنذرتهم أقررتم وأشفقتم وأسلتم هذه المواضع وشبهها من همزتين الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة القطع الداخلة لبناء افعل. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني أين دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل** لعدم اللبس قالت في سبعة مواضع في البقرة ﴿قل اتخذتم عند الله عهدا﴾[287] وفي مريم ﴿اطّلع الغيب أم اتخذتم[288] عند الرحمن عهداً﴾[289] وفي سبإٍ ﴿جديدٍ أفترى على الله كذباً أم به جنة﴾[290] وفي ص موضعين ﴿بيدي استكبرت﴾[291] ﴿من الأشرار اتخذنهم﴾[292] وفي الصافات ﴿اصطفى البنات على البنين﴾[293] وفي المنافقين ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾[294]. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله

---

284 الأنعام ١٤٣–١٤٤.
285 يونس ٥٩.
286 النمل ٥٩.
287 البقرة ٨٠.
288 كذا والصواب «اتخذ».
289 مريم ٧٨.
290 سبأ ٧–٨.
291 ص ٧٥.
292 ص ٦٢–٦٣.
293 الصافات ١٥٣.
294 المنافقون ٦.

تعلى ألك وأنا عجوز ﴿ أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾[295] ﴿ أأتّخذ من دونه آلهة ﴾[296] قالت له من همزتين الأولى استفهام والثانية للمتكلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله ﴿ أنتم أعلم أم الله ﴾[297] و﴿ أنت قلت للناس ﴾[298] و﴿ أنتم أضللتم ﴾[299] و﴿ أنتم تزرعونه ﴾[300] وهو كثير في القرءان قالت له نعم الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة الأصل. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله تعلى في سورة يوسف أرباب متفرقون وفي سورة فصلت [ص 101] وأعجمي وعربي قالت له نعم أرباب الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة القطع في الاسم المفرد.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله تعلى في سورة الملك ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾[301] وآدم وآزر وما أشبهها أمنتم الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة الأصل لأنها فاء الكلم وأما آدم وآزر وما أشبههما من همزتين الأولى قطع داخلة لبناء افعل والثانية أصلية أبدلت الانفتاح ما قبلها كما أبدلت ياء لانكسار ما قبلها وكما أبدلت واو لانضمام ما قبلها نحو أوابوا واتوا الكتاب. وكذالك أوى وأويناهما إلى ربوة همزتين الأولى همزة القطع الداخلة لبناء افعل والثانية أصلية كالذي قبله.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله تعلى ﴿ هل آمنكم عليه ﴾[302] قالت له من همزتين الأولى همزة المتكلم والثانية همزة الأصل. قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله تعلى آلهتنا مثل هؤلاء أو لا و ﴿ من فعل هذا بآلهتنا ﴾[303] قالت له نعم الأولى همزة الجمع والثانية همزة الأصل وهو جمع آلهتنا مثل رداء وأحزام وأجزمة مثاله ويطلق عليهم بآنية من

---

295 الإسراء ٦١.
296 فاطر ١٣.
297 البقرة ١٤٠.
298 المائدة ١١٦.
299 الفرقان ١٧.
300 الواقعة ٦٤.
301 الملك ١٦.
302 يوسف ١٢.
303 الأنبياء ٥٩.

فضة فهو همزتين الأولى همزة الجمع والثانية أصلية لأنها جمع إناء كالذي قبله. وآلهتنا في الزخرف من ثلاث همزات الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة الجمع والثالثة أصلية. ومثل هذا ما هو من ثلاثة همزات حاكياً عن فرعون آمنتم في ثلاثة مواضع فهو من ثلاثة همزات الأولى همزة الاستفهام والثانية قطعية والثالثة أصلية وهو فعل آخر من آمن ومثله وكانت ذا القربيى حقه من همزتين الأولى همزة القطع والثانية همزة الأصل ومن فعل آخر أيضاً أتى الذي هو أعطى.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن قوله تعلى في سورة الأعراف حاكياً عن نبيه شعيب عليه السلام فكيف أمسى على قوم كافرين. قالت له نعم أنا آتيك بجوابه وبجواب من حمل من الهمزتين الأولى همزة المتكلم والثانية أصلية الماضي منه أسمى على وزن فعل والمضارع على وزن افعل مثل اركب فأبدلت همزة الأصل لسكونها وانفتاح ما قبلها وأما قوله تعلى آنست ناراً ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾[303] وهي من همزتين الأولى همزة المتكلم والثانية أصلية التي هي فاء المتكلم أبدلت الفاء لسكونها وانفتاح ما قبلها. وقد يكون على هذا قوله آتيك فعل ماض الكاف في موضع نصب على المفعول ويحتمل أن يكون من همزة واحدة على وزن فاعل فتكون الهمزة أصلية فاء من الكلم والألف الواقعة بعدها ألف البناء والكاف في موضع خفض بالإضافة.

ومثاله قوله تعلى في قصة موسى عليه السلام ﴿لعلّي آتيكم منها﴾[304] على هذا المنهاج وأما في قصة موسى عليه السلام ﴿سآتيكم منها﴾[305] فتعين أن يكون فعل مضارع من همزتين لدخول السين عليه مما يختص بالأفعال. وربما كان يترجع هذا لأحد الوجهين آتيكم أعني أن يكون فعل مضارع لأنه كلام وقصة واحدة. وكذالك قوله تعلى ﴿آتيكم بشهاب قبس لعلكم﴾[306] وأما في سورة الكهف ﴿رَدْماً آتوني زبر الحديد﴾ ﴿وآتوني افرغ[307] عليه قطراً﴾[308] فهو من همزتين من أتى يؤتي الذي هو [ص102] بمعنى أعطى.

303 القصص ٢٩.
304 سورة طه ١٥ والقصص ٢٩.
305 النمل ٧.
306 النمل ٧.
307 «افرق» في الأصل.
308 الكهف ٩٦.

وأما آباؤهم فهو من همزتين الأولى همزة الجمع والثانية همزة الأصل مثاله ﴿وآثاراً في الأرض﴾[309] الأولى همزة الجمع والثانية همزة الأصل وآثار لفتح الأولى وإسكان الثانية فأبدلت الثانية لسكونها وانفتاح ما قبلها ومثله ﴿وإنّا على آثارهم مهتدون﴾[310] ومثله وآخرون وآخر من تسئله في كونه همزتين الأولى في آخر همزة القطع الزائدة لباء افعل والثانية أصلية وقوله تعلى ﴿في آذانهم وقرا﴾[311] وفي آذاننا فهو من همزتين الأولى همزة المتكلم والثانية همزة الأصل وقوله تعلى ﴿لآتيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم﴾[312] من همزتين الأولى همزة المتكلم والثانية أصلية.

وقوله تعلى ﴿كالذين آذوا موسى﴾[313] هو من همزتين الأولى همزة القطع والثانية أصلية. وأما قوله ﴿من ماء غير آسن﴾[314] فهو من همزة واحدة لأنه على وزن فاعل فالهمزة في فاء الكلمة والأفل الواقعة بعدها ألف الثاني كالألف في ضارب ومثله في ﴿عين آنية﴾[315] فهو من همزة واحدة هي فاء الكلمة والألف ألف البناء مثل فاعلة وكذالك ﴿حميم آنٍ﴾[316] من همزة واحدة والألف ألف البناء على وزن فاعل. وأما قوله تعلى ﴿ألم يأن﴾[317] هو من همزة واحدة ساكنة وألم للمتكلم محذوفة للجازم وأما قوله ﴿إلا هو آخذ بناصيتها﴾[318] من همزة واحدة وألفه ألف البناء وهو على وزن فاعل. وأما قوله تعلى ﴿إلّا آتي الرحمن عبداً﴾[319] هو من همزة واحدة أصلية فاء الكلمة وزنه فاعل وكذالك أتاهم غير مردود وهو

309 غافر ٢١ و٨٢.
310 الزخرف ٢٢.
311 الأنعام ٢٥ والإسراء ١٧ وفصلت ٤٤.
312 الأعراف ١٧.
313 الأحزاب ٦٩.
314 محمد ١٥.
315 الغاشية ٥.
316 الرحمن ٤٤.
317 الحديد ١٦.
318 هود ٥٦.
319 مريم ٩٣.

همزة واحدة ألفه ألف البناء وكذالك وكل أتوه آخرين أصله ايتوني على وزن فاعلون حذفت لامه التي هي الياء لاجتماع الساكنين وحذفت النون للإضافة.

وكذالك قوله تعلى ﴿لآكلون﴾[320] من همزة واحدة وهي همزة القطع زائدة على فاء الفعل الماضي والواو أصلية وكذالك آية من همزة واحدة حيث جاء وآية الهمزة فاء الكلمة والألف منقلب عن ياء قيل في أصلها ايية فله وزن فعله تحركت الباء وانفتحت ما قبلها انقلبت ألفا. يروى هذا لسيبويه وقال بعض الكوفيين أصله اِيَيْهْ على وزن فعله تحركت الياء وانفتح ما قبلها انقلبت الفاء. وقال القراء أصله ايْيهْ على وزن فعله فالياء الأولى ساكنة والثانية متحركة أدغمت الأولى في المتحركة فصار أيَّهْ على وزن فعله ثم قلبت الساكنة ألفاً. فقال هذا القول أبو علي الفارسي عن سيبويه وقال الكسائي في أصلها إِيَيَهْ على وزن فِعَلَهْ فعلى هذا القول يكون ألفه ألف البناء فهذا جوابك يا أستاذ من غير تطويل ولا تكرار.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني أين دخلت همزة الاستفهام على همزة الأصل قالت له نعم في تسعة مواضع في المضمرات وهي ﴿قل أنتم أعلم أمْ الله﴾[321] في سورة البقرة وفي المائدة ﴿أأنت قلت للناس﴾[322] وفي اقترب أنت فعلت هذا بآلهتنا وفي الفرقان ﴿أأنتم أضللتم عبادي﴾[323] وفي النازعات ﴿أأنتم أشد خلقاً﴾[324] وفي الواقعة أربعة مواضع.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الهمزة هل هي حرف أم حركة قالت له حرف والدليل على ذالك كونها تفتقر إلى ما يفتقر إليه سائر حروف المعجم. قالت له الهمزة حرف ثقيل فغيرتها العرب لأجل ثقلها [ص103] ويتصرف فيها ما لا يتصرف في غيرها فأوتي على سبعة أقسام محققة ومخففة ومبدلة بغيرها وملغى حركتها على الساكن قبلها ومحذوفة ومثبوتة ومسهلة بين بين فكما لم تثبت على حالة واحدة لم تكن لها صورة معلومة وإنما تستعان له صورة غيرها فمرة تستعان لها صورة الألف ومرة تستعان لها صورة الياء ومرة تستعان لها صورة الواو.

---

320 الواقعة ٥٢.

321 البقرة ١٤٠.

322 المائدة ١١٦.

323 الفرقان ١٧.

324 النازعات ٢٧.

قال لها أحسنت يا جارية أخبريني فلأي شيء اختير لها صورة هذه الحروف دون سائر الحروف المعجم. قالت له نعم إن الهمزة تبدأ من هذه الحروف ويبدءان منها قال لها لأي شيء جعل فيها ثلاثة[325] قالت له نعم إنما جعلت كذالك لاتّباع الحركات الثلاث وهي الضمة والفتحة والكسرة وقيل اتباعاً لحروف المد والعين. قال لها الهمزة هي الأصل أم الألف قالت له الهمزة هي الأصل والألف فرع منها لأن الهمزة جسد والنبرة روح والحروف أجساد والنقط أسماء والحركات أرواح. قال لها هل الحركة حاكمة على الاعوجاج أم الاعوجاج حاكم على الحركة قالت له الحركة حاكمة على الاعوجاج وهي النبرة رأس والهمزة جسد ولا خير في جسد بلا رأس.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن حروف الإدغام والإظهار والإخفاف والإقلاب قالت له نعم يا أستاذ سألتني عن شيء لا انتهاء له ولاكن اذكر لك منها طرفا من هذا المعنى من إدغام ما يجب أن يظهر أو إظهار ما يجب أن يدغم. فقد خرج من لغات العرب ومن خرج من لغات الغرب فقد لحن وأخطأ وقرأ القرءان بغير ما نزل فينبغي أن يستعمل القارئ نفسه لذالك لأن اللحن على ضر بين لحن جلي ولحن خفي فاللحن الجلي لحن الإعراب واللحن الخفي ترك إعطاء الحروف حقوقها من توحيد لفظها.

ثم قالت له يا سيدي اعلم أن التنوين والنون ساكنة ينقسمان على حروف المعجم في التلاوة على أربعة أقسام إدغام وإظهار وإقلاب. قال لها أحسنت يا جارية أين يكون الإدغام عند حروف المعجم قالت له نعم عند ستة أحرف وجميع هجائها يرملون وهي الياء والميم واللام والراء والنون فإدغام النون عند الياء عند قوله تعلى ﴿ومن يولهم وجوه يومئذ﴾[326] وما أشبه ذالك وعند الراء من ربهم ومن ﴿الثمرات[327] رزقاً﴾[328] وعند الميم ﴿وما ملكت أيمانهم﴾[329] ﴿أو كصيّب من السماء﴾[330] وعند اللام ﴿من لدنه﴾[331]

325 كلمة غير مقروءة هنا.
326 الأنفال ١٦.
327 «ثمرات» في الأصل.
328 البقرة ٢٢.
329 النساء ٣٦ والأحزاب ٥٠.
330 البقرة ١٩.
331 النساء ٤٠.

و﴿ هدى للمتّقين ﴾[332] وعند الواو ﴿ من وال ﴾[333] ويومئذ واجبة وعند النون من نور و﴿ يومئذ ناعمة ﴾[334] وما أشبه ذالك.

قال لها الإِدغام عند هذه الحروف ستة بغنة أو بغير غنة قالت له نعم الإِدغام عند الأحرف الستة على ضر بين ما يدغم بغنة ظاهرة ومنها ما يدغم بغير غنة. قال لها فما الذي يدغم بغنة ظاهرة قالت له نعم أربعة أحرف وهجاء الأربعة الأحرف يؤمن الياء والواو والميم والنون فيدغم التنوين والنون الساكنة بغنة ظاهرة واللام والراء تدغم عندهن بغير غنة. قال لها لأي شيء وجب الإِدغام التنوين والنون الساكنة عند اللام والراء بغير غنة قالت له إن الإِدغام عند اللام والراء بلغ في تشديدها من سائرهن من أجل انه يغلب للتنوين [ص104] والنون الساكنة حرفاً من جنسها فصار إدغاماً محضاً صحيحاً. قال لها لأي شيء يوجب لقرب مخارج الحروف بعضها من بعض فالحروف إذا تقاربت في المخارج واجب الإِدغام ليخفف الكلام ويسهل النطق لأنه متى ما نطق بالحرف ولم يدغم ثم نطق بالذي يليه في المخرج فكأنه أعاد اللسان في المخرج مرتين فشبهته العرب بمشي المقيد الذي يرفع رجليه ويضعهما مكانهما أو بإِعادة الحديث مرتين يوجب إدغام التنوين والنون الساكنة عند الراء لقرب الذي بينهما فالراء من مخرج النون إلا أنه دخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافها إلى اللام وكذالك بين اللام والنون نحو ما ذكرنا من القرب في المخرج فيوجب الإِدغام لذالك.

قال لها لأي شيء وجب الإِدغام والتنوين والنون الساكنة في الواو قالت له إن الواو من مخرج الميم والنون والتنوين قد أدغمتا في الميم فأجريت الواو مجرى الميم. قال لها فلأي شيء أدغمت التنوين والنون الساكنة في الياء قالت له إن الياء أقرب من جميع حروف طرف اللسان إلى الراء فأدغموا التنوين والنون الساكنة في الياء كما أدغموها في الراء لقرب ما بينهما في المخرج ووجه الثاني أن الياء أخت الواو في المد فشبهوا بها فأدغموها فيها كما أدغموها في الراء. قال لها فلأي شيء وجب الإِدغام بغنة ظاهرة عند الأحرف الأربعة التي ذكرناها قالت له الميم والنون كل واحد منهما فيه غنة فاجتمعت غنتان فإِذا أدغمت فلا بد من إظهار الغنة الواحدة لأنهما غنتان فأدغمت الواحدة وبقيت الثانية. قال لها فلأي شيء

332 البقرة ٢.
333 الرعد ١١.
334 الغاشية ٨٨.

أظهرت الغنة عند الياء والواو وهما حرفان ليس فيهما غنة وإنما الغنة عند الحرفين فقط وهما الميم والنون.

قالت له نعم إنما أجريت الواو مجرى الميم لاشتراكهما في المخرج ومخرجهما من الشفتين وأجريت الياء مجرى الواو لاشتراكهما في المد واللين وأيضاً فإن اللين الذي هو في الياء هو في الواو فشبه به في الغنة وإنما وجب الإدغام في الراء واللام بغير غنة لأن الراء واللام لا غنة فيهما وإنما الغنة في النون والميم فقط فاندغمت معهما فافهم يا سيدي ودبر هذه الأصول وتأملها فإن لكل حرف منها علة غير علة صاحبه.

قال لها أحسنت يا جارية فما الغنة وما هي قالت له نعم الغنة هو الصوت الذي يخرج من الخياشيم وهو صوت مركب فإذا أردت حقيقة حرفته فامسك أنفك حتى تشده ثم انطق بالنون حينئذ حتى تنقطع رنة الصوت فالصوت المنقطع عند شدك المنخرين إلى الغنة التي تظهر عند هذه الأحرف التي ذكرنا مع الإدغام. قال لها أخبريني على كم تنقسم الغنة قالت على ثلاثة أقسام غنة خالصة وغنة ناقصة وغنة متوسطة فالغنة الخالصة في الميم والنون والغنة الناقصة في الياء والواو والغنة المتوسطة في اللام والراء.

قال لها أحسنت يا جارية فما حقيقة الإدغام الذي ذكرنا وما هو قالت له الإدغام إدخال الشيء في الشيء تقول العرب أدغمت اللجام في فم الفرس أي أدخلت فيه والقسم الثاني من الأقسام الأربعة أن التنوين والنون الساكنة [ص105] يظهران عند ستة أحرف وهي حروف الحلق وهي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة فإظهار النون عند الحاء من حيث عليما حكيما وعند الخاء من خلقهم ومن خبر والعين من علق ومن عمل وعند الغين من غل ومن غفور والهاء من هاد ومنهم وهو كثير في القرءان إلا أن الهمزة لم يظهر لنا عندها النون والتنوين من أجل أنه يلقى حركة الهمزة على النون الساكنة والتنوين حيث وقع إلا في موضع فيه عند الهمزة وهو قوله عز وجل ﴿ ينؤون عنه ﴾[335]. قال لها لأي شيء فعل القرءان ذالك هل خلاف للأصل أم لا قالت إن من أصله لا ينقل حركة للهمزة إلا ما كان من كلمتين فإذا كانت الهمزة هاهنا والنون ساكنة في ينؤون في كلمة واحدة لم ينقل حركة الهمزة فوجب له الإظهار في هذه الحروف التي ذكرها أعني حروف الحلق سواء كن من كلمتين أو من كلمة واحدة مع النون فلا بد من الإظهار بخلاف الإدغام إلا أترف[336] أنه

335 الأنعام ٢٦.

336 كذا.

أنفق على إظهار النون الساكنة عند الياء والواو وذالك نحو الدنيا وبنيان وقنوان وصنوان.

قال لها لأي شيء أظهر النون ها هنا عند الياء والواو قالت له نعم لما كانت في الياء والواو كلمة واحدة أظهرت وإنما شرطوا الإدغام فيها فيما كان من كلمتين وقيل أيضاً حجة ثانية وهي أقطع وأشهر وأولى وذالك أنهم إنما أظهر الساكنة في هذه الكلمة لئلا يشبه ما تفعال الضعيف الذي على بناء فعال نحو قيراط وديوان لهذه العلة. قال لها لأي شيء أظهرت النون والتنوين عند عروة الحلق قالت له إن حروف الحلق تباعدت في المخارج وأما النون والتنوين يخرجان من مخارج الفم وحروف الحلق فتباعدت ما بينهن فإن خرج كل واحد منهن من مخرجه ووفى حقه. قال لها فما معنى الإظهار قالت له الإظهار في اللغة هو التحقيق تقول أظهرت الشيء إذا حققت وهو البيان أن تقطع الحرف الأول من الثاني قطعاً تبين عنه من غير أن تسكت عليه والقسم الثالث من الأقسام الأربعة أن التنوين والنون الساكنة يخفيان خمسة عشر حرفاً وهي التاء والثاء والواو والذال والدال والجيم والزاي والقاف والفاء والطاء والسين والشين والكاف والصاد والضاد والظاء.

فإذا أتى أحد هذه الحروف بعد النون والتنوين فأخف عند جميعها حيث وقع. قال لها ما معنى الإخفاء في اللغة قالت له الإخفاء هو الإستار تقول العرب أخفيت الشيء إذا سترته وفي الاصطلاح حالة بين حالتين ليس بإظهار خالص ولا إدغام خالص إلا أن الإدغام يختلف عند هذه الحروف على قربها وبعدها فما كان أقرب إليها فهو أخفى وما كان أبعد منها فهو دون ذالك فاعلم يا أستاذ وذالك لا تقف على حقيقة معرفته إلا بمعرفة مخارج الحروف. قال لها لأي شيء أخفي التنوين والنون الساكنة عند هذه الحروف قالت له إن التنوين لم تبعد من هذه الحروف كبعد حروف الحلق ولم تقرب منها كقرب حروف يرملون فجعل لها [ص106] حالاً متوسط الإظهار والإدغام والقسم الرابع من الأقسام الأربعة أن التنوين والنون الساكنة ينقلبان فيما في اللفظ عند الباء خاصة حيث وقع في كتاب الله نحو ﴿أن بورك من في النار﴾[337] و﴿هنيئاً بما كنتم تعملون﴾[338] ومن بعدهم ﴿صمّ بكم عمي﴾[339] فهذه ثلاثة كلمات اجتمع فيها إقلاب وإظهار وإخفاء فصم ينقلب التنوين فيما في اللفظ عند

337 النمل ٨.
338 الطور ١٩ والمرسلات ٤٣.
339 البقرة ١٨ و١٧١.

الباء وبكم يظهر التنوين عند العين وعمي يخفي التنوين عند الفاء فقس بهذا عندما يشبه نحو الصواب يا أستاذ.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني لأي شيء قلب التنوين والنون الساكنة فيما في اللفظ عند الباء ولا يظهر قالت له نعم اعلم أن الإظهار امتنع فيها لما فيه من المشقة والكلفة لأن خروج الباء من الشفتين يمنع إتمام الصوت لأن الباء تنطبق بها الشفتان. قال لها فلم لم يدغمها قالت له نعم إن الإدغام لم يحسن لما بينهما من البعد في المخرج وهي أيضاً مخالفة لهما في اللغة فلم يدغمها من أجل ذالك قال لها فلم يخفيا قالت له نعم يا سيدي إنه لم يصح فيه الإخفاء كما لم يصح الإظهار لأن لفظك بالباء يمنع من إتمام الصوت لغنة الخيشوم لأن الغنة الخفيفة مخرجها من الخيشوم فلما امتنعنا الوجوه الثلاثة فردوها إلى القلب. قال لها لأي شيء قصدوا إلى قلب النون والتنوين فيها من بين سائر الحروف قالت له نعم لأنها تشبه النون في الغنة وتشبه الباء في المخرج فلما لم تخرج الميم من شبه الحرفين جميعاً كانت الميم لذالك أولى من سائر الحروف. واعلم أن التنوين والنون إذا أظهرتهما فإن مخرجيهما في حال الاضطرار خاصة من مخرج النون للحركة وذالك من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا ومخارج التنوين في حال الإخفاء من الخياشيم لا غير وهو المخرج السادس عشر من المخارج وهو الآخر منهما وأما النون والتنوين إذا أدغمتهما فيما بعدهما فإنهما يخرجان من مخرج الحرف الذي أدغما فيه لأنهما ينقلبان حرفاً مثله فافهم ذالك يا أستاذ.

قال لها أحسنت يا جارية فما معنى القلب قالت له نعم القلب هو التبديل تقول العرب قلبت الشيء إذا بدلته قال لها وما معنى التمييز في اللغة قالت له نعم هو التبيين تقول ميزت الشيء إذا بينته قال لها وما الانفكاك في اللغة قالت له نعم الانفكاك هو الانفصال تقول العرب فككت الشيء إذا فصلته. قال لها وما الاختلاس في اللغة قالت له نعم هو الاختلاط تقول العرب اختلس الذيب الشات إذا اختطفها قال لها وما التفخيم في اللغة قالت له نعم التفخيم هو التعظيم قال لها وما الترقيق في اللغة قالت له نعم الترقيق هو التضعيف.

قال لها أحسنت يا جارية بارك الله فيك أخبريني عن الحروف المنفصلة والمتصلة قالت له نعم يا سيدي اسئل عن ما بدا لك غايتك في الجواب إن شاء الله تعلى قال لها فما تقولين في قوله أن لا فكم عدد ما يثبت فيه النون [ص107] قالت له أول ذالك يا أستاذ

جميع ما في كتاب الله من قوله إلا فهو بغير النون إلا عشرة أحرف فأولها في الأعراف أن لا أقول وفيها ﴿أن لا يقولوا﴾[340] وفي التوبة ﴿أن لا ملجأ من الله﴾[341] وفي هود﴿أن لا إله إلا هو﴾[342] و﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾[343] وفي الحج ﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾[344] وفي يس ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾[345] وفي الدخان ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾[346] وفي الممتحنة ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾[347] وفي ﴿ن والقلم﴾[348] ﴿أن لا يدخلنّها اليوم﴾[349] فهذه المواضع كلها بالنون.

قال لها ومن ما قالت كلما في رد في كتاب الله تعلى من ذكر مما فهو موصول إلا ثلاثة أحرف في النساء ﴿فمن ما ملكت أيمانكم﴾[350] وفي الروم ﴿من ما ملكت أيمانكم﴾[351] وفي المنافقين ﴿من ما رزقناكم﴾[352]. قال لها ومن مال قالت له أما قوله ﴿من مال الله﴾[353] وشبهه من دخول من على اسم ظاهر فهو مقطوع حيث وقع وإذا دخلت على نحو قوله تعلى من مانع ممن افترى ممن كذب وممن دعى وممن معك وشبهته فصله حيث وقع. قال لها وعن ما قالت موصول في جميع القرءان إلا في سورة الأعراف قوله تعلى ﴿عن ما نهوا عنه﴾[354] وزاد بعض القراء عن ما نهوا حرفان مقطوعان قال لها وأين ما قالت له أينما

---

340 الأعراف ١٦٩.
341 التوبة ١١٨.
342 هود ١٤.
343 هود ٢.
344 الحج ٢٦.
345 يس ٦٠.
346 الدخان ١٩.
347 الممتحنة ١٢. أخطأ الناسخ إذ كتب «يشرك».
348 القلم ١.
349 القلم ٢٤.
350 النساء ٢٥.
351 الروم ٢٨.
352 المنافقون ١٠.
353 النور ٣٣.
354 الأعراف ١٦٦.

موصولة ثلاثة في البقرة أينما يوجهه لآيات بخير وفي الشعراء ﴿ أينما كنتم تعبدون ﴾[355] وقد اختلفوا فهي فمنهم من بعد الذي في البقرة والنحل والشعراء والأحزاب.

قال لها ونعما قالت له نعم نعماً حرفان لأن معناه نعم الشيء وكتباه بالوصل قال لها وإنما بكسر الألف قالت متصلة حيث وقع في القرءان الأحرف واحد في الأنعام ﴿ إن ما توعدون لآت ﴾[356] منفصل ليس في القرءان غيره قال لها وأنما بفتح الألف قالت له موصولة كلها إلا بعض أحرف فإنها منفصلة في الحج ولقمان ﴿ وإن ما يدعون من دونه ﴾[357] و﴿ إنما غنمتم ﴾[358] وفي النحل ﴿ إنما عند الله ﴾[359]. قال لها فكأنما قالت موصولة حيث كان مثل ﴿ كأنما يساقون ﴾[360] و﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾[361] قال لها وبئس ما قالت نعم مقطوع كله إلا ثلاثة أحرف في البقرة ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم ﴾[362] وفيه أيضاً ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾[363] وفي الأعراف ﴿ بئسما اختلفتموني من بعدي)[364] وفيه قاعدة أخرى إذا كان اللام في أوله فهو مقطوع قال وكلما قالت له موصول في جميع القرءان إلا حرفان في النساء ﴿ كل ما ردوا إلى الفتنة ﴾[365] وفي إبراهيم ﴿ كل ما سألتموه ﴾[366]. قال لها فما تقولين في قوله تعلى لكيلا قالت موصولة منها ثلاثة أحرف في الحج وفي الحديد ﴿ ليلا تأسوا ﴾[367] وزاد آخرون في آل عمران ﴿ لكيلا تحزنوا ﴾[368] وغير هذه الأحرف الأربعة منفصل.

---

355 الشعراء ٩٢.
356 الأنعام ١٣٤.
357 لقمان ٣٠.
358 الأنفال ٤١.
359 النحل ٩٥.
360 الأنفال ٦.
361 الأنعام ١٢٥.
362 البقرة ٩٠.
363 البقرة ٩٣.
364 الأعراف ١٥٠.
365 النساء ٩١.
366 ابراهيم ٣٤.
367 الحديد ٥٧.
368 آل عمران ١٥٣.

قال لها وإن ما قالت له ليس في جميع القرءان إن ما بالنون إلا حرف واحد في الرعد ﴿وإن ما نرينّك بعض الذي نعدهم﴾[369] قال لها فما تقولين في قوله تعلى فإن لم قالت له منفصل كله إلا حرف واحد في سورة هود ﴿فإلّم يستجيبوا لكم﴾[370] بغير النون. قال لها وإن لن قالت له كله بالنون إلا حرفين [ص108] في الكهف ﴿ألّن نجعل لكم موعداً﴾[371] وفي ﴿لا أقسم ألّن نجمع عظامه﴾[372] قال لها وفيما قالت موصول إلا اثني عشر حرفاً في البقرة ﴿في ما فعلن في أنفسهن من معروف﴾[373] وفي المائدة ﴿ليبلوكم في ما آتاكم﴾[374] وفي الأنعام ﴿ليبلوكم في ما آتاكم﴾[375] وفي الأنعام أيضاً ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً﴾[376] وفي الأنبياء ﴿في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾[377] وفي النور ﴿في ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾[378] وفي الشعراء ﴿في ما هاهنا آمنين﴾[379] وفي الروم ﴿في ما رزقنكم﴾[380] وفي الزمر ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾[381] ﴿في ما كانوا فيه يختلفون﴾[382] حرفان وفي الواقعة ﴿وننشئكم في ما لا تعلمون﴾[383] وفي الأحقاف ﴿فيما إن مكّنّكم فيه﴾[384].

---

369 الرعد ٤٠.
370 هود ١٤.
371 الكهف ٤٨.
372 القيامة ٣.
373 البقرة ٢٤٠.
374 المائدة ٤٨.
375 الأنعام ١٦٥.
376 الأنعام ١٤٥.
377 الأنبياء ١٠٢.
378 النور ١٤.
379 الشعراء ١٤٦.
380 الروم ٢٨.
381 الزمر ٣.
382 الزمر ٤٦.
383 الواقعة ٦١.
384 الأحقاف ٢٦.

قال لها ويومهم قالت له حرفان وليس في القرءان غيرهما مقطوعان ﴿يوم هم بارزون﴾[385] ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[386] قال لها وما لِ قالت له موصولة في جميع القرءان إلا في أربعة مواضع فإنها منفصلة ﴿فمالِ هؤلاء القوم﴾[387] في النساء وفي الكهف ﴿مالِ هذا الكتاب﴾[388] وفي الفرقان ﴿مالِ هذا الرسول﴾[389] وفي المعارج ﴿فمالِ الذين كفروا﴾[390] . قال لها وأين أم قالت له اثنان في القرءان في سورة الأعراف مقطوع وفي طه موصولة وكذالك ويكان حرفان ويكان الله ويكان في القصص وكذالك ولآتا حين مناص يقطع التاء عن الحاء ومتصلة بالحاء عند بعض القراء وكتبوا كالوهم أو وزنوهم موصولين من جليبه من لا تعلمونهم لبسيل مقيم مفرقة متربة فحياهم مبلغهم لبامام لبا لمرصاد مساته منضود هلم امهلهم أمعاءهم فلمسوه سلسبيلا زنجبيلا انكدرت انكالا انكاثا انفطرت انتشرت انؤمن اندع انسجد انبئهم انلزمكموها ايطعم من لو يشاء الله لانفضوا لافتدوا به لوجد الله اوعدبتم ليشخلفنهم فقذفناها فلنأتيكم بالوصل حيث ما ورد. وأما المنفصل لنبتدئ به في يات بصيرا أفي لهب ولا أعصي لك أمرا وأملي لهم بناتي معي فردا معي صبرا معي عدوا إن شأنك أن نسينا أن نفعت الذكرى فليس ما شروا أم زاقت الانفصام إن ابني من أهلي سل بني إسرائيل أن ناشئة اليل منفصل حيث ورد.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ما كتب بالهاء إلا سبعة أحرف بالتاء في البقرة ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾[391] وفي الأعراف ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[392] وفي هود ﴿رحمة الله وبركاته﴾[393] وفي مريم ﴿رحمة ربك﴾[394] وفي الروم ﴿إلى آثار

---

385 غافر ١٦.
386 الذاريات ١٣.
387 النساء ٧٨.
388 الكهف ٤٩.
389 الفرقان ٧.
390 المعارج ٣٦.
391 البقرة ٢١٨.
392 الأعراف ٥٦.
393 هود ٧٣.
394 مريم ٢.

رحمة الله ﴾[395] وفي الزخرف ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾[396] ووفيهما ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾[397] . وأما نعمة فكل ما ورد في كتاب الله من ذكر نعمة فهو بالهاء إلا في إحدى عشر موقعاً بالبقرة ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم ﴾[398] وفي آل عمران ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء ﴾[399] وفي المائدة ﴿ اذكروا نعمت الله عليكم إذ همّ قوم ﴾[400] . وفي إبراهيم ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً ﴾[401] ﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾[402] وفي النحل ﴿ وبنعمة الله هم يكفرون ﴾[403] وفيها ﴿ يعرفون نعمة الله ﴾[404] ﴿ وفيها واشكروا نعمت الله ﴾[405] وفي لقمان ﴿ في البحر بنعمت الله ﴾[406] وفي فاطر ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله ﴾[407] وفي الطور ﴿ فما أنت بنعمت ربك ﴾[408] .

وأما السنة فهي بالهاء إلا خمسة ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾[409] ﴿ إلا سنت الأولين ﴾[410] ﴿ مضت سنت الأولين ﴾[411] ﴿ سنت الله التي قد

395 الروم ٥٠ .
396 الزخرف ٣٢ .
397 الزخرف ٣٢ .
398 البقرة ٢٣١ .
399 آل عمران ١٠٣ .
400 المائدة ١١ .
401 إبراهيم ٢٨ .
402 إبراهيم ٣٤ .
403 النحل ٧٢ .
404 النحل ٨٣ .
405 النحل ١١٤ .
406 لقمان ٣١ .
407 فاطر ٣ .
408 الطور ٢٩ .
409 فاطر ٤٣ .
410 فاطر ٤٣ .
411 الأنفال ٣٨ .

خلت في عباده ﴾[412] . وأما المرأة فجميعها بالهاء إلا سبعة أحرف في آل عمران ﴿ إذ قالت امرأت [ص109] عمران ﴾[413] وفي يوسف ﴿ امرأت العزيز ﴾[414] وفيها ﴿ قالت امرأت ﴾[415] وفي القصص ﴿ قالت امرأت فرعون ﴾[416] وفي التحريم ﴿ امرأت نوح ﴾[417] ﴿ وامرأت لوط ﴾[418] ﴿ وامرأت فرعون ﴾[419] . والكلمة كلها بالهاء إلا حرف واحد في الأعراف ﴿ وتمت كلمت ربك ﴾[420] ﴿ وبينات ﴾[421] في النساء و﴿ بقيت ﴾[422] في هود ﴿ وغلقت الأبواب ﴾[423] في يوسف ﴿ وعنت الوجوه ﴾[424] في طه ﴿ وخشعت الأصوات ﴾[425] و﴿ تنبت بالدهن ﴾[426] في الأفلاح[427] و﴿ قرت عين ﴾[428] في القصص ﴿ وفطرت الله ﴾[429] في الروم ﴿ وجنت نعيم ﴾[430] و﴿ شجرة الزقوم ﴾[431] و﴿ إنبت ﴾[432] في التحريم و﴿ تفاوت ﴾[433] في الملك .

---

412 غافر ٨٥ .
413 آل عمران ٣٥ .
414 يوسف ٣٠ .
415 يوسف ٥١ .
416 القصص ٩ .
417 التحريم ١٠ .
418 التحريم ١٠ .
419 التحريم ١١ .
420 الأعراف ١٣٧ .
421 النساء ١٥٣ .
422 هود ٨٦ .
423 يوسف ٢٣ .
424 طه ١١١ .
425 طه ١٠٨ .
426 المؤمنون ٢٠ . وردت « في الذهن » في الأصل خطاء .
427 جاءت نسبة إلى ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ وهي الآية الأولى للسورة .
428 القصص ٩ .
429 الروم ٣٠ .
430 الواقعة ٨٩ .
431 الصافات ٦٢ والدخان ٤٣ .
432 التحريم ١٢ .
433 الملك ٣ .

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن من تكلم بالعربية أولا ونطق بها قالت له نعم أول من تكلم بالعربية علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت من آيته ثم زاد فيه أبو الأسود الدؤلي ثم أتى الخليل بن أحمد فأتقنه ثم جاء تلاميذ سيبويه فأكملنه. قال لها أخبريني عن علماء النحو والعربية قالت له نعم أبو عمر والأصمعي عبد الملك بن قريب وحلف الأحمر والخليل بن أحمد الفراهدي[434] وسيبويه وعمرو بن عثمان والكسائي علي بن حمزة والفراء[435] يحيى بن زياد والنحو للإنسان. قال السلف تعلموا النحو للإنسان والفقه للأديان والطب للأبدان والنحو للكلام كالملح في الطعام واللحن في الكلام كالجدري في الوجه والنحو قوم للإنسان ولا يكمل طلب للإنسان إلا به مثل المعدن للصانع لا تكمل معاوقة الصانع إلا بالمعدن وكذالك النحو لا يصلح الطالب شيئاً إلا به قال علي رضي الله عنه أقسام الكلام ثلاثة ثم زاد فيه أهل النحو فقالوا اسم وفعل وحرف.

قال لها ما علامة الاسم وما علامة الفعل وما علامة الحرف فقالت له نعم إلا عليه خمسة أسئلة قال لها ما حدّه وما تقريبه وما خواصه وما أقسامه ولا شيء جاء به. قالت له نعم أما حدّه كل كلمة مفردة تدل على معنى في غيره وتحرز من الفعل قال لها وما تقريبه قالت له نعم كلما صلح فيه نفعني أو ضرني فهو اسم مثل نفعني زيد وضرني حمارك. قال لها وما خواصه قالت له أربعة أقسام منها ما يخصه من أوله وهي الألف واللام الزائدتان وحروف الجر وحروف النداء. فأما الألف واللام فهي على أقسام تكون موصولة كقول الشاعر:

ما أنت بالحكم الترضي حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل*

قوله الترضي حكومته الألف واللام موصولة معناه الذي ترضى حكومته وتكون موصولة في اسم الفعل مثل الضارب واسم المفعول مثل المضروب الذي ضرب والذي ضرب وتكون للعهد مثل رأيت رجلاً فأكرمت الرجل كما قال الله سبحانه فأرسلنا رسولا ﴿فعصى فرعون الرسول﴾[436] الثاني هو الأول الألف واللام فيه للعهد. وتكون للعهد مثل الجنس مثل الرجل خير من المرأة والذهب خير من الفضة معناه هذا الجنس خير من هذا وتكون للمح الصفة كالحارث والنعمان وتكون للغلبة ومعنى الغلبة أن يقع الاسم المعروف بالذات على الشيء

---

434 كذا.

435 «الفرائ» في النص.

436 المزمل ١٦.

بعينه دون سائر أمثاله كوقوع لفظ النجم على الثريا والدبران وتكون للمفاجأة والحضور مثل خرجت فإذا الأسد وتكون زائدة في مثل [ص110] قول الشاعر * وجد الوليد بن اليزيد مباركا * شديداً بأعباء الخلافة كأهله * وقول الآخر * رأيتك المال عرفت وجوها * صددت وطبت للنفس عن عمر *

ومعناه ابن يزيد وطبت نفساً فالألف واللام زائدة في هذين البيتين وتكون زائدة لازمة كقولك الآن والذي والتي وحروف الجر.

قال لها وما حرف الجر قالت له نعم من وإلى وعن وعلى وفي ورب والياء والكاف واللام والواو والتاء في القسم ومذ ومنذ في الكلام وخلا وعدى وحاشى وواو رب وحروف النداء. قال لها وما حروف النداء[437] قالت له يا وأيا وهيا وأي كقولك يا زيد وهيا زيد وأيا زيد وأي زيد وللقريب الهمزة كقولك أزيد وذهب بعض النحويين إلى أن أيا وهيا للبعيد وأي والهمزة للقريب ويا لهما معا وذهب بعض النحويين إلى أن أيا وهيا للبعيد والهمزة للقريب وأي للمتوسط ويا للجمع. وأما ما يخصه من آخره فهو الخفض وياء النسب مثل القرشي والتميمي والتثنية مثل رجلان وهي واحد إلى مثله بشرط اتفاق اللفظين وأصله العطف وفائدته التكرير كقولك وزيد فتختصر فتقول الزيدان والجمع مثل الزيدون وهو ضم واحد إلى أكثر بشرط اتفاق الألفاظ. والإضافة مثل غلام زيد تقديره غلام لزيد وما يتقدر بمن نحو ثوب خز وخاتم حديد. وتاء التأنيث التي تبدل في الوقف هاء نحو طلحة وحمزة وعائشة رضي الله عنهما والألف الممدودة مثل صفراء وحمراء وبيضاء والألف المقصورة مثل حبلى وسكرى ومرضى والتنوين.

قال لها وما معنى التنوين قالت له نون ساكنة زائدة تلحق بالاسم بعد كماله تفصله عما بعده وهو على خمسة أقسام تنوين تمكين مثل زيد وتنوين تنكير وهو الذي يلحق الأسماء المبنية مثل سيبويه وصه فإذا نونته صيرته نكرة فرقاً بين معرفتها ونكرتها وتنوين المقابلة وهو الذي في جمع المؤنث السالم مثل هندات وتنوين العوض وهو على قسمين عوض عن حرف وهو جدار وغواش وعوض من جملة وهو يومئذ وحينئذ وتنوين النزع وهو الذي يلحق في المطلقة بحرف العلة عوضاً من حروف الإطلاق وقد جمعها بعضهم في ثلاثة أبيات فقال:

---

437 وردت هذه الكلمة في الهامش.

*تنبه فللتنوين خمسة اضرب * فمنه للتنكير ومنه للتمكين *
*ومنه للتعويض وجمع المؤنث * يقابل في جمع المذكر بالنون *
*ومنه الإِطلاق القوافي إذا أتت * بإِثر روي ناب عن أحرف اللين *

ومنها ما يخصه من جملة. قال وما الذي يخصه من جملته قالت له التصغير والتكسير مثال التصغير رجيل ومثال التكسير رجال وهو ما تغير فيه بناء الواحد بزيادة أو نقصان أو تغير حركة ومنها ما يخصه من معناه. قال لها وما هو قالت له كونه فاعلاً أو مفعولا أو مالكاً أو مملوكاً وأما أقسامه فهو أربعة أقسام متمكنا في التسمية وفي الإِعراب نحو زيد وعمر ولأنه لزم مسمى واحد ولا يفارقه متمكن في الإِعراب لأنه صح له غير متمكن في التثنية في الإِعراب في مثل هذا وهذه والذي والتي لأنه [ص111] لأنه لا يلزم مسمى بعينه ولأنه مبني.

والثالث متمكن في التشبيه دون الإِعراب نحو رحى وعصى وغازٍ أو قاضٍ وأحمد وإِبراهيم لأنه لزم مسمى واحد لا يفارقه وغير متمكن في الإِعراب دون التسمية نحو بعض وكل وربع ونصف لأنه صح له في الإِعراب بكماله وغير متمكن في التسمية لأنه لا يلزم مسمى بعينه وإِنما هو بحسب ما يضاف إِليه فتقول كل الدراهم عندك وكل الثياب عند زيد.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الفعل قالت له ترد عليه خمسة أسئلة قال لها وما هي قالت له حده وخواصه وتقريبه وأقسامه ولأي شيء جيء به قال لها وما حده قالت له كل كلمة مفردة تدل على معنى في نفسها مقترنة بزمان محصل وما خواصه قالت له أربعة أقسام قال لها وما هي قالت له الأول أن يكون مدلوله قد والسين وسوف والنواصب والجوازم والثاني أن يكون من آخره وهو النون الشديدة ليقولن والنون الخفيفة لسحعا وليكونا وجماعة المؤنث يقمن ويقعدن وتاء التأنيث التي تلحق الأفعال الماضية نحو ضربت. والثالث أن تنقله من بناء نحو ضُرِبَ يُضرب ضرباً اضرب لا تضرب ضارب مضروب والرابع أن يكون معناه كونه منفياً أو موجباً أو أمراً أو نهياً أو طلباً أو غير ذالك وأما أقسامه فهو على ثلاثة أقسام. قال لها وما هي قالت له قسم من جهة الزمان وهو على ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل وإِنما كان كذالك لأن المقصود تعيين الزمان فلما كانت اللازمة ثلاثة أوجه أن تكون الأفعال ثلاثة قال تقريبه قالت له كل ما صلح معه قد والسين وسوف ويصلح دخول تاء التأنيث في آخره نحو فعلت ضربت قامت قد يقوم سيقوم سوف يقوم.

وأما أقسامه فخمسة أقسام قال لها وما هي قالت له قسم من جهة الزمان وهو على ثلاثة أقسام كما ذكرنا وأما أقسامه من جهة الإعراب والبناء فهو على قسمين معرب ومبني فالمعرب هو جميع أمثلة الفعل المضارع ما لم يتصل بآخره أحد النونين الثلاثة وهي النون الشديدة والنون الخفيفة[438] ونون الجماعة للنسوة فيصير مبنياً. والمبني على قسمين مبني على السكون وهن جميع أمثلة المخاطب ما لم يعرض من اتصال ضمير الرفع بآخره نحو اضربوا أو اخرجوا أو تكسر لالتقاء الساكنين نحو ادخل الجنة والمبنى على الحركة نحو جميع أمثلة الفعل الماضي ما لم يعرض له عارض من اتصال ضمير الرفع بآخره نحو ضربوا وضربت وخرجوا وخرجت. وأما من اتصال ضمير الرفع بآخره نحو ضربوا وضربت وخرجوا وخرجت وأما أقسامه من جهة التصريف فهي على خمسة أقسام قال لها وما هي قالت له ماض وحاضر ومستقبل وأمر ونهي.

وأما أقسامه من جهة الصحة فقسمان صحيح ومعتل فالصحيح الذي لا توجد فيه حروف العلة نحو ضربت قتل خرج والمعتل هو الذي توجد فيه حروف العلة الواو والياء والألف وهو على خمسة أقسام. قال لها وما هي قالت له معتل الياء نحو يعد وعد قال يقول كان يكون ومعتله اللام نحو [ص112] دعا وغدى وخلى ومعتل الفاء واللام نحو وقى يقي ووعى يعي ووشى يشي والخامس معتل اللام والعين جميعاً نحو لوى يلوي طوى يطوي. وأما أقسامه من جهة التصريف فهي على قسمين قسم متصرف وهو الذي لا يلزم طريقة واحدة وينتقل من بناء[439] إلى بناء نحو ضرب يضرب ضرباً وغير متصرف وهو الذي يلزم طريقة واحدة ولا ينتقل وهو على قسمين ما استعمل منه الماضي دون المضارع وهو ستة نعم ويس وعسى وليس وحبذا وأفعال التعجب والذي استعمل منه المضارع دون الماضي يذر ويدع وأما لأي شيء به فهو لتعيين وقوع زمان الحدث.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الحروف قالت ترد على خمسة أسئلة قال لها وما هي قالت له حده وتقريبه ولأي شيء جيء به وأقسامه ومواضعه قال لها فما حده قالت له كلمة مفردة لا تدل على معنى في نفسها لاكن في غيرها وأما أقسامه فقسمان لازم وغير لازم فاللازم على قسمين لازم الأسماء ولازم الأفعال فلازم الأسماء على ضربين

438 «خفية» في الأصل.

439 كذا بدل «بنى».

عامل وهي حروف الجر وغير عامل الألف واللام واللازم للأفعال على ضربين عامل وهي النواصب وغير عامل وهي السين وسوف وقد . وأما ما هو غير لازم فقسمان عامل وهي ما في لغة أهل الحجاز وغير عامل وهي هل وبل وحروف العطف وأما مواضعه فله مواضع في اللغة وهي ستة يطلق الحرف ويراد به أحد الحروف المعاني وهي من وإلى ويطلق ويراد به حروف التهجي التي هي ا ب ت ث ج ح خ ويطلق ويراد به الناقة الضامر ويطلق ويراد به حروف الشك وعليه فسر قوله تعلى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾[440] أي على شك ويطلق الحرف ويراد به المذهب يقال فلان يقرأ حرفا ابن مسعود أي مذهبه ويطلق الحرف ويراد به السيف وهو طرق . وأما مواضعه في الحرفية فهو أن يأتي به لمعنى في الاسم خاصة نحو السين وسوف أو رابطاً بين اسمين كحروف العطف نحو زيد وعمر وبين فعلين كحرف العطف نحو قام وقعد أو رابطاً بين جملتين نحو إن تقم اقم أو رابطاً بين فعل واسم نحو مررت بزيد أو أخلا على جملة تامة فالباء لمعناها نحو هل قام زيد وما قام عمر وزائد المجرد التوكيد نحو ما للدار من أحد فمن هنا زائدة والتقدير ما في الدار أحد . وشروط من الزائدة أن يتقدمها نفي واستفهام وتدخل في النكرة وعليه قول الشاعر

*وقعت فيها أصيلاً فأسائلها * عيت حوانا وما بالربع من أحد *

قال والأسماء قالت له الأسماء كلها معربة على أصلها إلا ثمانية أشياء المضمرات والمبهمات والموصولات وأسماء الشرط وأسماء الاستفهام وبعض وبعد ظروف الزمان وبعد ظروف المكان . وأما أسماء الأفعال ما أعرب من الأسماء أعرب أصله وما بنى منها بني على أصله والأفعال كلها مبنية على أصلها إلا الفعل المضارع الذي لم يتصل به أحد النونان الثلاثة ما بني من الأفعال بنى على أصله وما عرب منها عرب على غير أصله وهو الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء فإنه معرب على غير أصله [ص113] لتشبهه بالاسم في الخصوص والعموم. قال لها وما الخصوص والعموم قالت له الخصوص بالسين وسوف والعموم[441] صلوحه لأكثر من زمان والرابع وقوعه موقع الاسم في الصفة والصلة والخبر والحال. قال لها أخبريني عن أصل الإعراب قالت له نعم أصل الإعراب الأسماء لأنها تتغير صيغتها لتغير المعاني عليها ومعانيها ثلاثة الفاعلية والمفعولية والإضافة مثال الفاعلية ما أحسن زيد ومثال المفعولية ما أحسن زيد أو مثال الإضافة ما أحسن زيد . قال لها وأصل

440 الحج ١١.

441 جاءت الجملة ما بين « قال » و« العموم » بالهامش.

البناء قالت له أصل البناء الأفعال لأنها لا تتغير صيغتها لتغيير المعاني عليها ومعانيها ثلاثة الزمان الماضي والمستقبل والحال قال لها والحروف قالت له الحروف كلها مبنية على أصلها وما جاء على أصله فلا سؤال فيه وهي على أربعة أقسام مفتوح ومسكن ومشدد ومكسور فالمفتوح مثل الواو والفاء تقول حرف لأن معناه في غيره لا يصلح معه شيء من خواص الأسماء ولا من خواص الأفعال مبني على الأصل وعلى الحركة لا مكان النطق به والفتح تخفيف والمسكن مثل تقول حرف لأن معناه في غيره لا يصلح معه شيء من خواص الأسماءِ ولا من خواص الأفعال مبني على الأصل وعلى السكون لأنه الأصل ومشدد مثل أن تقول حرف لأن معناه في غيره لا يصلح معه شيء من خواص الأسماء ولا من خواص الأفعال مبني على الأصل وعلى الحركة لا مكان النطق به والفتح تخفيف.

وأما المكسور على قسمين إما أن يكون الباء واللام فإن كان الباء مثل أن تقول حرف جر لأن معناه في غيره لا يصلح معه شيء من خواص الأسماء ولا من خواص الأفعال مبني على الأصل وعلى الحركة لا مكان النطق به وكانت الحركة كسرة إشعارا بالعمل وكان اللام مثل لي تقول حرف لأن معناه في غيره لا يصلح معه شيء من خواص الاسم ولا من خواص الفعل مبني على الأصل وعلى الحركة لا مكان النطق به وكانت الحركة كسرة للفرق بينه وبين الابتداء نحو زيد خير من عمرو وقال تعلى ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾[442]. قال لها والنواصب قالت له النواصب على عشرة وهي إنّ لن وإذا وكي ولا وكي ولام الجحود وحتى والجواب بالفاء والواو وهو قسمان أصول وفروع قال ما الأصول والفروع قالت له الأصول إنّ ولن وإذا باتفاق وكي معهن على المشهور والفروع ما عداهن. قال لها والجوازم قالت له الجوازم ثمانية عشر وهن لم ولما وألم وألما ولام الأمر والدعاء ولا في النهي والدعاء وأن وما ومن ومهما وإذما وأي وحيثما وكيفما وأيان وأين ومتى وأنى وهو قسمان أصول وفروع. قال لها ما الأصول وما الفروع قالت له الأصول أربعة وهي لم ولما ولام الأمر ولا في النهي والدعاء والفروع ما عداهن.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الإعراب ما هو وما حقيقته وما الكلام عليه قالت له نعم الكلام فيه ينقسم على اثنين وعشرين فصلاً الأول ما الإعراب في اللغة وما هو في الاصطلاح وما فائدته ولا شيء جيء به وما بيان البناء وما الفرق بين البناء وما

---

442 البقرة ٢٢١.

ألقاب البناء وما محل كل واحد منهما بحق الأصالة وتعليل ما خرج عن أصله وذالك الفعل المضارع حيث أعرب وما المعرب من الكلام وما المبني بحق الأصل وما المعرب بحق المشبه وما المبني بحق الشبه وما المعرب بكسر الواو وما المعرب بكسر الباء وما أقسام الإعراب بحسب المعربات ولأي شيء [ص114] جيء به. قالت له تتفرد الأسماء بالخفض والتنوين ودخول الألف واللام عليها والنعت والتصغير والنداء وتتفرد الأفعال وأما الإعراب في اللغة فيطلق ويراد به البيان ومنه قولهم أعربت الشيء إذا بينته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر والثيب تعرب من نفسها أي تبين عن نفسها ويطلق ويراد به التحسين ومنه قولهم أعربت الشيء إذا حسنته ومنه قوله تعلى ﴿عربا أترابا﴾[443] أي احسانا ويطلق ويراد به الانتقال ومنه قولهم أعربت الخيل أي انتقلت عن مرعاها إذا لم تستقر في جهة منه ويطلق ويراد به التغير ومنه قولهم عربت معدة الرجل إذا تغيرت.

وأما الإعراب في الاصطلاح فهو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً جعل التغيير جنساً وهو الانتقال والتبديل وإضافة ذالك العلم تنبيها على الإعراب ليس محله الجمل وإنما محله المفردات ومعنى تغيير أواخر الكلم تحرز من الاختلاف الذي يكون أول الكلمة نحو زويد وفي آخرها نحو زويد وقوله العوامل فيه نحو حبلى وحبلوا. وأما البناء فالبناء مثل الإعراب في اللفظ أي الحركات وضدها المعنى ان الإعراب معناه الدلالة على المعنى الذي تحدث بالعوامل والبناء لا يدخل على شيء مما يحدث بالعوامل والفرق بينهما ان انتقال الإعراب ولزوم البناء معناه أن حركة الإعراب تتغير وتنتقل من شيء إلى شيء وحركة البناء تلزم ولا تنتقل. ولولا النهار قد ولى والمجلس لا يحتمل التطويل لأتيناك بجميع تفسيره فلما رآها في الجواب ولا تتوقف في كل ما سألها عنه قام قائم على قدميه وقال أشهد يا أمير المؤمنين أن الجارية أعلم مني بتفسير القرءان وغريبه وناسخه ومنسوخه والعربية والإعراب وأنا مقر لها بذالك وهذا واجب الانصراف فانصرف النحوي القارئ.

باب ما فعلت الجارية مع الطبيب وقعد بين يديها فضحكت لجلوسه فقال لها يا بنيتي تستهزئين بي فزادت عليه ضحكاً وقالت له يا أستاذ نبدأ معك المناظرة بقول رسول

443 الواقعة ٣٧.

الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم اللسان فذالك حجة الله على عبده وحلال وحرام وطلاق ونكاح وغير ذالك وعلم القلب فذالك نافع لقول بعض أهل العلم علم الشريعة وعلم للطبيعة.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أول من تكلم في الحكمة والفلسفة والطب قالت له نعم أول من تكلم في هذا الفن هرمس الأكبر واسمه بالسريانية خنوخ واسمه بالعربية إدريس وعنه أخذ الطب والتنجيم والحكمة وأخذ كثيراً من ذالك عن جده آدم وهو الذي صنع الأوهام فيما ذكر ثم هرمس الأصغر وكان بعد الطوفان ثم اسقيلابوس وكان بالشامات هؤلاء للطبقة الأولى من الحكماء. والطبقة الثانية منهم بقراط الفاضل وافليمون صاحب الفراسة كان يوصف له الشخص فصفته فيخبر عن ما يقضيه طبعه ودياسقوريدوس وأفلاطون صاحب الرأس المستبط لصنعة الديباج وتلاميذ أرسطو صاحب المنطق وسقراط. والطبقة الثالثة منهم جالينوس رئيس الأطباء [ص115] وصاحب علم التشريح برع في الفلسفة وهو ابن عشر سنين وكان في أول زمان المسيح عليه السلام وأراد لقاءه ففجأته المنية. ومما كان في الإسلام من الأطباء الحارث بن كندة[444] الثقفي تعلم الطب بفارس وأسلم جميع قومه ومات في أيام معاوية ويعقوب بن يوسف الكندي فيلسوف الإسلام وطبيبهم برع في الفلسفة وفي الطب والتنجيم وله كتاب في التوحيد على طريقة أصحاب المنطق في سلوك البرهان وله كتاب جغرافيا ومحمد بن زكرياء الذي بدع في الفلسفة وزوال العلاج في المرستان وأبو علي بن سينا بدع في الفلسفة فهؤلاء أول من تكلم في الطب.

قال لها أحسنت يا جارية على كم تنقسم حروف الطب قالت له نعم على وجهين علم الطبيعة والسياسة قال لها على كم تنقسم الطبيعة قالت له على جزءين طبيعة العقل وطبيعة السياسة والتدبير لصاحب العلة مما يوافقه من الدواء وما يصل إلى الشفاء ومن نظر البول في الزجاجة ومعرفة العلة وما يحتاج أن يفرق بين الذكر والأنثى وما يدخل عليهم في الإصلاح الداء[445] وفساده والأمراض والأسقام كشف الحصا ومعالجة الأعضاء بالسياسة.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني ما حد الطب قالت له إثبات الصحة على الأصحاء وردها للمرضى بقدر طاقة الطبيب وحسن سياسته وعلمه. قال لها أخبريني عن داء الرأس

---

444 كذا في الأصل والصواب «كلدة».

445 كلمة غير مقروءة ولعلها «عدوى».

وما جوابك فيه قالت له أيها الطبيب سؤلك في هذا الأمر على وجهين الوجه الأول تكلموا فيه قبل مبعث[446] النبي صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني تكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم فأما الوجه الذي تكلموا فيه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم جالينوس الحكيم حيث قال داء الرأس إدخال الطعام على الطعام يعني على الشبعة وأما الوجه الذي تكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم قوله المعدة أصل الداء والحمية وأصل كل داء البردة. قيل له وما البردة يا رسول الله قال إدخال الطعام على الطعام يعني الشبع فهو الذي أفنى البردة وقتل السباع في البرية فهذان وجهان متفقان وفقك الله.

وقال بعض الحكماء من أراد البقاء والاستبقاء فليباكر بالغداء ويقلل مجامعة النساء وليخفف ومن أراد أن يأكل فليجعل بطنه ثلثا للطعام وثلثا للماء وثلثا للنفس فإن مصران الإنسان من ثمانية عشر شبراً فيكون منه ستة للطعام وستة للنفس[447]. قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في شرب الدواء المسهل قالت له اجتنب الدواء ما حملتك الصحة فإذا حسست بحركة الدواء فاحسمه بما يرده عنك فمن أراد شراب الدواء فليشربه في وقته لأنه إذا وافق الدواء القوة جبره بالداء ويشرب حين أذن وقته وذالك إذا وفق الدواء فإن الإنسان مركب فالصفراء والبلغم والسوداء على مقادير متشابهة فإن جاوز أحدهم المقدار وقهره على بلوغ الاختيار فسد الغداء واستجاب البدن وتغيرت الألوان.

فذالك ما جرى للحكماء الماضين والسلف الصالحين يطالبون هذه الأسقام ويعينون هذه الأسماء[448] فطلبوا الحساء بشرب الثمانية العقاقير الهندية ما يشاكل هذه الطبائع الأربعة ويعان فيه على هذا السقم الذي اجتمع فيه من الحرارة والبرودة واليبوسة بالدواء إذا وجب [ص116] شربه في بطنه لأن البدن بمنزلة الأرض إذا شربت المطر عمرت وإن لم تشرب في وقتها لم تعمر ولم ينفعها شيء وإن غفلت خرجت لا الدواء للجسم ينقيه كما ينقي الصابون الثوب الدنس.

قال لها أحسنت يا جارية ففي أي وقت يجب الدواء قالت إذا رطب الهوى واعتدل الزمان وأقبل الشتاء وسقطت الأوراق عن الأشجار وذالك في زمان الخريف لقول جالينوس

446 الجملة ما بين «أيها» و«مبعث» وردت في الهامش.

447 «ستة للطعام وستة للنفس» جاءت يالهامش.

448 «الاسم الامم» في الأصل.

الحكيم أرى إدخال الدواء في الخريف فإنه لا يخطيء. وإذا أصبت فيكون شربه في يوم الأربعاء بعد فطور أو بعد تمام الغذاء ويكون أطيب ما يكون من الطعام والاحتراز من الجماع ويستعمل من الحمام لكي ترطب الأعضاء.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في دخول الحمام قالت له ليس بواجب ولاكن إذا دخله الإنسان شابع أضرّه وربما يصيب بذالك الماء ولاكنه نافع للرجال مضرّ للنساء وله فرائض وسنن. فأما فرائضه فالتسمية عند الدخول وستر العورة والنظر إلى موضع الاغتسال والنية من الغسل إذا كان به ولا ينظر إلى عورة لأن الناظر والمنظور إليه ملعونان ولا يتصرف بالماء إلا قدر ما يغتسل به. وحكى أن احمد ابن حنبل رضي الله عنه قال كنت مع جماعة فجردوا وادخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمأزر فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول أبشر يا احمد قد غفر الله لك باستعمال السنة وجعلك إماماً يقتدى بك قلت له من أنت قال أنا جبريل عليه السلام ولا يجب لمن دخل الحمام أن يدخله إلا في حال معتدل لا على شبع ولا على جوع لقول بعض الحكماء لا تدخل الحمام جيعاناً ولا تعانق أهلك سكراناً ولا تقم بالبول عياناً وافق في مشيك يكون أرجى في مقليك فدخول الحمام حسن لحوظه وذالك في حالة غير الشبع ولا يجب دخول الحمام حتى ينهضم الطعام.

قال لها وما يكون وقت دخوله قالت إذا ارتفع النهار وهدأت نيرانه وسكن دخانه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه البيت الحمام ينظف الجسم ويحلل النزلات ويخوف من النار. قال لها فأي الحمامات أحسن وأفضل قالت له ما عذب ماؤه وقربت من البنيان حيطانه وأضاءت بيوته وقربت خطاه وأن يكون بأربعة بيوت على أربعة أزمنة خريفي وربيعي وصيفي وشتوي. فمن دخله فليأخذ هواء كل بيته وقال فيه الشاعر:

*ألا إنما الحمام بيت نعيم * ووضع يصير بالأمور عليم *
*تمتع به يا صاح لا زلت متمتعاً * ولا تتوصف إلا بوصف كريم *
*وقلل من الإلهام فيه ولا تطل * مقاماً به تظفر براق حكيم *

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في الحجامة ذالك لم يكن ممتلياً بالدم وليس فيه نقصان في دمه فمن أراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم صاحي لا غيم فيه ولا ريح ولا سحاب ولا مطر طيب معتدل قليل الحر وتكون النفس طيبة بلا هم ولا كدر

فارحة والسرور حاضر. وأما من كان فيه نقصان في دمه فيجب عليه يشح عليه[449] طاقته [ص117] وأما من كانت فيه يبوسة فهو كذالك ويجب على الذي يحجم للناس أن يكون عارفاً للطبائع ويعطي لكل طبيعة ما احتملت وذالك أن يكون صائماً لا مفطراً فأفضل الحجامة على الصوم ويجتنب حجامة يوم السبت ويوم الأربعاء نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من فعل ذالك وأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه وما شيء أنفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية البصر وتصفية الذهن وصم الأذنين وقد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالحجامة وما من يوم أنفع للحجامة من يوم الثلثاء.

قال لها أحسنت يا جارية فما أحسن الأوقات لخروج الدم قالت له إذا انسلخ الشتاء واعتدل الهواء وسخن الماء واعتدل الزمان وجرت الفروع وأورقت الأشجار وذالك في زمن الربيع يطيب ولا يخرج الدم في الخريف لأن زمان الخريف لشرب الأدوية والدواء في الربيع هو إخراج الدم والخريف سلطانه السوداء وهو فصل المرض فأمر فيه بشرب الدواء.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في الفصادة قالت له هي أنفع من الحجامة وتغني عنها إذا فصد عرق الرأس يجري عن الحجامة وإن فصد عرق البدن فهو صحة لجميع البدن ولا يبقى منها إلا المنية فإنه يدخل على نفسه وفي ذالك يقول الشاعر :

*إن حفظ النفس أحسن شيء خلقاً * فكن عليها ما دمت حياً شفقا *
*ولا تتسلط عليها جاهلاً يسترقها * واحزر عليها من الغبطاء الحمقا *

فإن أكثر هذه الطبقة قد دونوا الدواوين استظهروا عليها ولم يفهموها فهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً لأنهم لم يأخذوا العلم عن العلماء ولا يفهمونه عن الحكماء ولا يميزون العقاقير ولا الحشائش ولا الأشجار ولا علة من العلل ولا يعرفون الهيطول من المهطول ولا المكنود من المجهول لأن أكثر علل بني آدم في البطن.

وقد روى في الخبر عن الحكيم الأبان[450] مخبر يكون بعمل يديه وعلمه بين شفتيه وأن يعرف الخطأ من الصواب عارف بالحدود وعارف بالبدن لأن الله تعلى ركب على الإنسان على أربعة طبائع الدم والصفراء والبلغم والسوداء وكل طبيعة غلبت على الإنسان أهلكته

449 كذا والصواب « بشح طاقته ».
450 كذا.

كما أن الأزمنة أربع كذالك الطبائع أربعة وكان يحب إذا نظر إلى العليل فيعرف علته وطبيعته وما يوافقه ومتى لم يكن عارفاً بالطبائع فهو غارم لما استهلكه. فإن كان الطبيب عارفاً بجميع أمور العليل نظر إلى الغذاء الذي يوافق فيجب للطبيب أن يعرف طبائع الأزمنة ثم ينظر حدود الطب بلطفه وسياسته وثبات الصحة إذ ليس بيده من الصحة والمرض شيئاً فإن الأمور كلها بيد الله تعلى. **قال لها أحسنت يا جارية فما الحمرة** التي تشهب منها الأحشاء قالت له هي الصفراء التي إذا بقيت في الجوف قتلت وإن تحللت أسقمت.

قال لها أحسنت يا جارية فما هو أفضل الطعام قالت له ما صنعته النساء وقلن فيه الغناء وأفضل الطعام الثريد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على سائر النساء. ولاكن يكون الإنسان يأكل منه بواجب السنة قال صلى الله عليه وسلم [ص118] لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب لأن الإنسان إذا امتلأ بالطعام ضيق على نفسه وكلما ضيق على نفسه أصابه أذى وألما ومات قلبه كما يموت الزرع بكثرة الماء. وعليكم بالجوع فإنه ما وصل من وصل إلا بالجوع فقد توجع ومن توجع فقد تطوع ففي الخبر أن الله تبارك وتعلى لما خلق الخلق تواضع له كل شيء بقدرته فلما خلق النفس قال لها الرب جل جلاله أيتها النفس من أنا فقالت يا رب أنت أنت وأنا أنا فأمر الله تعلى عليها أن تجعل في تابوت من حديد وجعل التابوت في قعر جهنم فبقيت فيه عشرة آلاف سنة ثم أخرجها وقال لها من أنا فقالت يا رب انت أنت وأنا أنا فأخذها وجعلها في تابوت من نحاس ثم جعلها في قعر جهنم فبقيت فيه عشرة آلاف سنة. ثم أخرجها وقال لها من أنا فقالت له يا رب أنت أنت وأنا أنا فسلط الله عليها الجوع سبعة أيام فقال لها من أنا أيتها النفس فقالت له يا رب أنت الله لا إله إلا أنت سبحانك لا شريك لك فمن أراد أن يقتل نفسه فليسلط عليها الجوع.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني أي الإدام أفضل قالت له اللحم والملح والخل لقول النبي صلى الله عليه وسلم خير إدام الدنيا والآخرة قوله صلى الله عليه وسلم الإدام هو اللحم والملح والخل. **قال لها أحسنت يا جارية فأي اللحم أفضل** قالت له اللحم ينقسم فإن اللحوم كثيرة فأولها لحم الضأن ولحم البقر ولحم المعز ولحم الإبل ولاكن ما كان منها فتيا يطيب ويحسن وأحسن اللحم كله لحم الضأن ولحم البقر داء وشحومه دواء وألبانها شفاء وأحسن اللحم ما كان فتياً ولا خير في الشاقرق [451] ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساءت خلقه ومن أكل اللحم أربعين يوماً قسى قلبه وضاقت أخلاقه. وقد ورد في الحديث أن

451 كذا عوض « شرقراق ».

اللحم ينبت اللحم وقال صلى الله عليه وسلم للقلب فرحة عند أكل اللحم وأفضل اللحوم ما كان منها مشوياً[452] بالبصل والخل والثوم.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في الفاكهة قالت له الفاكهة في أوانها وحين إقبالها وإتراكها إذا ولت وانقضى زمانها فإنها مضرة عند إدبارها قال لها فما أفضل الفواكه قالت الرمان والأترج والتمر والزبيب لقول النبي صلى اله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا علي من أكل عند رقاده عشر تمرات خرج كل داءٍ في بطنه لا يشبع الإنسان بمثل الرطب لأن الله تعلى أطعمه لمريم ابنت عمران يا علي من أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء في كل يوم لم يصبه مرض إلا مرض الموت. وقد ذكر الله الفواكه كلها في اسم واحد وخص منهم اثنين بأسمائهما فقال عز وجل في كتابه العزيز ﴿فيها فاكهة ونخل ورمان﴾[453] وما تشتهيه الأنفس أحسن من الرمان والتمر يا علي من بدا غداه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء وإذا تغدى أحدكم فليتم في إثر غدائه وإذا تعشى فليمش أربعين خطوة.

قال لها أحسنت يا جارية فما أفضل البقول قالت له الخس والهندبا فإنها تقوي الدماغ وتزيد فيه وأما الدباء وهي القرع تبرد الجسم قال لها فما أفضل الرياحين قالت له الورد والياسمين والبنفسج هؤلاء أفضل النواوير.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن علل [ص119] **ابن آدم** من رأسه إلى قدميه وما نصلح له من الأدوية قالت له نعم أيها الطبيب أولها البلغم قيل إن مسكنه الرأس ومزاجه الحلق وعذيره الصدر ولا يذهب بالبلغم إلا قراءة القرءان ومن اشتكى بالبلغم فليعمد إلى الحيطانة وإلى الغُريّبة فإن من أهل الطب قوماً يقولون إنها دواء أهل المغرب وتعرف بالعجمية. وهي أصل الترياق لأنها تدخل من الهلاليجات الهندية والكبرية الصفراء ومن خواصها أنها تقوي النظر وتجلي البصر وتذهب بالظلمة من العينين ومن صحة الأذنين والقروح من المنخرين من قبل البلغم يؤخذ منهن بدرهم. ومن اشتكى بداء القولنج ويقال فيه أيضاً ذو شعر وهو وجع الصدر فليعمد إلى العقاقير وهي المتقدمة فإنه حار يابس في الدرجة الرابعة من الحرارة واليبوسة فإنه يزيل البلغم من الرأس وينقيه ويخرجه من جميع أعضاء البدن يؤخذ منه بوزن درهم.

---

452 أضيفت هنا «والرواهب».

453 الرحمان ٦٨.

ومن به القَلَس وهو الماء الحامض الذي يطلع من المعدة يسمى الحرقة فإن كان صائما فطر فليعمد الصائم إلى الزاريت وهو قرن الإيل وهو محرقاً فإن الغيظ يجلي الكبد ويذهب الماء الحامض الذي يتعقد من المعدة يؤخذ منها وزن درهم. ومن اشتكى بإرخاء اللثت[454] وبزق الدم والرائحة القبيحة في الفم ومن أكل لقمة[455] كلها بدم إن رماها ريح وإن أكلها حرام عليه لقوله تعلى ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾[456] فليعمد إلى الزمان عنها يقعد فإنه يشد اللثات كما يشد الجير الحجر في الحائط يؤخذ منه وزن درهم. ومن اشتكى بالسلعة الرطبة واليابسة والملوحة في الحلق فإن ذالك البلغم المالح فليعمد إلى عود السومباي فإنه يغسل الريق من البلغم ويبردها يؤخد منه وزن درهم كسائر الأدوية. ومن اشتكى بوجع الظهر من اللحم إذا رقد على حلوة قفاه قال أواه وان احتنا قال واغوثاه فليعمد إلى العلقمة. قال لها أي العلقمة قالت العلقمة صنفان جبلي وجناني فليترك الجبلى لأنه قتول ويعمد إلى الجناني الذي تجر عليه السكك والمساحي[457] فإنه أجود وأحسن بجذر الخادم والريحان يؤخذ منه وزن درهم.

قال لها أحسنت يا جارية ثم قالت له ومن اشتكى بالصفرة كبيراً وصغيراً يأخذ من العلقم ما يحمل عليه ويشربه ومن اشتكى بالدود والديدان وحب القرع الذي يفطر الصائم وينقض الوضوء فليعمد إلى شحم المرخ فإنه يدل من الشيح وهو يأخذ أربع حيوانات الدود والديدان وحب القرع والبواسير والصفرا وجميع الحيوانات المتولدات في المعدة. ومن أكل الطعام وقذفه قبل وقته فإنه من قبل أرياح البلغم على فم المعدة فليعمد إلى محل[458] البستان أطوله الذي تحت الأرض فإنه يطرد الأرياح ويصلح المعدة. ومن اشتكى بالبهق الأبيض أو الأسود والحكة والجرب ومن يبصر في أذراعه وفي أفخاذه قروح يسيل منها الماء المرّ والصديد فيكون منجوس الثياب أبداً يكون لا دين ولا آخرة له ولا ثياب فليعمد إلى المسعد وهو أصل الدرياس فإنه يذهب البهق الأبيض والأسود ويبرد البدن كالثوب المنقى من الدنس.

---

454 كذا.

455 أضيفت هنا «اتمها».

456 المائدة ٣.

457 لعلها «المسيحي».

458 كذا.

[ص120] ومن اشتكى برد الكلا من البلغم والخام ويصير الرجل مع زوجته في فراشه كأنهما أخوان فليعمد إلى الجرجير فإنه حار رطب في الدرجة الثانية من الحرارة والرطوبة في طبع الدم فإنه يسخن الكلا ويكثر المني ويقوي على الجماع وذالك أنه يكون في الفدائن ترعاه المواشي والبهائم. **قال لها أحسنت يا جارية** ثم قالت له ومن اشتكى بالداء الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال أعوذ بالله من نجاسة البول ومن اشتكى بسلس البول أو بنقطة البول بعد الوضوء ولا يقدر أن يصلي صلاتين بوضوء واحد لقول أنس بن مالك رضي الله عنه تجوز الصلاة بقليل الدم ولا تجوز بقليل البول ولا بكثيره ولو كان مثل رأس الإبرة فليعمد إلى الميمون وهو رأس الاسبرنج فينقي الذي له شوك كشوك النبق فإنه قابض يقبض المثانة ويضاف إليه رأس البلوط الذي يدفع الجلود فإنه يدفع المثانة من سلس البول ومن أذاء البول وبول القيح يصلي صاحب هذا البشرية.

قال لها أحسنت يا جارية بارك الله فيك قال فتعجب الرشيد وأهل المجلس بما وصفت له الجارية في علم الطب وبقي الطبيب باهناً متحيراً لا يدري ما يصنع مع الجارية بماذا وصفته في الطب فكيف في غيره. قال ما تقولين في الشراب قالت له أفضله في إناء جديد ووافقه إذا استقر الطعام في الأحشاء وكيه[459] أصفاه ولا تشربه شرباً فيؤذيك صداعه ويؤثر عليك من الداء أنواعه. قال لها ما سألتك عن شراب الحكماء ولاكن سألتك عن شراب الخمر قالت له الخمر تعني قال لها نعم قالت له حسناً لولا إلا أن الله تعلى حرمه فقد سألتني عن شيء لا يوصف وطبيعتها الحرارة والرطوبة ومنافعها كثيرة لأنه يحفظ الصحة ويعين الهرم ويحال المفاصل وينقي الجسم من الأخلاط الفاسدة ويخرجها من العروق بلا مشقة ولا دواء ويذكي العقل ويولد الشجاعة في الإنسان ويذهب الشح ويولد الطرب والفرح ويكشف الحرارة ويدفي الكلا ويشد المثانات ويفتح السدد الذي في الكبد ويحمر الوجه ويقل النزلة وينقي الرأس والدماغ ويقوي الشهوة ويحفظ الأسقام نافع لوجع الرأس والأضراس ويهيج الشهوة في الكلا ويقوي الأعضاء الباطنة ويطرد الأرياح وينقي المعدة في الفصول الكائنة ويذهب ويقوي الأمعاء ويجلب الأنس وينشط النفس وينفي الهم ويحرك الكرم ويولد الشجاعة والقناعة في النفس ويصحح البدن ويسخنه وينقي الجسم من الأخلاط الفاسدة ويخرجها بالبول من غير مشقة ولا داء وينقي الحرارة الغريزة في الكلا ويقوي الكبد الذي في الحشا ويوقف الشيب نافعة لوجع الوركين والركبتين ويزيل الرائحة الخبيثة من

459 كذا.

الفم ويصفي البصر ويقلل البول ويسلي الهرم ويفرج الفلاس.

ولا يخفي لأهل العلم أنه ينفع لكل ما على وجه الأرض وذالك كله إذا شرب منها على قدر ولا يكثر منها في الشراب وفيه يقول الشاعر:

*توعد النفس ها هنا بالعشى * وتسلي الهموم عنها رقيقاً *

قال لها أحسنت يا جارية فأي العصير أفضل قالت له ما هو من عامين [ص121] أو أكثر واعتصر من عنب أبيض وصفي برقيق المصفاة[460] ولا شيءِ على وجه الأرض يعادله ولا يبلغ نفعه وإنما حرمه الله وكذالك فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام لأنه يفسد العقل فساداً يفضي إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال وتضييع الفرائض والكفر بالله تعلى. فإِذا طبخ العصير حتى يعدل صار حلالاً ويقوي الجسم ويقوي البدن ويسخن الكلا ولا تستكثر منه فإِنه سبب الموت قال الشاعر:

*سألت الشيخ أبا عمر بقراط له أفضل * أرى عقل ماله شيبه رطب ماله مثل *
*فقلت له الراح تعجبني قال كثيراً ما قتل * وجدت طبائع الإِنسان أربعة لكل طبيعة رطل *

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أسمائها التي راقت ألفاظها وأكثر أسمائها قالت له نعم أيها الطبيب فأول أسمائها الراح والراحة والمدام والمدامة والسُلاف والسلافة والقهوة والسلسلة والسلسبيل والشمول والرحيق والمَزّة والقَرْقف والحُميّا والعقار والجريال والخَنْدَريس والطل والاسقبط والصهباء والكمّيت والمعتقة والشعسة والشمولة والسكر وبنت العرب وبنت الغرم وبنت الدن وبنت الدر أحسن وأم رحيق وأم ليلا.

قال لها أحسنت يا جارية فما أسماء أوعيتها قالت له الدنّ والواقود والقدح والكوب والكوز والإِبريق والقارورة والكأس والقطيع ولا يسمى كأساً إلا إذا كان فيه شراباً والصبوح من الشراب ما كان في الصبح والقليل ما كان في القائلة والغبوق ما كان بالعشى. ويقال في السكران نشوان وتميان وترقيق والنبيذ ما صنع من الزبيب والتمر ونحو ذالك والشعّ من العسل والمَزَر من الحبوب والخمر من العنب.

---

460 «المصفى» في الأصل.

قال لها أحسنت يا جارية فأي الأوقات أطيب للشراب قالت له وقت نشاط على غيث سماء قال لها فأي المجالس أحسن قالت له إذا لم يكن مطر ولا حر محرق فالشراب على وجه السماء نبيذ النبيذ ببساط يطوف بما عليه التبدل على شراب طرف والتدبر عليه يسخف ما للوقار والعقار أحمق ما يكون النسوان إذا تغافل وأغفل ما يكون جليسه إذا أخذ منها بقدر معلوم.

قال لها أحسنت يا جارية فما شروط المنادمة قالت له قال بعض الظرفاء شروط المنادمة ترك الخلاف والمعاملة بالإنصاف والمسامحة والتغافل عن رد الجواب وإدمان الرضى وإطراح ما مضى وإسقاط التجنبات واجتناب اقتراح الأصوات وأكل ما حضر وإحضار ما تيسر وحفظ الغيب وستر العيب وقيل للرجل من أحسن جليساً قال الذي إذا اعتجب عجب وإذا أسقى شرب وإذا أغنى طرب وإذا أمسكت حدثك وإذا حدثت أنصت إليك. ثم قالت له قال الشاعر:

*شروط الكأس والندمان خمسة * فأولها التزيين بالوقار *
*وثانيها مسامحة الندمان * فكم حمت المسامحة من ذمار *
*وثالثها وإن كنت أنت خير * البرية كلها ترك الفخار * [ص122]
*ورابعها وللندمان حق * سوى حق القرابة والجوار *
*إذا حدثته فتكن قليل الحـ * ـديث بمعنى منك مع اختصار *
*فما حت المدام بمثل المعاني * والأحاديث الأنصار *
*وخامسها يدل بها أخوها * على كر الطبيعة والفخار *
*حديث الأمس نسيان جميعاً * فإن الذنب فيه للغفار *
*ومن حكمة كأسك فلا حكم فيه * بإقالة عند العثار *
*أرى الكأس تذهل عقل الفتى * وقال آخر فيذهب من كل مستمع *
*فلولا انتهاجي بكم لم أكن * لا شرر أكثر من أربع *
*فقالوا السرور وقلت السرور * بأن تتركوني وعقلي معي *

وقال آخر:
*الراح طبيعة وليس تمامها * إلا بطيب خلائق الجلاس *
*فإذا أقعدت لشربها في فتية * فاحبس لسانك عن عيوب الناس *

*في الكأس مشعلة وفيه لذاتها * فاجعل حديثك كله في الكاس *

وحكي أن رجلاً كان عند بعض الملوك ذات ليلة فغمز عليه الساقي فمال عليه بالشراب حتى سكر وسقط وكانت بين يديه رياحين فأمر فجعل بينهما وأشار إلى غانية فغنت عليه ناديته وهو حي لا حياة له مكفن في ثياب من رياحين فقلت قم قال ان رجلي لا تساعدني فقلت خذ فقال كفى لا تواتيني فاستيقظ يجيب والصوت ورفع صوته وهو يقول

*يا سيدي وأعز الناس كلهم * عندي قد كان في حكمه من كان يسقيني *
*إني غفلت عن السامي فصيرني * كما تراني سليب العقل والدين *

ووقع مثل ذالك لبعضهم في جماعة من الظرفاء فافسحوه بين بهار ونرجس كان عندهم وغنوا عليه :

*أي شيء يكون مثل ذا * بين نرجس وبهار *
*وغواني يقتل هذا المجشى * رجلا من جن من الشطار *
*قتلته السقاة بالكأس * حتى أخذ المدام منه بالثار *
*حنت النفر والزمير عليه * وصلاته الغنى مع الأوتار *

قال لها أحسنت يا جارية ولاكن أخبريني عن طيب العيش فقالت له العيش أيها الأمير لمثلك في حث المدام ومطاعات الندام مع الغانيات إذا لبسن المناطق وتقلدن المحانق وافترشن النمارق فوق حشايا الديباج وكراسي العاج في مجالس منضودة بملونات الأنواق ومنوعات الرياحين والأزهار قد صحت بفتية العنبر وسحيق المسك الإذخر ورشت بماء الورد على دخان الندى في مجلس موقد قد نضد [ص123] بأنواع الأزهر ونظم الجواهر يجمع فيه المطر وبان الكأس للستر واشتمل عليها تشتهي السمع والبصر كؤس[461] كأنها شموس وأرائك كان عليها ملائك قد تطاولت والقطعان وأشارت أنامل السوسان وابتسمت ثغور الأقحوان وبسمت نفسان الريحان وفتحت عيوب النواجس واحمرّت خدود الورد قد اثر الشرا وهبت عيوب العيون[462] من السكر اطلال حامية ماء غدت يجري على لؤلؤ رطب روض بروض الحاضر.

---

461 كذا.

462 الجملة التي ما بين « النواجس » و« العيون » وردت بالهامش.

ويروي الناظر قد أقبلت فواكه اللطاف دائبة القطاف تفاح يفاح تفاح كالخدود ورمان كالنهود أترج كالنوافخ في قصب كالصوالح عنب كان حبوبه حين تبين معسول كأنه بماء الحياة معسول قد احتضرت العيدان ووصلن المضارب بالإيمان وغنين مثل هذه الأبيات :

*دعت النفس دواعي الهوى * فاصدع بما تومر قبل الملام *
*لا تخدعن في طيبة أمكنت * فساعة أحسن من ألف عام *
*فما العيش إلا جنون الصبا * فإن تقضي مجنون المدام *

قال لها أحسنت يا جارية ثم إنها تكلمت في الشراب وآلاته وما يوافقه على غلبته الحكيم وتعجب منها الرشيد وجلساءه وعلمها وفقهها.

ثم قال لها يا جارية أخبريني عن النطفة أول ما تقع في الرحم كيف يكون قالت له إذا وطأ الرجل المرأة وصار نطفة ثم علقة ثم مضغة بعد اختلاط ماء الرجل بماء المرأة فإن كان ذكر وجهه إلى بطن أمه وإن كان أنثى وجهها كان إلى بطن أمها والجنين يموت في بطن أمه بموت أمه وإذا كمل الجنين تسعة أشهر في بطن أمه أرسل الله الريح تزعجه ويؤكل الله به ملكاً فيتقوى الجنين ويتحرك سريعاً بإذن الله تعلى. وقد تلد المرأة الولد من سبعة أشهر فيعيش وقد تلده من ثمانية أشهر فلا يعيش وقد تلده لأكثر من تسعة أشهر لقوله تعلى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلنه نطفة في قرار مكين﴾[463] الآية.

ثم مسكناه بأربعة طبائع وقواه بالروح وزينه بالنفس وجعل في يده أربعين عظماً في كل إصبع خمسة أعظم وفي الساعد عظمان وفي العضد عظما وفي الكتف ثمانية أعظم وفي اليد الأخرى مثل الأولى وسبعة عشر ضلعاً ثمانية في الجانب الأيمن وتسعة في الجانب الأيسر وفي العينين خمسة أعظم وفي أسفل القدم والكف عظم واحد وفي اللسان عظم واحد وفي الركبة عظم واحد وفي الورك عظما وفي الرجل الأيسر مثل الأولى وفي الرقبة ثمانية أعظم وفي الرأس ستة وثلاثون عظماً وفي الدماغ ثلاثة أعظم وفي الصلب أربعة عشر فقاراً وجعل فيه من العروق ثلاث مائة عرقاً وستون عرقاً.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني كم للإنسان في فمه قالت له اثنين وثلاثين سنا منها أربعة ثنايا وأربعة رباعية وأربع ضواحك وإثنى عشر رحا ثلاثة منها في كل شق وأربع نواجذ في أقصاها.

463 المؤمنون ١٢–١٣.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن صفة خلق الإنسان قالت له نعم أيها الطبيب إن الله تعلى بلطيف حكمته وعجائب صنعته نقل الإنسان من قدم إلى قدم فجعله بعد النطفة علقة وبعد العلقة مضغة وبعد المضغة عظايا ثم كسى العظام لحماً وأجرى الروح في الجسد [ص124] ثم أمر برتق[464] الأحشاء الروح أن تختمر[465] وإلى دقيق الأمعاء وأرسل الله أن يبعث من بين[466] لبنا خالصا إلى تدوير الضرع خارجاً من طرف الحلمة ودور ما يدور وحوله في اللحظ. فجعل أرض الحدقة سوداء ولحمها بياضاً وفرق بين الماءين فجعل ماء الملح سح في السوداء والعذب في البيضاء منة على الإنسان وجعل الذقن متصلا بالكفين وقدم الكفين على المنكبين وقدم المنكبين على الكتفين وشد الكتفين على العضدين وربط العضدين بالزندين وجعل الأنامل في أطراف اليدين وجعل الساقين متصلة بالفخذين والفخذين بالوركين وجعل أصابع القدم منسوجة نسجاً وجعل له القلب والكبد والأعضاء. فالعقل في الدماغ والحركة في الأعضاء والقلب ينبعث منه الدم ومنه يتغدا جميع الجسد وجعل شهوته في فرجه وذريته في صلبه وقوته في متنه وحسنه في وجهه وهمومه في صدره.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أصل الإنسان أين هو قالت له أصله من أين يشرب الماء نعني رأسه قال لها فما النور الذي يبصر به الأشياء قالت له هو مركب من ثلاثة أشياء فالبياض من شحم والسواد من ماء والناظر من ريح. **قال لها أحسنت يا جارية فكم طبائع الأبدان** قالت له على أربعة طبائع على المرّة السوداء وهي باردة يابسة وعلى المرّة الصفراء وهي حارة يابسة وعلى الدم وهو حار رطب وعلى البلغم وهو بارد رطب قال لها فلم لم يكن على طبع واحد قالت له لو خلق على طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض قال فمن طبيعتين قالت فإنما متصلان يقتلان قال لها فمن ثلاث قالت له أيها الطبيب أيمكن متفقان ومختلفان قال فما الحيلة قالت له الاقتصار في كل شيء فإذا أكل الإنسان دون المقدار ضيق على الروح.

قال لها أحسنت يا جارية قال فلما رآها الطبيب إصابتها وسرعتها في الجواب بقي متعجباً فقال في نفسه كيف الحيلة لاكن أسالها عما يتعلق بها لأنها صغيرة وسيمنعها الحياء عن الجواب. قال لها فما تقولين في مجامعة النساء قال فغشيتها الحمرة وغلب عليها

---

464 «بعتق رتق» في المخطوط.

465 كذا.

466 كلمة غير مقروءة هنا.

الحياء فأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ولم تجاوبه حتى ظهر لأهل المجلس أنها توقفت عن الجواب فقال لها الرشيد قد عجزت عن الجواب يا جارية قالت له لا والله يا أمير المؤمنين وإنما عجزت عن جوابه بهذا المعنى وتبغضه نفسي من الحياء. ثم قالت له أيها الطبيب الجماع فيه خصال جميلة وأمور محمودة منها أنه يخفف البدن الممتلئ الذي خلاطته رطوبة وينشط النفس ويسكن العليل ويذهب بالسوداء والبلغم والحامض ويجلب الأنس ويقطع الوحشة ويولد الكرم وإذا جامع السوداء فإنه ينتفع به المنفعة البالغة وفيه ما يطول ذكره ويفضح أمره ويسكن نار لهيب العاشق إذا اتصل بمحبوبه كما قال الشاعر :

أعانقها والنفس مشوقة إليها وهل بعد العناق من تداوي *
*والثم فاكهي تموت حرارتي * فيشتد ما القى من الهيمان *
*كان فؤادي ليس يشفى عليله * إلى أن يرى الروحان تمتزجان * [ص125]
*ولم يك منها ألذ من النوى * ليشرب من ريق الشفتان *

قالت له اعلم أيها الطبيب أيدك الله أن النساء يوافقن الجماع وليست رغبة النساء في الرجال إلا لذلك لأن النساء إنما خلقن للرجال وفضلت المرأة بشهوة الجماع على الرجال بتسعة أجزاء وأعطى الرجل منها جزءاً واحداً. فينبغي للرجل أن يعرف بأن من النساء بطيئة الإنزال سريعة الشهوات وفيه أيضاَ قريبة الإنزال بعيدة الشهوات وفيهن المستحصفة وهي التي تيبس عند الجماع وذالك مما يستحبّ وفيهن الرطبة وهي الواسعة وفيهن المقلمة أيّم وفيهن الخِجام وفيهن الطلقة وهي الواسعة من الخِجام وفيهن الشفرة وفيهن التي تشتهي الشفتين وفيهن القعرة وهي التي تريد وفيهن القفلق وهي الرطبة وفيهن المتوهقة وهي التي[467] فالعارف من الرجال بطريق الجماع يعطي لكل واحدة منهن حقها يبلغ مرادها. فيقال للمرأة البطيئة الشهوة أن يطيل معها الجماع ويلاعبها ويساعدها ويمكنها من مرادها حتى تشفي لذتها وتستفرغ شهوتها وينزل ماءها وإن الرجل إذا فعل ذالك أحبته المرأة محبة عظيمة.

وبالجماع تطيب نفس الجارية ويحسن شحها وشدة البياض في الرجل يدل على قوة الشهوة وكثرة الماء وإذا مال لون الرجل إلى الحمرة أو السمرة كان أكثر شهوة وأطول النساء أسرعهن شهوة وأقلهن ماء وأما القصار السمان فشهواتهن رطبة وتتغير شهوتهن بتغير طبائعهن أعني الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وإذا استوى عليها الرطوبة والبرودة قلت

467 لقد محا الناسخ كلمة عمدا هنا.

الشهوة وكثر عليها الماء فإذا اشتد عليها الرطوبة والبرودة قلت الشهوة.

قال لها أحسنت يا جارية فأي النساء أنفع للجماع قالت له الشابّة الصغيرة بنت ستة عشر سنة فإن ماءها بارد زلال ومعانقتها لذة ورائحتها طيبة تزيدك قوة ونشاطاً ولذة واغتباطا تخفف البدن الممتلئ وتنشط النفس وتسكن الغضب وتذهب بالسوداء والبلغم وتطفي نار العاشق. وإنما إياك والعجوز فإن مجامعة العجوز المولية[468] يقال أربعة يتلفن العمر وربما قتلن دخول الجماع على البطنة وأكل القديد الجافي والجماع على الامتلاء ومجامعة العجوز وهي كالشنّ البالي تأخذ منك ولا تعطيك تجذب قوتك وتسقم بدنك ماؤها سم قاتل ونفسها موت غافل تهدم الرجل وترث الهرم والشيب من غير أوانه. وقد ورد في الحديث ثلاثة تشيب الرجل من غير وقته ركوب البحر وكثرة الدين ومجامعة العجائز لأن المرأة الكبيرة يتولد منها أمر كثير.

قال لها أحسنت يا جارية ولاكن في أي وقت يكون الجماع الذي أطيب للنفس قالت له أحسن ما يكون الجماع وأطيبه للنفس عند إدبار الليل تكون النفس أخف والمعدة خالية والرخام ادفى ولا خير في الجماع في أول اليل لأن ذالك ربما يتولد من ذالك الفرقة والبغضاء والذي لا يكون إذا لاعبت زوجتك تلاعبك لأن الملاعبة تزيد في المودة وأحسن الجماع يكون في النهار تزيد في المودة وأحسن الجماع يكون في النهار يزيدك النظر محبة ونشاطاً. قال لها أي الأيور أنفع قالت له يقال [ص126] في ذكر... الأير والجر...الطويل الضعيف الرقيق ...[469] مراثية لصاحبتها أي الأيور أنفع الطويل النعنع أم القصير العرداد[470] القمردام[471] القسيان هو الغليظ الشديد القاسح هو أنفع.

قال لها أحسنت يا جارية ثم قالت له قال عبد الملك ابن مروان من أراد بنات النجائب فبنات فارس ومن أراد النكاح فبنات البربر ومن أراد الخدمة فبنات الروم وكتب للحجاج يأمره فيه أن يبعث له ثلاثين جارية عشراً من النجائب وعشراً من عقد النكاح وعشراً من ذوات الأحلام فلم يعرف الحجاج ما قال له فسأل عن ذالك أصحابه فقالوا له ما يعرف هذا إلا

468 نفس الملاحظة.

469 لقد امحى هذا السطر كليا أو أوشك.

470 «العردام» في الأصل.

471 كذا.

من كان أوله بدوياً فله معرفة أهل البادية. ثم غزا له معرفة أهل الغزو ثم شرب فله معرفة أهل الشراب قال أين أجد هذا قال هو في سجنك قال ومن هو قالوا الغضبان فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه قال له إن أمير المؤمنين كتب إلي كتاباً لا يعرف ما أراد فيه قال هاته فأوتي به فلما قرأه قال هذا بين أما النجيبة من النساء فالتي عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتها فهذه إن أتت بولد فهو نجيب وأما عقد النكاح فهن ذوات الأعجاز المنكسرات الثدي الكثيرات اللحم فأوليكهن يسقين القوم ويروين الظمآن وأما ذوات الأرحام فبنات الخمس والثلاثين إلى الأربعين.

قال لها أحسنت يا جارية ولاكن صفي لنا سن النساء قالت له نعم أيها الطبيب بنت عشر سنين تترك حزين وبنت العشرين زينة للناظرين وبنت ثلاثين ذات بنات وبنين وبنت الأربعين بقية للمتمتعين وبنت الخمسين عجوز في الغابرين وبنت الستين لا تسئل عن أصحاب الجحيم. قال لها أحسنت يا جارية فأي النساء التي هي النفس إليها أنشط والعين لرأيتها أميل والقلب إلى لقائها أفرح قالت له المديدة القامة العظيمة الهامة الناهدة الثديين اللطيفة الخصرين الكحيلة العينين الرقيقة الشفتين الواسعة الصدر الصافية النحر التي معانقتها أبلغ الآمال وحديثها سحر الحلال وريقها بارد زلال ألين من الزبد وأحلى من الشهد وأذكى رائحة من المسك والياسمين والورد. ثم قالت له أيها الطبيب حكي أن ملكاً من الملوك المتقدمين أراد النكاح فعقف على الخاطبة وقال لها أريد منك أن تخطبي لي جارية جميلة يكون فيها ثمانية عشر علامة من الجمال قالت له الخاطبة أيها الملك وما هذه العلامة صفها لي قال لها تكون بيضاء من ثلاثة.

وسوداء من ثلاثة وكاملة من ثلاثة وحمراء من ثلاثة[472] وصغيرة من ثلاثة وواسعة من ثلاثة فقالت له أيها الملك بين لي قال لها بيضاء من ثلاثة بيضاء الجسم وبيضاء الأسنان وبيضاء داخل العينين وسوداء من ثلاثة سودة شعر الرأس وسودة الحاجب وأشفار الحدقة وسودة جوهرة العينين فإذا كانت جوهرة[473] ودار بها بياض فإن ذالك هو المراد من العين ولذالك سمي حور العين لأنها كبار العيون وكاملة من ثلاثة كاملة العنق وكاملة الأصابع وكاملة القد. وحمراء من ثلاثة حمرة الخدين واللسان وحمرة الشفتين وحمرة اللثة[474]

472 «وحمراء من ثلاثة» جاءت بالهامش.

473 «فإذا كانت جوهرة» وردت بالهامش.

474 «وحمرة اللثة» جاءت بالهامش.

وصغيرة من ثلاثة صغيرة الرأس وصغيرة الفم وصغيرة القدمين وواسعة من ثلاثة [ص127] واسعة الكتفين واسعة المعصمين وواسعة الردفين.

قال لها أحسنت يا جارية فلم تزل تصف له النساء حتى تعجب منها الرشيد وضحك أمير المؤمنين حتى ظهرت نواجذه وظهرت له سن أسود كان يخفيها عن الناس قال فلما رآها تمر في الجواب ولا تتوقف في كل ما سألها عنه قام قائم على قدميه وقال أشهد الله ورسوله وأشهدك يا أمير المؤمنين أن الجارية اعلم مني بالطب وبحدوده وبمعانيه وهي والله طبيبة أشهد بذالك لها.

باب ما فعلت الجارية مع المنجم الحاسب قال فالتفتت الجارية وقالت من المنجم الحاسب قال أنا فقام المنجم إليها وقعد بين يديها وقال أنا هو ذالك يا جارية أتسئليني أم أسئلك قالت له اسئل عما شئت نأتيك بجوابه إن شاء الله تعلى. قال لها إني اسئلك عن أول شيء خلقه الله تعلى قالت له نعم أول ما خلق الله عز وجل أربعة أشياء متعادية متضادة الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وزوج بين كل اثنين فخلق منهما خلقاً ثم إنه لما شاء سبحانه أن يخلق الخلق زوج بين الحرارة والرطوبة فخلق منهما الهوى وجعله حارا رطباً زوج بين الحرارة واليبوسة فخلق منهما النار وجعلها حارة يابسة وزوج بين البرودة واليبوسة فخلق منهما التراب فجعلها باردة يابسة وزوج بين الرطوبة والبرودة فخلق منهم الماء وجعلها بارداً رطباً[475] فجعلها يابسة. ثم خلق الله ريحاً حارة رطبة وهي ريح الصبا وهي التي تهب من المشرق وخلق ريحاً حارة يابسة وهي الجنوب التي تهب من القبلة وخلق ريحاً باردة يابسة وهي الشمول التي تهب من الجوف وخلق ريحا باردة[476] وهي الدبور التي تهب من المغرب.

ثم خلق الله تعلى النجوم على ثلاثة أقسام جزء منها زينة لسماء الدنيا والجزء الثاني يهتدون به بنو آدم في البر والبحر والجزء الثالث رجوماً للشياطين. وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تعلمون من أنسابكم إلا ما تصلون به من أرحامكم ولا تعرفون من النجوم إلا ما تعرفون أوقات اليل والنهار. ثم خلق الله تعلى اثنا عشر برجاً وجعل منها النارية والريحية والمائية والترابية وهي الحمل والثور والتومان والسرطان والأسد

475 وردت الجملة التي ما بين «يابسة» و«رطبا» في الهامش.

476 جاءت الجملة التي ما بين «يابسة» و«باردة» بالهامش.

والعذراء والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فجعلها على طبائع أربع فمنها ثلاثة نارية ومنها ثلاثة ريحية ومنها ثلاثة مائية ومنها ثلاثة ترابية. فالنار الأسد والكبش والقوس على طبع النار وهي البروج الشرقية والسرطان والعقرب والحوت على طبع المائية وهي البروج الجوفية والعذراء والجدي ترابية على طبع التراب وهي البروج القبلية والتومان والميزان والدلو على طبع ريح ريحية وهي البروج الغربية. فإذا كان في شهر أبريل فتعلم أن الشمس في الكبش وإذا كان في شهر ماية فتعلم أن الشمس في الثور.

وإذا كان في ينيه فتعلم أن الشمس في السرطان وإذا كان في شهر يلية فتعلم أن الشمس في التومان وإذا كان في شهر أغشت فتعلم ان الشمس في الأسد وإذا كان في شهر [ص128] شتنبر فتعلم أن الشمس في العذراء وإذا كان في أكتوبر فتعلم أن الشمس في الميزان وإذا كان في شهر نوفنبر فتعلم أن الشمس في العقرب وإذا كان في شهر دجنبر فتعلم أن الشمس في القوس وإذا كان في شهر يناير فتعلم أن الشمس في الجدي وإذا كان في شهر فبراير فتعلم أن الشمس في الدلو وإذا كان في شهر مارس فتعلم أن الشمس في الحوت. فهذه اثنى عشر شهر أو اثنى عشر برجاً ثم دار الفلك ومسيره للشمس والقمر والكواكب واليل والنهار والساعات والشهور والسنين لطلوع اثنى عشر برجاً بقدرة الله تعلى وفي اليوم والليلة أربعة وعشرون ساعة.

قال لها أحسنت يا جارية فكيف أعرف منزلة القمر وفي أي منزلة يكون في كل ليلة قالت له تعد الأيام التي مضت من شهر كـ[477] العربي الذي أنت فيه وتزيد على عددها بإصبعك ثم تزيد على الكل رأس العدد وهي خمسة فإذا بقي عددك نظرت في أي شهر أنت بالعجمى الذي يليه خمسة ففيه. قال لها المنازل التي تبيت فيها القمر كل ليلة قالت له ثمانية وعشرون منزلا مقمسات على اثنى عشر برجاً لكل برج منها منزلتان وثلث فأما المنازل فالنَطْح والبطين والثريا والدبران والهقعة والهَنْعة والذراعات والنثرة والطرفة والجبهة والخرتان والصرفاء والعوّا والسِماك والغَفر والزبنان والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر ولرشا [478] . فهذه ثمانية وعشرون منزلة على عدد حروف المعجم ففيها سر غامض لا يعلمه إلا الله تعلى والراسخون في العلم.

477 كذا ولعلها بمعنى شهر كانون.
478 كذا.

قال لها فأخبريني عن الكواكب السيارة كم تمكث في البروج وأين سعودها وأين نحوسها وأين بيوتها وشرفها ومرها وسقوطها وأوفى لها. قالت له نعم يا سيدي المجلس يطول عليك والتطول ملول ولاكني سأخبرك بالوصول حتى تستبدي لك الفروع. أما الكواكب فهي سبعة وهي الشمس والزهرة والكاتب والقمر والمقاتل والمشتري والأحمر فالشمس نارية حارة يابسة نحيسة بالمقاربة وسعيدة بالنظرت تمكث في كل برج ثلاثين يوماً والزهرة باردة رطبة معتدلة وهي سعيدة تمكث في كل برج خمسة وعشرين يوماً والكاتب كوكبا ممزوج سعيد مع السعود ونحيس مع النحوس يمكث في كل برج ليلتين وثلث والقمر كوكب بارد رطب سعيد يمكث في كل برج مثل ما يمكث الكاتب والمقاتل كوكب بارد نحيس يمكث في كل برج سنتين ونصف والمشتري كوكب حار رطب سعيد يمكث في كل برج ستة والأحمر كوكب[479] نحيس يمكث في كل برج خمسة وأربعين يوماً.

فأما الشمس فبيتها وشَرَفها الكبش وسقوطها الميزان ووفالها الحوت وأما القمر بيته السرطان وشرق الثور وسقوطه العقرب ووفاله الجدي وأما المقاتل فبيته الجدي والدلو وشرفه الميزان وسقوطه الحمل ووفاله السرطان والأسد. وأما المشتري فبيته القوس والحوت وشرفه السرطان وسقوطه الجدي ووفاله الأسد وأما الزهرة فبيتها الثور والميزان وشرفها الحوت وسقوطها العذراء ووفالها الحمل والعقرب وأماالكاتب فبيته العذراء والثور وشرفه الدلو ووفاله الحوت وسقوطه السرطان ووفاله التوءمان [ص129] وأما الأحمر والميزان فالبيت السابع من بيوت الكواكب وهي سقوط الكواكب كلها.

قال فلما رأى المنجم إصابتها للكلام وفهمها وحذاقتها تفكر حيلة ليسقطها بها بين يدي أمير المؤمنين ثم قال لها يا جارية أراك عالمة حاذقة فهل ينزل الله في هذا الشهر مطر أم لا قال فأطرقت الجارية برأسها إلى الأرض وجعلت تتفكر طويلاً حتى ظن المنجم أنها قد عيت عن الجواب. قال لها يا جارية ما لك لا تتكلمين قالت له نعم إني أتكلم بأني لو عانني عليك مولاي على أمر لفعلته لك قال لها الرشيد وماذاك يا جارية قالت له تعطيني سيفك أضرب عنقه إن هذا زنديق. قال فضحك الرشيد وضحك كل من كان معه في المجلس قال لها ولم ذالك يا جارية قالت له يا مولاي يا أمير المؤمنين إن هذا رجلاً زنديقاً رد على الله في علم غيبه. ثم قالت للمنجم يا يها الزنديق ألم تعلم أن خمسة لم يطلع عليها نبي مرسل

479 الجملة التي ما بين «كوكب رطب» و«كوكب» وردت بالهامش.

ولا ملك مقرب قيام الساعة ونزول الغيث وعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت أي الله عليم خبير.

قال لها أحسنت يا جارية والله ما أردت إلا أن أفهم علمك وأختبر فهمك ولاكن الله عز وجل قد جعل للأمطار دلالات وعلامات وللناس تجارب فيها قالت له ما هي لكل يوم من الأيام كوكب قالت له نعم اعلم أن الله تعلى خلق السموات سبعاً والبحار سبعاً والأرضين سبعاً[480] والدجاجلة سبعاً وأبواب جهنم سبعاً ومن الجمعة إلى الجمعة يملكها سبعة ملوك نجوم ذالك يوم الملوك بها يصلح الله البلاد وعليها تدور الشمس والقمر. فأول ما خلق الله تبارك وتعلى من الأيام يوم الأحد له من الكواكب الشمس ومن الملائكة روقيائل ومن ملوك الأرض مذهب هو يحكم فيه ويأمر وينهي وكلما يعمل يوم الأحد من الصلاح ينجح بقدرة الله وذالك إذا كانت الشمس في الزيادة. ثم خلق الله تبارك وتعلى يوم الإثنين وله من الكواكب القمر وكل به من الملائكة جبريائل ومن ملوك الأرض يأمر فيه وينهى إلى اليل وكلما يعمل فيه من الأعمال يصلح إذا كانت الشمس في الزيادة.

ثم خلق تبارك وتعلى يوم الثلثاء وله من الكواكب الأحمر ووكل به من الملائكة الروحانيين صرفيائل ومن ملوك الأرض الأحمر وهو سلطان الملوك الأرضية يقهر فيه ويأمر فيه وينهي إلى اليل وكل ما يعمل فيه من أعمال الصلاح كالفصادة وإخراج الدم واستنزال الملوك الأرضية فإنهم أقرب للإجابة في يوم الثلاثة والصلاح كله في زيادة الهلال والفساد في نقصان الهلال. ثم خلق تبارك وتعلى يوم الأربعاء وله من الكواكب الكاتب ووكل به من الملائكة درديائل ومن ملوك الأرض برقان وهو خبيث متمرد رديء صاحب الملاعبات وهو كثيرالخيول ولا يؤخذ منه عهد إلا بالقمر والغلبة والشرة وهو صاحب أعمال يوم الأربعاء الفساد. ثم خلق الله تبارك وتعلى يوم الخميس وله من الكواكب المشتري ومن الملائكة صلهكيائل ومن ملوك الأرض شمروس يحكم فيه وهو ملك جبار نصراني ومن عمل عملاً ووكل فيه ذالك الملك منع منعاً جزيلاً وهو من زعمائهم وأفضل جميع الأعمال يوم الخميس [ص130] يوم الجمعة في الصلاح.

ثم خلق الله تبارك وتعلى يوم الجمعة وله من الكواكب الزهرة ومن الملائكة ميكائل ومن ملوك الأرض الأبيض ويوم الجمعة يوم مبارك يصلح فيه الأعمال الموافقة من أعمال

480 «والأرضين سبعا» جاءت في الهامش.

الصلاح من كل ما يحتاج إليه من المطالب. ثم خلق الله تبارك وتعلى يوم السبت وله من الكواكب المقاتل ومن الملائكة عزرائيل ومن ملوك الأرض ميمون وهو يحكم فيه ويأمر وينهي وهو خدام المغرب وهو مطيع ويتصرف في جميع الأشياء كلها من الصلاح والفساد وهذا تنبيه لكل طالب على الصلاح والفساد.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن دخول السنين بالأيام قالت له نعم روي ذالك عن رجل من أهل الفضل ذي القرنين أنه دبر الأمور كلها وأسس محاكمها فجرب ما يكون منها من أول زمانه إلى آخره فضرب بعض ذالك إلى بعض فوجده حقاً وأما الغيب فلا يعلمه إلا الله تعلى. قال لها المنجم إذا دخلت السنة بالأحد فإن الشمس تملكها بإذن الله عز وجل ويكون فيه حسبانا لقوله تعلى ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾[481] وهي سنة كثيرة الأمان في المغرب وتكون فيه الفتنة في الجبال ويكون فيها قحط بالمشرق وتكون سنة صالحة للناس ولا يكون فيها فزع ويكون فيها شبع كثير وتكون كثيرة الخير والصلاح يصلح الزرع فيها والماشية ويكون في الفاكهة فساد ولا بد فيها من قحط واستسقاء في المشرق ويفسد فيها الشرق ويحذر وفيها القحط في أطراف الأرض ويكون فيها القتال والسلب والشر والجوع في شتائها كثيرة الماء والريح في الصيف وتغلى المواشي ويسقط فيها من ملكه ويكون في الناس فزع ويكثر الكذب ويكون الفرج من بعد ذالك وأقطابها قليلة ويكون في الفاكهة فساد كثير وأولها غبار ووسطها أنواء وآخرها أخبار [السوء] وتجور السلاطين والولات وتتمسك الأمطار عن الناس ويكون فيهم عوج عظيم.

وإذا دخلت السنة بالإثنين فإن القمر يملكها بإذن الله تعلى ويكون حسبانا لقوله تعلى ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾[482] وتكون سنة حولا عوجا كثيرة والانتقال من بلد إلى بلد وتكثر فيها أخبار السوء ويفسد الباكر والمتأخر لأن القمر ينقص أوله وآخره ويتكامل وسطه ويحذر فيها غلاء الزرع خمسة أشهر ويكثر الثلج والجليد وبرده كثير ويموت فيها الكثير من الغنم ونسولها ويكون فيه الجراد وتكون سنة معلولة وقليل من يأكل خيرها صالحة الزرع تامة الثمار وقصيرة الكلاء تصلح فيها البقر ولا يصلح فيها نسولها وصغارها كثيرة الماء وتزداد الأنهار سيولاً كثيرة الأمراض يصلح فيها القمح والشعير والثمر والتين وهي سنة

---

481 الأنعام ٩٦.

482 الأنعام ٩٦.

عليلة كثيرة العلل والموت في الأشراف والأخيار وربيعها قليل قليلة الفلا وصيفها شديد الحر وقتالها شديد فيها تمرد أو طغى قتل وهو المقتول المغلوب ويكون فيها الزنا وآخرها فرج ويكون العدل والصلاح في الولات والعمال والمترفين وتكون الأمطار كثيرة دائمة.

وإذا دخلت السنة بالثلاثة فإن الأمر يملكها بإذن الله عز وجل ويصلح فيها كل أحمر بإذن الله صالحة للقمح والبقول والثمر والتين والقطنية قليلة الشعير ويحذر فيها السلطان وتكثر فيها الحسود والحروب والقتل في الناس والعقر في الخيل ويقل فيه البرد كثيرة الأرياح والرمال [ص131] ويزول فيها ملك عظيم وتخرب فيها مدائن كثيرة ويطيح نجم الأشراف وتكون شتاؤها كثيرة الغيث شديدة البرد كثيرة الأرياح صالحة الزرع كثيرة الخصب والخير والبركة ويموت فيها كبار الناس من أهل الفضل ويكون الموت في الغنم والنساء ويتضاعف البحر من شدة الرياح وتغلى الزيت والأسعار ويكون في الناس فزع شديد من الجوع وتغلى الأسعار خمسة أشهر من أول يناير إلى آخر ميه وهي سنة شديدة وفيها خلق الحديد جامعة للخير والشر ويصلح فيها السلطان لأن المرّيخ يملكها وهو نجم الملوك وهو كوكب الدم يصلح فيها نجم الأشرار ويموت أهل الفضل من الناس ويكون في الأكابر الفنى وإهراق الدماء ويكون الغلاء في الزرع وتقل الأمطار.

وإذا دخلت السنة في الأربعاء فإن الكاتب يملكها بإذن الله عز وجل والكاتب يمحو أو يكتب في مكان مستوى ولا يكتب في مكان واعر تصلح فيها البطيخ أولها استبسار ووسطها غبار وآخر خيال يكثر فيها الجراد والفأر ويقل فيها الغيث في أولها ويكثر بعد ذالك أمراضها في شهر فبراير ومارس وأبريل وميه كثيرة السيول شديدة البرد صالحة الزرع والثمار كلها غير أنها يلج فيها النقصان إلا العنب فإنه ينجوا من ذالك الحسبان كثيرة العسل والزيت صالحة الكلاء صالحة البقر والغنم كثيرة الزرع الزاحف محقوراً فيها والجالس فيها منصوراً بقدرة الله صالحة للمعز والشعير حرثها كثير ويكثر فيها الطاعون ويقل فيها طلاق النساء وصيفها شجيج الحر وخريفها طيب وتكثر فيها الحروب والقتال وأخبار السوء ويصيب الناس وجع الفؤاد ويكثر الموت في الناس ويكثر الجوع في بعض البلدان ويتضاعف العيد على ساداتهم ويشفى فيها كثير من الناس ومرضها على فقراء الناس والمشائخ ويقع في الناس مدح عظيم وحرب مع العدو ويموت من هؤلاء وتكون الأمطار لا قليلة ولا كثيرة ويصلح بعض الزرع ويفسد بعضه.

وإذا دخلت السنة بالخميس فإن المشتري يملكها بإذن الله تعلى صالحة الزرع بالغة نامية الثمار ويموت فيها عظماء الناس ويسقط ملك من الملوك ويكون بين الملوك عداوة قال ذو القرنين إذا دخلت السنة بالخميس فإنها حبل وتليس قيل له ما معنى حبل وتليس قال كل واحد من الناس مشتغل نادره بحبل وتليس من شدة السلاطين في سلطنتهم وتأمن السبيل يصلح فيها الزرع يبغض البلاد.

قال بعض الحكماء إذا دخلت السنة بالخميس يكون شتاؤها شديدة ويشتد السلاطين في ملكهم وتغلى الأسعار وتستغنى فيها التجار ومناكحتها كثيرة يصلح فيها النحل والعسل كثيرة السحاب صالحة الكلاء ويكون في وسطها شدة من الجوع ويكون الفرج من بعد ذالك عن قريب وهي كثيرة الثمار وأكثرها العنب ويكثر فيها موت العظماء ويثبت الملك عن أهل طاعته ويختلف الناس عليه وتكون بين الملوك عداوة وتقل الزيت والخمر فيه بلاء شديد وأمر عظيم وكراهية العدل والصلاح في الفقهاء والقضات[483] وأهل الدين ويكون الحرث كثيراً والأمطار سائلة دائمة.

[ص132] إذا دخلت السنة بالجمعة فإن الزهرة تملكه بإذن الله تعلى يحذر فيها كثير النار ويشتد فيها السلطان ويكون القحط في أولها وفي وسطها وتكون كثيرة الماء بعد ذالك كثيرة الزرع تامة الثمار خالصة الزرع يؤكل في غير وقته وخيرها في آخرها ويكثر فيها لبن الغنم وهروب النساء وهي جامعة الخير والشر وتطغى فيها الملوك ويفتتن فيها كثير من الناس ويتزين فيها الرفيع والدني والذكر والأنثى ويركب فيها من لا يؤاتيه الركوب ويتكلف فيها من لا يؤاتيه التكليف ويدخل فيها الجموع من ينبغي ومن لا ينبغي لأنها سنة تتزين كما تتزين العروس ويكثر فيها الزرع والثمار والزنا والحسد في الناس والفجور والسحر والموت في النساء والأطفال ويكثر جريان الماء. وهي سنة لأهل المغرب يكثر فيها الشبع والرخاء والعافية والبركة ويكثر فيها المرض في أولاد الملوك وربيعها شديد البرد والغيث فيها كثيراً والرياح فيها مثله وخيرها في آخرها ويكون الجور في الولات[484] والأكابر ويرتفع العبيد ويحكمون بالجور ويتحدثون بالفجور ويسقطون الأشراف ولا يعبئوا بهم ويكون الغضب كثير ويكثر الزنا وشرب الخمر ويشتغل الناس باللهو والزنى وتكون الأمطار والحرث.

---

483 كذا.

484 كذا.

وإذا دخلت السنة بالست فإن المقاتل يملكها بإذن الله تعلى وتكثر فيها الرياح العواصف ويقل فيها الغيث ويصلح فيها الزرع كله إلا الكتان ويصيب الزرع الفساد من قلة الغيث وتهلك فيه الأباعير والحمير وتصلح الناس في سواحل الأرض وتبغي فيها على الناس والزاحف فيها منصور والجالس فيها مقهور ويصلح الزرع في السواحل والسهولة من الأرض وتقل الحرث من قلة الماء وتعلى الأسعار من قلة الحرث والزرع وتكون الموت في الأشراف من الناس وحربها كثير ويكثر فيها المرض في الصبيان وتفتح فيها مدائن من الجبال الأكبار ويكون القتال في مدينة من مدائن العرب في تلك السنة ويموت فيها رجل من أهل المغرب شريف وتجوع الناس في آخرها جوعا شديداً من الحرب ويخلون في تلك السنة مدائن كثيرة من المغرب من شدة ما نزل بهم ويجوز على الناس في تلك السنة شدة كثيرة ويثور فيها الخوارج ويحصد فيها شيء من الشعير وهو مكره وأقصا ما يحذر فيه السنين الخميس.

والسبت إذا كان دخولهما بالكبش الزاحف فيها منصوراً والجالس مقهوراً ويتولى أمور الناس البعيد والطعانية والروم ولا خير فيه والأصل له وتجور السلاطين وتموت وتهيج الحروب والفتن ويكون الغلاء العظيم والقحط الشديد. قالت له أخطأت أيها المنجم إن هذا الخطأ عظيم وهذا القياس فاسد وهو مردود عليك ثم قالت له يا منجم ذكر أرسطاطاليس الحكيم أن دلالت[485] الكواكب في البروج أقوى من دلالاتها في السنين وعدتها على المقاتل إذا كان المقاتل في أحد البروج الترابية كان الحرث كثيراً ويعتل الهوى وتطيب الأرض وإذا كان في أحد البروج الماوية كان المطر يشبه الطوفان ويكون الرخاء وتفسد الفاكهة.

وإذا كان في البروج الريحية كان الغلاء في الزرع وتكثر الأرياح العواصف والعجاجات والغبارات بغير مطر وإذا كان في البروج النارية كان [ص133] الغلاء العظيم والقحط الشديد وتتمسط الأمطار ويهيج الحروب والفتن. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الشمس كم تقم في المنازل** قالت له نعم تقيم في كل منزلة ثلاثة عشر يوماً وتدخل الثانية تدخل النطح في أول السنة وتدخل الحوت في آخر السنة ثم تعود إلى النطح. قالت له نعم إذا دخلت من شهر مارس ثلاثة وعشرين يوما فإن الشمس تدخل النطح وإذا خلا من أبريل ثمانية عشر يوماً تدخل الثريا وأول يوم من ماية تدخل الشمس الدبران وإذا خلا من مايه أربعة عشر يوماً تدخل الشمس الهقعة وإذا خلا أيضا من شهر مية سبعة وعشرين يوماً

485 كذا.

فإن الشمس تدخل الهقعة[486] وإذا خلا من شهر يونية تسعة أيام تدخل الشمس الذراع وفي الموفى[487] اثنين وعشرين من شهر يونيه تدخل الشمس النثرة.

وإذا خلا من شهر يوليه خمسة أيام تدخل الشمس الطرف[488] وإذا خلا من شهر يوليه ثمانية عشر يوماً تدخل الشمس الجبهة وأول يوم من أغشت تدخل الشمس الخرتان وإذا خلا من أغشت أربعة عشر يوماً تدخل الشمس الطرفة[489] وإذا خلا أيضاً من شهر أغشت سبعة وعشرون يوماً تدخل الشمس العوّا وإذا خلا من شهر شتنبر تسعة أيام تدخل الشمس السِماك. وإذا خلا أيضاً من شهر شتنبر اثنان وعشرون يوماً تدخل الشمس الزبنان[490] وإذا خلا من أكتوبر أيضاً ثمانية عشر يوماً تدخل الشمس الإكليل وإذا انصرف شهر أكتوبر تدخل الشمس القلب وإذا خلا من شهر نوفبر ثلاثة عشر يوماً تدخل الشمس الشولة وإذا خلا من نوفبر ستة وعشرون يوماً تدخل الشمس النعائم.

وإذا خلا من دجنبر تسعة أيام تدخل الشمس البلدة وإذا خلا من دجنبر اثنان وعشرون يوماً تدخل الشمس سعد الذابح وإذا خلا من شهر يناير أربعة أيام تدخل الشمس سعد بلع وإذا خلا من شهر يناير سبعة عشر يوماً تدخل الشمس السعود ويوم إحدى وثلاثين من يناير تدخل الشمس سعد الأخبية وإذا خلا من شهر فبرائر اثنا عشر يوماً تدخل الشمس فرغ المقدم وإذا خلا أيضاً من فبرائر خمسة وعشرون يوماً تدخل الشمس فرغ المؤخر وإذا خلا من شهر مارس عشرة أيام تدخل الشمس الحوت.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن تربيع السنة وما فيهما من الأيام قالت له نعم السنة فيها أربعة أزمنة زمان الشتاء وزمان الربيع وزمان الصيف وزمان الخريف أما زمان الشتاء من النصف الآخر من نوفبر ودجنبر ويناير والنصف الأول من فبرائر وأما زمان الربيع من النصف الآخر من فبرائر ومارس وأبريل والنصف الأول من مايه وأما زمان الصيف من النصف الآخر من مايه ويونيه ويوليه والنصف الأول من أغشت وأما زمان الخريف من النصف الآخر من أغشت وشتنبر وأكتوبر والنصف الأول من نوفبر. وعدد أيام السنة

486 الجملة التي ما بين «من شهر» و«إذا خلا» جاءت في الهامش.

487 كذا.

488 كذا والصواب «الطرفة».

489 «الصرفة» في الأصل.

490 كذا.

بالعجمية هي ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وبالعربية ثلاث مائة وأربعة وخمسون يوماً وأما الأشهر اثنا [ص134] عشر شهراً شهر يناير إحدى وثلاثون يوماً فإذا زاد فيه ظلك على ثمانية أقدام فإذن للظهر والعصر أربعة عشر قدماً وفي عشرين منه يجري الماء في العود وتظهر البراريج والخطاطيف.

شهر فبرائر عدد أيامه ثمانية وعشرون يوماً وبرجه الدلو إذا زاد ظلك فيه على سبعة أقدام فإذن للظهر والعصر ثلاثة عشر قدماً وفي النصف منه يدخل زمان الربيع وفيه يتزوج جميع الطيور وفي أربعة عشر يوماً منه أو خمسة عشر يلد الحجل. شهر مارس عدد أيامه إحدى وثلاثين يوماً وبرجه الحوت إذا زاد ظلك فيه على أربعة أقدام فإذن للظهر والعصر اثنى عشر قدماً. وشهر أبريل إذا زاد فيه على أربعة أقدام فإذن للظهر والعصر عشرة أقدام وبعد ثمانية أيام منه يظهر كل طير غاب أعني الهدهد واليامون وشرقراق وما أشبه ذالك شهر مايه إذا زاد ظلك فيه على ثلاثة أقدام فإذن للظهر والعصر تسعة أقدام وفي النصف منه يحصد الزرع في كل بلد. شهر يونيه إذا زاد ظلك فيه على قدميه فإذن للظهر والعصر ثمانية أقدام وفي سبعة عشر منه ترجع الشمس من المشرق إلى القبلة وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة فيها وفي أربعة وعشرين منه تكون العَنْصَرة. وفي ذالك اليوم لا تحمل أنثى على وجه الأرض ومن خدم زرعه في ذالك اليوم يتولد السوس في الزرع وفساد كثير وهو كره على الإسلام وفاضل على النصارى يسعدون فيه بأطيب الطعام والشراب والثياب الرفيعة وهو يوم العَنْصَرة إنما كانت امرأة كافرة في قومها فبعث إليها نبي وعنى فسمى يوم العنصرة وفيه تجاريب السنين وأهل العلم.

شهر يوليه إذا زاد ظلك فيه على قدمين فإذن للظهر والعصر ثمانية أقدام وبعد عشرة أيام منه تدخل سمائم الحر الشديد ابردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح[491] جهنم وفي عشرين منه تطيب التين. شهر أغشت إذا زاد ظلك فيه على ثلاثة أقدام فإذن للظهر والعصر عشر قدما والنصف منه ويكون الاعتدال يعتدل اليل والنهار ويرجع اليل يزيد والنهار يقصر. شهر أكتوبر إذا زاد ظلك فيه على ستة أقدام[492] فإذن للظهر والعصر اثنى عشر قدماً وبعد ثمانية عشر منه يكون وقت الحرث. شهر نوفبر إذا زاد ظلك فيه على سبعة أقدام فإذن للظهر والعصر ثلاثة عشر قدماً وفي النصف منه يدخل زمان الشتاء. شهر دجنبر إذا زاد ظلك فيه

491 كذا ولعلها «قيح».

492 وردت الجملة التي ما بين «فإذن» و«أقدام» في الهامش.

على ثمانية أقدام فاذن للظهر والعصر أربعة عشر قدما وبعده عشرة أيام منه تدخل الليالي السود وإنما سميت السود لشدة البرد.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أيام الشهور ما هو السعيد وما هو النحيس قالت له نعم اعلم أن اليوم الأول سعيد مبارك والثاني مثل ذالك واليوم الثالث نحيس مستمر لا يباع فيه ولا يشترى ولا يسافر فيه المسافر ولا تطلب فيه حاجة ومن مضى له فيه شيء لم يرجع أبداً وهو اليوم الذي سلب فيه آدم وحوا من الجنة لباسهما ومن مرض فيه اشتد مرضه ويطول مرضه ومن ولد فيه يكون صالحاً غير أنه أشرّ من أبويه واليوم الرابع يوم ولد فيه هابيل وهو يوم الحزن الشديد لا تحرث فيه ولا تغرس شجراً فيه إنما يصلح فيه بيع المواشي والدواب ومن سرق له فيه شيء يرجع إليه قبل أن يطلبه ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن ولد فيه يكون رحيماً بوالديه. واليوم الخامس يوم ولد فيه [ص135] قابل بن آدم فصار ملعونا ومن مضى له فيه شيء يرجع إليه ومن تزوج فيه جارية تكون عاقرة ولا تلد أبداً واليوم السادس يوم صالح لكل عمل للتعليم وبيع الدواب والدخول على السلاطين ومن مضى فيه شيء يرجع له من ساعته ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله ومن اشترى فيه سلعة يربح فيها بإذن الله تعلى.

واليوم السابع يوم صالح لكل شيء مما يزرع ولكل ما يباع فيه ولركوب البحر والمسافر ومن مضى له فيه شيء يرجع عليه من يومه ومن ولد فيه يكون طويل العمر فيه صلاح وخير. واليوم الثامن أعد فيه كيف شئت واركب فيه كيف شئت في البحر وسافر فيه وخاصم وقاتل فيه ومن سرق له فيه شيء لم يرجع عليه أبداً ومن مرض فيه يطول مرضه وعمره ويترك فيه علة ومن ولد فيه يكون حسن العينين وهو سعيد لكل عمل إن شاء الله. واليوم التاسع يوم صالح شيء ازرع فيه كيف شئت وادرس فيه كيف شئت واشتر فيه كيف شئت وبع فيه كيف شئت ومن مضى له فيه شيء يرجع إليه ولو كان في أرض بعيدة ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى. واليوم العاشر يوم ثقيل لمن سافر فيه ومن شرك فيه خسر ومن طلب فيه حاجة إلى السلطان وجدها ومن طلب فيه سرقة وجدها واليوم الحادي عشر يوم صالح للبيع والشراء والأخذ والعطاء والسفر والتزويج ولكل شيء ومن مضى له فيه شيء لم يرجع عليه ابداً ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى.

واليوم الثاني عشر يوم نحيس للسرقة وهو جيد لصاحب الحرث والدخول على السلاطين ومن مضى له فيه شيء لم يرجع إليه ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى. واليوم الثالث عشر

يوم ثقيل ومن مضى له فيه شيء لم يرجع إليه وهو يوم سعيد للسارق واليوم الرابع عشر يوم صالح لكل شيء التزويج والشركة وركوب البحر ويعارض فيه السلاطين ولقضاء الحوائج وهو جيد ومن مضى له فيه شيء لم يرجع عليه ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن ولد فيه يعيش ضيقاً ومن رأى فيه رؤيا فإنها تخرج كما رآها ويحذر فيه الدواء وإياك أن تشربه. اليوم الخامس عشر يوم صالح يشرب فيه الدواء وتطلب فيه خصيمك ومن ولد فيه يكون أعوراً وأبكم أو به علة ومن سرق فيه شيء لم يرجع إليه ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى. واليوم السادس عشر يوم صالح للحرث والبنيان ومن ولد فيه يكون في حال شديد وهو يوم نحيس للمولود وان سرق فيه سارق أخذ من ساعته ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى. واليوم السابع عشر يوم ثقيل في كل شيء ومن مضى له فيه شيء لم يرجع عليه أبداً ومن ولد فيه يعيش عيشاً ضيقاً حتى يموت ولا ينجح للبيع والشراء ولا للزواج ولا يسافر فيه مسافر واليوم الثامن عشر يوم طيب للبيع والشراء والحرث والاجتماع مع القوم ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن مضى له فيه شيء لم يرجع عليه ويسافر فيه لأنه جيد ومن ولد فيه يعيش عيشاً [ص136] حسناً.

واليوم التاسع عشر يوم صالح لكل شيء لتعليم الصبيان والحكم والبيع والنكاح ومن مضى له فيه شيء يرجع إليه ومن ولد فيه يكون طويل العمر واليوم العشرون يوم صالح لحرث الأرض ولغرس الأشجار ولدخول الحمام وشرب الدواء. واليوم الحادي والعشرون يوم صالح لكل شيء إلا الدواء لا يشرب فيه ولا يباع فيه ولا يشترى ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى وهو ثقيل للمسافر ولا تطلب فيه حاجة ولا تدخل فيه على السلاطين ولا تركب فيه البحر ولا تلبس فيه ثوباً جديداً ولا تنكح فيه ولا تشارك فيه ومن أراد أن يمشي إلى حاجة وجدها. واليوم الثاني والعشرون يكون خفيفاً ومن ولد فيه تطول حياته حتى يكون هرماً ويكون سلطاناً في حياته أينما توجه بوجهه أصابته كرامة وهو جيد للبيع والشراء والتجارة والنكاح ومن سرق له فيه شيء لم يرجع إليه وهو يوم لا يداوى فيه مريض ولا يطلب فيه حق ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن سافر فيه فلا بد له من مشقة تجوز عليه.

واليوم الثالث والعشرون يوم صالح لك لاكنه ثقيل على الشركة في البيع ومن مضى له فيه شيء يرجع عليه ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن ولد فيه يخرج سريع الجوى[493].

493 كذا وهذه الكلمة غير مفهومة.

واليوم الرابع والعشرون يوم ثقيل ولد فيه فرعون وهو نحيس مستمر لا تنكح فيه ولا تبع ولا تشتر ومن سرق له فيه شيء يرجع إليه ومن سافر فيه لا يخلص ومن مرض فيه يشتد مرضه ومن ولد فيه لا تقتله السباع. واليوم الخامس والعشرون يوم نحيس هو الذي يضرب فيه أهل مصر سبع سنبلات وهو يوم نحيس شديد على المرض ومن مرض فيه يبرأ بإذن ومن مضى له فيه شيء يرجع عليه ومن ولد فيه يكون أصم أبكم أعمى ولا يموت إلا غراءً أو بالحديد وإن ولد فيه أنثى تكون لهم خيراً كثيراً. واليوم السادس والعشرون يوم صالح من ولد فيه يكون عالماً فإن ولدت فيه جارية تكون فيها ثلاث علامات ومن سرق له فيه شيء لم يرجع إليه أبداً ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله.

واليوم السابع والعشرون يوم صالح للمسافر والزواج والشرط ومن ولد فيه يكون عالماً أو عابداً ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن مضى له فيه شيء يرجع إليه. واليوم الثامن والعشرون يوم صالح ولد فيه يعقوب عليه السلام ومن ولد فيه فإنه لا يموت حتى يبتلى في صحته وهو يوم صالح للبيع والشراء ولكل عمل ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعلى ومن سرق له فيه شيء لم يرجع إليه أبداً ومن سافر فيه يرجع سريعاً وهو يوم ثقيل لا يشرب الدواء فهي ولا يشارك فيه شركة. واليوم التاسع والعشرون لا تطلب فيه حاجتك ومن مرض فيه فليوصِ فإنه يموت وهو يوم نحيس لا يدخل فيه على السلاطين ولا يباع فيه ولا يشترى ومن ولد فيه فإنه يكون مطاعاً لوالديه ومن مضى له فيه شيء لم يرجع عليه إلا بعد حين. واليوم [ص137] الموفي ثلاثين يوماً صالح لما تريد فيه من قضاء الحوائج ومن ولد فيه يكون محصوراً ومن مضى له فيه شيء لا يرجع إليه أبداً وهذا ما وجد في أيام الشهر.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الأيام التي بعث فيها الرجز على بني إسرائيل قالت له نعم فلا يعمل فيها شغلا من أشغال الدنيا ومن سافر فيها في البحر غرق وفي البر سلب شهر يناير أو ليوم منه ويوم أربعة وعشرين منه شهر فبرائر اليوم التاسع منه ويوم أربعة وعشرين منه شهر مارس اليوم الثالث منه ويوم أربعة وعشرين منه شهر أبريل اليوم الحادي عشر منه ويوم أربعة وعشرين منه شهر ميه اليوم الخامس منه ويوم اثنين وعشرين منه يونيه التاسع منه ويوم تسعة وعشرين منه يوليه اليوم الحادي عشر منه ويوم أربعة وعشرين منه اغشت اليوم العاشر منه ويوم ستة وعشرين منه شتبر اليوم التاسع منه ويوم ثمانية وعشرين منه نونبر اليوم الثالث منه ويوم أربعة وعشرين منه دجنبر اليوم الثالث منه ويوم إحدى وعشرين منه وعددها أربعة وعشرين في كل شهر.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ابتداء دخول السنين والشهور العجمية وعلامات الأهلة المائل والعادل والرعود ولكل شهر ما يضر ويقبح قالت له نعم ابتداء الشهور بالعجمية أولها يناير وهو إحدى وثلاثون يوماً فإن دخل بالسحاب والأرياح والأنواء فلا تحرث شيئاً من مواضع الجبال فإنها جبال الماء لأنها سنة خارجة الهام فإن غربت في ذالك اليوم وتطلع فلا ماء والثاني بلا ماء فإنها تمطر إلى أربعة أيام فإن لم تمطر إلى أربعة أيام فإنها تمطر إلى أربعة عشر أو ثمانية عشر يوماً. فبرائر وهو ثمانية وعشرون يوماً وربع يوم إلى أربعة عشر ما منه خروج الحرث ودخول الربيع في الخامس عشر من فبرائر عشرة أيام منه فإن خرج فيه الخطاف فالسنة صالحة بإذن الله تعلى وفي تسعة أيام منه يلقح الزرع ويصيح الضفادع ويخرج الزرع[494] وتنحرث القطاطين ويبيض الوز ويلقح فيه وفيه يخرج الماء في العَوْد.

مارس فإن كان المطر في سبعة أيام منه فإن المطر صالح يود الزرع والربيع وينفع منه القطنية والى عشرة أيام منه يخرج البرد وفي خمسة عشر منه وفي أربعة وعشرين يوماً منه اعتدال الوزن وفيه توسط الشمس السماء وتقيم السحاب وينتصب الزرع ويخرج الذباب وفي ثمانية أيام منه تموت النحل فإن كانت في تلك الأيام فهي صالحة بإذن الله تعلى. أبريل وهو ثلاثون يوماً وفي خمسة عشر منه خروج اليمامة ويتلاحق الزرع ويلحق المؤخر الباكر والمتأخر وفيه تسقط الثرياء وهي لا تسقط إلا ببرد شديد. ويحرث فيه الفول والقطاني كلها وفي سبعة عشر منه أو عشرين أو خمسة وعشرين منه يحذرالعاهات التي تفسد الزرع والفواكه [ص138] كلها فإن لم تقع العاهات في هذه الأيام السبعة فالزرع والثمار كلها صالحة بإذن الله تعلى وفي تسعة عشر منه يحذر الضباب والغيم الذي يفسد الزرع فإن أخذ الضباب في ذالك اليوم فالزرع الذي هو أخضر مخلص بإذن الله تعلى وفي اثنين وعشرين منه يصبح الجليد.

وقال بعض الناس فيه ينزل البرد فإن نزل للنداء في أبريل من أوله إلى آخره فإن تلك السنة صالحة بإذن الله تعلى وإن أصبح الغمام في ذالك اليوم فالسنة المقبلة صالحة بإذن الله تعلى فإن كانت السحاب في ناحية من السماء فتلك البلاد التي عليها السحاب خالية بإذن الله تعلى ويصيبهم الخلاء إلى بلد آخر غير بلادهم فإن غمت السماء كلها بالسحاب فتلك السنة المقبلة خالية من الزرع ويقوم فيها الجوع في اثنين وعشرين منه يوكل الزرع الجديد

494 جاءت «ويصيح الضفادع ويخرج الزرع» في الهامش.

بإذن الله تعلى والى سبعة وعشرين منه يدخل النسيان وهي ثلاثة أيام التي بقت منه فإن نزل النسيان وهي ثلاثة أيام التي بقت[495] منه فإن نزل النيسان[496] في هذه الأيام أو المطر أو اليوم الرابع من ميه فإنه مطر يزكوا منه الزرع وإلى سبعة أيام فإن وقع في هذه الأيام فهو مطر يزكوا منه الزرع وإلى سبعة أيام مبارك.

ميه وهو إحدى وثلاثون يوماً إلى ستة عشر منه خروج الربيع ودخول الصيف في السابع عشر منه وعشرة أيام منه إن كان فيه الضباب فهو ردي الفواكه وفي خمسة وعشرين منه طلوع الثريا وهي لا تطلع إلا ببرد شديد وهو يوم يحذر فيه العاهات ولا بد من العاهات في بعض البلاد وإنما تغيب الثريا أربعين يوماً فهذه مشاهدة ميه. يونيه وهو ثلاثون يوماً وفي أربعة وعشرين منه ميلاد يحيى بن زكرياء عليه السلام وهو يوم العَنْصَرة وهو يوم الأنبولس[497] ولا يغرس فيه غرسا وفيه ترجع الشمس وهو انتصاف السنة وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة واحذر سحاب ذالك اليوم ورياحه فإن أصبح بالغربي ومضى ذالك اليوم والريح الغربي فالسنة مقحوطة قحطاً شديداً وإن كان الريح في آخر النهار شرقي فآخر السنة مقحوط وإن كان الريح في ذالك النهار كله أعني المشهور في وسط النهار ريح شرقي فوسط السنة مقحوطة قحطا شديداً وإن كان مضى ذالك اليوم يدر سحاب والريح فالسنة صالحة بإذن الله تعلى وإن كان الريح مخبولا فالسنة مخبولة فهذا ما شهدته.

يوليه إحدى وثلاثون يوماً وهو قلب الصيف وفي سبعة أيام لا يوطأ فيه النساء ولا يوكل فيه بصل وفي اليوم الثاني عشر منه يدخل السمائم وفي أربعة وعشرين منه يذوق العنب الأبيض فهذا ما شهدته. أغشت وهو إحدى وثلاثين يوماً وبرجه الأسد إلى ستة عشر منه خروج الصيف ودخول الخريف وفي السابع عشر منه الخريف وفي أول يوم منه تذوق الفاكهة وفي أربعة وعشرين منه تؤكل الفاكهة. شتنبر وهو ثلاثون يوماً وفي خمسة وعشرين منه يعتدل اليل والنهار ويطول اليل [ص139] ويقصر النهار. أكتوبر وهو واحد وثلاثون يوماً إلى اثنين وعشرين منه يدخل الحرث وقد قال بعض العلماء إلى سبعة عشر منه دخول الحرث. نونبر وهو ثلاثون يوماً أول منه دخول الحرث وفي خمسة عشر منه خروج الخريف ودخول الشتاء في السادس عشر من نونبر. دجنبر وهو إحدى وثلاثين يوماً وهو قلب الشتاء

---

495 كذا.

496 ما بين «وهي» و«النسيان» ورد في الهامش.

497 «الانبوش» في النص.

وهو يؤذي للجمال بسراجه إلى خمسة أيام منه دخول اليالي أو خمسة عشر يوماً.

وقد قال بعض العلماء دخول اليالي الشدائد في اثنا عشر من دجنبر ويخرجن في عشرين من يناير وإلى عشرة أيام منه ميلاد رلالية أخت مريم ابنت عمران خالة عيسى عليه السلام. فإن كان المطر في ذالك اليوم فمطر تلك السنة غريز وتنظر فيه إلى رجوع الشمس فإن رجعت إلى ميلاد رلالية وذالك في عشرة أيام من دجنبر فالسنة ردية ويخرجن في خمسة عشر من يناير بالباب الأول وإن رجعت إلى ميلاد مريم فلا بأس وإن رجعت إلى خمسة وعشرين من دجنبر فالسنة صالحة ورجوع الشمس من المغرب إلى المشرق. وفي سبعة وعشرين يوماً من الأيام ميلاد عيسى بن مريم عليه السلام وتمام المسيح ابن مريم وفي ثمانية وعشرين يوماً من ينيه في الصيف أيضا ترجع من المشرق إلى المغرب في سبعة وعشرين يوماً من دجنبر ميلاد عيسى. وقال أيضاً في مشاهدة يناير إلى خمسة أيام منه لا يصلح شراب الماء في اليلة الخامسة إلا بالمصباح احذر نفسك عن الشراب فإنها ليلة ردية فيه تقع العاهات في الماء فيكون الماء قيحاً ودماً جامداً.

فلا يصلح فيها القيام لأحد بعد النوم إلا بالمصباح فمن شرب ذالك اليلة بعد رقاده فإنه يصيب في جوفه وجع وعلة. وفي خروج اليالي الشدائد يكون نوء تسيل منه الأودية بإذن الله تعلى وفي تسعة وعشرين منه تسمع الرعد في ذالك اليوم أو تلك السنة فإن رعد فالسنة صالحة وإن لم يرعد فالسنة ردية والله تعلى أعلم. وهذا من علم يوسف بن يعقوب عليه السلام في السجن وفي عشرة أيام من يناير تنظر إلى الخطاف فإن ظهرت في ذالك اليوم فالسنة قليلة المطر فهذا كله من يناير وما زيد لا يخاف وهذه مشاهدة يناير والله تعلى أعلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الأهلّة المائلات والمعتدلات قالت له نعم هلال يناير إن كان متساوياً كان صالحاً للخرفان وإن كان مائلا تكون الموت في المواشي. فبرائر إن كان متساوياً استوى كل شيء بإذن الله تعلى. مارس إن كان متساوياً كان برداً شديداً أو إن كان مائلاً كثرت الأمطار بإذن الله تعلى. أبريل إن كان متساوياً كان فيه خيراً كثيراً وتضاعفت الأمطار بإذن الله تعلى وان كان معتدلا فعكس ذالك. مايه إن كان مستوياً كان حمل الكرم حسن الفاكهة وان كان مائلاً كان فيه الخير بإذن الله تعلى وكان الموت في الناس كثيراً. يونيه إن كان متساوياً كان حمل الكرم حسناً وصلح الزرع وكان الخير كثيراً بإذن الله تعلى وإن كان مائلاً كان الموت في الناس عظيما وبدع عظيمة. يوليه إن كان

متساوياً كان عام البرد والجليد ويفسد [ص140] على الناس وإن كان مائلا كان صالحا بإذن الله تعلى. أغشت إن كان مستوياً نجح الزرع بإذن الله تعلى وكان الأمان في الناس وكثر الخير وإن كان مائلا كثر الموت في النسا ووقع الطاعون والمرض الشديد. شتنبر إن كان متساوياً كان فيه هلاك المواشي وإن كان مائلاً كان الموت في الناس. أكتوبر إن كان متساوياً قلت الأمطار أياماً وإن كان مائلاً كثرت الأمطار بإذن الله تعلى نونبر إن كان متساوياً قلت أمطاره وكثر برده وإن كان مائلاً كثرت أمطاره. دجنبر وهو قلب الشتاء إن كان متساوياً قلت أمطاره أياماً وإن كان مائلاً كثرت أمطاره بإذن الله تعلى.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الرعد في الشهور قالت له نعم إذا صوت الرعد في أبريل في اليوم الرابع والعشرين أو في الخامس والعشرين أو في الثامن والعشرين كثر الخير والقمح والشعير وتكثر الأمطار في تلك السنة وكذا صوت الرعد في مايه وله الثور في أول يوم منه أو في الخامس والعشرين تكون سنة خصبة كثيرة الخير وإذا صوت الرعد في غير هذه الأيام المسمات فلا خير فيه والله أعلم. وإذا صوت الرعد في يونيه وله التومان يكثر مطر تلك السنة وإذا صوت الرعد في يوليه وله السرطان[498] كثر القمح والشعير والفول والقطاني وكان الموت في البهائم والطيور وإن كان الرعد فيه ثقيلاً[499] فلا خير فيه وإذا صوت الرعد في أغشت وله الأسد في الثالث أو في السابع عشر أو إحدى وعشرين كثر الزرع والثمار وتكثر الحيتان وتصلح الماشية.

وإذا صوت الرعد في غير هذه المسمات كانت سنة خصبة وإذا صوت الرعد في اشتنبر وله العذرا في السادس أو في اثنا عشر أو أربعة عشر تكون السنة[500] خصبة كثيرة الخير ووقع الموت في الناس بغتة وإن كان في غير هذه فلا خير فيه والله أعلم بالغيب والأحكام. وإذا صوت الرعد في أكتوبر وله الميزان في الثالث أو في أربعة عشر تكون السنة خصبة كثيرة الخير وتكثر فيه الزريعة ويكثر أمطارها ويكون الشبع في الناس ويموت الطير والبهائم ويتخلل شرابها وإن كان في غير هذه المسمات فلا خير فيه. وإذا صوت الرعد في نونبر وله العقرب في اليوم الأول قل الطعام وصلحت الماشية والبهائم كلها وكثر الخطاف وان صوت الرعد في غير ذالك كانت سنة خصبة كثيرة الخير والطعام. وإذا صوت الرعد في دجنبر وله

498 «الشرطان» في الأصل.

499 «وثفلا» في النص.

500 جاءت الجملة التي ما بين «سنة خصبة» و«تكون السنة» في الهامش.

القوس في اليوم الأول أو في الخامس أو في السابع فإنها سنة خصبة كثيرة الخير والماء والثلج ويفرح الناس فيها وإن كان في غير هذه المسمات فلا خير فيه. وإذا صوت الرعد في فبرائر وله الدلو كانت سنة سوء في كل شيء ويكون الزلازل والخوف في الناس ويكون للملوك خوف وحزن وإن لم يكن فيها رعد فالسنة خصبة حسنة. وإذا صوت الرعد في مارس وله الحوت في اليوم الأول كانت سنة سوء وإذا صوت الرعد في يوم ستة عشر أو عشرين يكون هلاك كثير.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الرعد إذا صوت [ص141] عند البروج قالت له نعم إذا صوت الرعد والقمر بالتومان[501] يكون المطر كثير وربما يمطر ثلاثة وثلاثين يوماً متتابعة والبركة كثيرة. وإذا صوت الرعد والقمر بالشرطان[502] فيكون جوعاً شديداً والحذر في المواشي وزلزلة شديدة ويخرج الجراد فيفسد الزرع ويكون المطر في آخر السنة. وإذا صوت الرعد والقمر بالأسد فالفتنة بين الملوك والناس في عذاب ونصب يحدث في أول السنة وفي آخرها ويقل الطعام في أو السنة وتكون القطنية كثيرة ويكثر كل شريف. وإذا صوت الرعد والقمر بالعذراء فالسنة كثيرة الآفات والدوابّ والبقر وتقع الموت في الدوابّ وإذا صوت الرعد والقمر بالميزان كان المطر في آخر السنة وفي آخر السنة يقع الجوع في الناس ويقل الطعام. وإذا صوت الرعد والقمر بالعقرب يموت الخيل ودواب البحر ويقل العنب ويكشف القمر بالمش ويكثر الزيت وتكثر الرياح وتقل الأمطار وتقع الموت في الدواب. وإذا صوت الرعد والقمر بالقوس يقع في مدائن المشرق الشر والجوع والطاعون في الناس والله تعلى أعلم. وإذا صوت الرعد والقمر بالدلو فيكثر المطر والشر في الناس ويخرج الجراد وإذا صوت الرعد والقمر بالحوت يكثر الموت والجوع والقتال بين القبائل والله تعلى أعلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن علامة الهوا في كل شهر قالت له نعم إذا كان هوا في السماء في مارس يكثر المطر وهرق الدماء وإذا كان في أبريل هوا فإن ملكا يغلب ملكا على سلطانه ويكثر الكذب في الناس في تلك السنة. وإذا كان هوا في مايه كثر الشر والقتال بين الناس وإذا كان هوا في يونيه كانت الزلازل في الأرض كلها والموت في المواشي والبقر. وإذا كان كان هوا في يوليه كان في الناس قتل شديد وكثر البرد والجوع وإذا كان هوا في أغشت كان قحط في بعض البلاد والأمطار في بعض وفي آخر السنة يكثر الخصب والخير وإذا كان هوا في شتنبر كان الموت في الناس والبقر. وإذا كان هوا في أكتوبر يكون

501 كذا والصواب «التوأمان».

502 كذا والصواب «السرطان».

المطر ثلاثة أشهر ويكون في آخر السنة الموت في الناس وإذا كان هوا في نونبر فالغدر بين الناس من بيت إلى بيت وقتل الناس بعضهم بعضاً. وإذا كان هوا في دجنبر تكون الرعد والأمطار في الأرض وإذا كان في فبرائر يكثر المطر والموت في تلك السنة والله تعلى أعلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن خسوف القمر في الشهور قالت له نعم إذا خسفت[503] القمر في يناير يكون الجوع في المغرب ويقل فيه الغيث ويخرج الجراد في تلك السنة وإذا خسف القمر في فبرائر يكثر فيه الخصب والخير وتكون العافية في الأملاك والأمان وإذا خسف القمر في مارس يكون فيه الخصب والمرض [ص142] الشديد. وإذا خسف القمر في أبريل يكون الموت في الناس والبهائم وإذا خسف القمر في مايه يقع فيه خوف شديد وجوع عظيم وإذا خسف القمر في يونيه يمرض فيه الناس وإذا خسفت الشمس في عشرة أيام منه يكون على جميع الناس أمر من السماء في ساعة واحدة لا من البهائم ولا من الوحوش ولا الطيور وأمر عظيم في كل البلاد. وإذا خسف القمر في شتنبر يكون في المغرب جوعاً شديداً وموتاً عظيما وإذا خسف القمر في أكتوبر ينزل فيه بلاء من الله للناس للناس وإذا خسف القمر في نونبر يكون فيه الغيث والخصب والبرد الشديد وإذا خسف القمر في دجنبر يكون في جميع البلاد فرح وخصب وصلاح بين الناس ويقل فيه الغيث وتموت المواشي والله تعلى أعلم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن دائرة القمر في الشهور قالت له نعم إذا رأيت القمر تحلق في اليوم الثالث من مارس فملكا يقتل ملكاً والله تعلى أعلم وإذا تحلق في أبريل تغلي الثمار والقمح والشعير وإذا تحلق في مايه تكون الموت في البقر. وإذا تحلق في يونيه لا خير في البحار والثمار وإذا تحلق في يوليه قلت الحيتان وإذا تحلق في أغشت تقل مياه العيون وتغور وإذا تحلق في شتنبر تكون أرجاف وإذا تحلق في أكتوبر تغصب أموال الأغنياء ويجار على الرعية ويقل اللبن. وإذا تحلق في نونبر يكثر الحريق والقتال وإذا تحلق في دجنبر يكون فيه قتال وموت في جميع البلاد وإذا تحلق في يناير يكون فيه مرض في الناس وبياض كثير وإذا تحلق في فبرائر يكون في أول السنة مطر غزير وفي آخرها بياض غزير.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن المطر وعلامته في كل شهر قالت له نعم أنظر في الثمانية الباقية من فبرائر فإن كان فيها مطر أو في بعضها فالسنة كثيرة الخير وإن لم يكن

503 كذا والصواب « خسف ».

فيها مطر فالسنة قحطا. وإذا دخل مارس بريح ولم يكن في أوله مطر فالسنة صالحة مباركة في كل شيء وإذا دخل أبريل ثمانية من أوله وثمانية من آخره إن كان فيها مطر فالسنة صالحة مباركة وإن لم يكن فيها مطر فلا خير فيها. وإذا دخل فيه من أوله إلى ثمانية أيام منه فإن كان فيها مطر كان الخير والبركة ويوم عشرين منه إن كان فيها مطر كان الخير والبركة وإن لم يكن فيها مطر فلا خير فيها. وإذا دخل اغشت فانظر فيه إلى المطر إلى ثمانية أيام إن كان فيها مطر فالسنة سنة الخير والبركة والخصب فيها وإن لم يكن فيها مطر وإلا انتظر إلى الثمانية الأخيرة فإن كان فيها مطر فهي سنة الخير والبركة وإلا فلا خير فيها. وإذا دخل شتنبر أنظر إلى عشرة أيام منه من أوله فإن كان المطر في يوم من هذه الأيام فالسنة كثيرة الخير والخصب وتكون بركة وإن لم يكن فيها مطر بين تلك الأيام فالسنة قليلة الماء.

وإذا دخل أكتوبر أنظر إلى خمسة أيام من آخره فإن رأيت فيها [ص143] غماماً وسحاباً أو ضباباً فالسنة صالحة مباركة وإن لم يكن فيها مطر فالسنة قاحطة والله تعلى. وإذا دخل دجنبر أنظر أول يوم منه فإن خرج ذالك اليوم ولم يكن فيه مطر ولا ضباب ولا سحاب فالسنة قليلة الماء ويكون المطر في شهر مايه وإن كان فيها مطر أو ضباب أو سحاب كثر الخير والله أعلم. **قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن دائرة الشمس في كل شهر** قالت له نعم إذا رأيت الشمس دارت بها دارة في يناير فهي عاهة تقع في المواشي وإن كانت في فبرائر فيتزلزل المغرب وإذا كانت في مايه فيموت البهائم ويكثر الرمد والشقيقة في أعين الناس. وإذا كانت في يونيه فيقع الفساد في النوال وإذا كانت في يوليه فملك يزول من ملكه وإذا كان في أغشت فخراب أهل بعذاب سقط من العدد شهر شتنبر والله تعلى أعلم. وإذا كانت في أكتوبر فكثرة الغرق بالماء وإذا كانت في نونبر فكثرة هلاك النساء والأطفال وإذا كانت في دجنبر فيموت الكرام من الناس والله تعلى أعلم ويصلح الزرع.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الأيام السبعة كيف النفع والضرّ فيها في كل شهر فقالت له نعم إذا دخل يناير فعدله من يوم يدخل إلى اليوم السادس فإن وافق الأحد فتلك السنة صالحة فيكون نداء وصيف يابس وريح شديد وذالك لأن الأحد له الشمس وإن وافق السادس يوم الإثنين تكون سنة صالحة والصيف صالح ومرض في الناس كثير وضرّ قليل وتكون الأرياح بليلاته وتكون فيها نقصان وذالك لأن الإثنين للقمر. وإن وافق السادس يوم الثلثاء تكون فيه شتاء كثيرة البرد وصيفها درع[504] والندا قليل ويقع الموت في الناس

504 كذا.

ويكون في العام وجع وذالك أن الثلثاء للمريخ وفيه ولد قابل بن آدم. وإن وافق السادس يوم الأربعاء فيكون فيها شتاء وريح طيبة وتصلح فيها الأشياء وتكون فيه يبوسة ويقل الطعام وتكثر الفاكهة وتكون خصومة بين الناس وتشتد الحكام والسلاطين وتقع الموت في الناس وفيه ولد هابيل.

وإن وافق السادس يوم الخميس تكون شتاء تلك السنة لينة والصيف يكون الزرع كثير والعسل ويكثر سفك الدماء ويموت فيه العلماء وذالك لأنه للمشتري ويكون صيفاً يابساً[505] [ص144] قال لها فما أولك وما آخرك قالت له أولي نطفة مجرة وآخري جيفة غزرة قال فما أولك في الإسلام قالت له لا إله إلا الله محمد رسول الله قال لها فمن أنت من أبويك وما هما منك قالت له أنا منهما وليس هما مني أبي هو الأصل وأمي أهلي الفضل وأنا بينهما الفرع. قال لها فأخبريني من أي أمة أنت قالت له من أمة أخرجت للناس التي هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال لها فما كانت الأديان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قالت له لم يأت نبي إلا بدين الإسلام وشرائع مختلفة قال لها فعلى من أنزلت التورية قالت له على موسى عليه السلام قال لها والزبور قالت على داوود قال لها والإنجيل قالت على عيسى عليه السلام قال لها والفرقان قالت له على محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل مائة صحيفة أنزل منها على شئث خمسون وعلى إدريس ثلاثون وعلى إبراهيم عشرة وعلى موسى تمام المائة.

قال لها أخبريني على كم من لسان أنزلت الألسنة حتى تكلمت قالت له على اثنين وسبعين قال لها فأي لسان أفضل منها قالت له كلام العربي اللغوي الذي هو كلام الله وكلام ملائكته وكلام أهل الجنة إذا سار واليها. قال لها فما اختار الله من خلقه قالت له الأنبياء اصطفاهم بالرسالة وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر واختار مهم أربعة أولو العزم من الرسل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فاصطفاه وشرفه على جميع المؤمنين من خلقه وهو من ولد آدم وأول مبعوث من قبره صاحب الحوض المورود واللواء المعقود والشفاعة في اليوم المورود. وأول من يقرع باب الجنة قائد الغر المحجلين واختار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم أجمعين واختار من الملائكة أربعة جبريل وميكائل وأسرافيل وعزرائيل. واختار من النساء أربعة اسية بنت مزاحم ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

505 ورد بالهامش «سقط هنا من الاصل نحو ورقة والله أعلم».

قال لها أي بلد اختارها الله على جميع البلد ان قالت له مكة واختار من الشهور شهر رمضان ومن الأيام يوم الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الساعات أوقات الصلاة واختار من الأودية أربعة سيحان وجيحان ودجلة والفرات ومن الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال لها فما سيد الملائكة في السماء قالت له جبريل الروح الأمين قال لها أي البقاع أحب إلى الله تعلى قالت له المساجد وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجاً قال لها وأي البقاع أبغض عند الله تعلى قالت له الأسواق. قال لها أخبريني عن أي شيء وضعه الله في الأرض من الجنة قالت له الحجر الأسود قال لها أخبريني عن من تكلم بالعربية قالت له أبونا آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء كلها فعلم كل شخص باسمه وكل جنس بصفته. قال لها أخبريني عن من تكلم بالشعر قالت له أبونا آدم عليه السلام حين قتل قابل أخاه هابل فأنشد وجعل يقول: [ص145]

*تغيرت البلاد ومن عليها * ووجه الأرض مغبر قبيح *
*تغير كل ذي لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح *
*رجاؤنا عدواً ليس ينسى * لعيناً لا يموت فنستريح *
*أهابيل إن قتلت فإن قلبي * كئيب [...] قريح *
*وما لي لست اسكت مع نعي * عليك وقد تضمنك الضريح *

فأجابه إبليس لعنه الله تعلى حيث يقول :

*تنوح على الجنان وسكن دار الـ * ـخلود وأنت ضاق بك الفسيح *
*وكنت بها وأهلك في غنى * وقلبك صار في الدنيا جريح *
*وما زالت مكايدتي ومكري * إلى ان فاتك الثمن الربيح *
*فلولا رحمة المولى عليك * أفاتك من جنان الخلد ريح *

قال لها أخبريني عن أول دم أهرق على وجه الأرض قالت له تلك حيضة أمنا حواء. قال لها أخبريني عن خمسة كانت فيهم روح ولم يخرجوا من رحم قالت له أبونا آدم وأمنا حواء وكبش إبراهيم وعصى موسى وناقة صالح قال لها أخبريني عن نسبك واسمك ولسانك قالت له أنا أمة الله وأما نسبي فهو التراب منه خلقني الله وإليه أعود وإليه مصير العباد وأما حسبي فعملي أجازى به غداً وأما لساني فهو عربي. قال لها فأنت من أنت أنا أمة الله وابنت عبده ووفق للخيرات من آمن بالكتاب والسنة.

قال لها أخبريني عن رجل دخل الجنة ونهى الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يعمل بأعماله قالت له يونس عليه السلام قال الله تعلى ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾[506]. قال لها أخبريني عن قبر مشى[507] بصاحبه قالت له ذالك يونس بن متى حين ابتلعه الحوت وسار في ظلمات البحر حتى نبذه بالعراء. قال لها أخبريني عن شيء لا لحم له ولا دم قالت له ذالك جهنم أعاذنا الله منها ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾[508]. قال لها أخبريني عن شيء تنفس لا روح له قالت له الصبح قال الله تعلى ﴿ إذا تنفس ﴾[509] قال له أخبريني عن نفس ذبحت لله فأحيا الله بها نفساً قالت له تلك بقرة بني إسراءيل قال الله العظيم ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذالك يحيي الله الموتى ﴾[510]. قال لها أخبريني عن طائر لم يبض ولم يحضن قالت له ذالك طائر عيسى عليه السلام خلقه الله من الطين ثم نفخ فيه الروح وكان طائراً بإذن الله.

قال لها أخبريني عن شيء إن فعلته كان حراماً وإن تركته كان حراماً قالت له صلاة السكران قال الله العظيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾[511]. قال أخبريني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام قالت له ذالك نهر طالوت قال الله تعلى ﴿ إن الله [ص146] مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾[512] فكانت الغرفة الواحدة حلال والشربة حرام. قال لها أخبريني عن امرأة تحرك من حرارة النار إليها قالت له تلك أم موسى في قوله تعلى ﴿ أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ﴾[513]. قال لها أخبريني عن من تكلم لا لحم له ولا دم قالت له السماوات والأرض قال الله تعالى ﴿ ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾[514]. قال لها أخبريني عن شيء لا

506 القلم ٤٨.
507 كذا والأرجح أن تكون « متى ».
508 سورة ق ٣٠.
509 التكوير ١٨.
510 البقرة ٧٢–٧٣.
511 النساء ٤٣.
512 البقرة ٢٤٩.
513 القصص ٧.
514 فصّلت ١١.

لحم له ولا دم تحرك قالت له تلك عصى موسى قال الله العظيم ﴿ فإذا هي حية تسعى ﴾[515] قال لها أخبريني عن رسول ليس هو من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة.

قالت له غراب قابل قال الله تعلى ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ﴾[516] قال لها أخبريني عن من أوحى الله إليه ليس هو من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة قالت له نملة سليمان لقوله تعلى ﴿ قالت نملة يايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾[517]. قال لها أخبريني عن صغير لا يكبر وكبير لا يصغر إلى يوم القيامة قالت له تلك الحجارة قال لها أخبريني عن ذكر من أنثى وأنثى من ذكر قالت له تلك أمّنا حواء خلقت من آدم وعيسى بن مريم. قال أخبريني عن مولود هو أشد من أبيه قالت له الحديد يخرج من الحجارة قال الله العظيم ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾[518] قال أخبريني عن ما هو أشد من الحديد[519] قالت له النار لأنها تذيبه والماء أشد منها لأنه يطفئها والريح أشد من الماء لأنها تهدمه وتفنيه والله تعلى أشد من الكل أنه الدائم الذي لا يموت.

قال لها أخبريني عن موضع طلعت فيه الشمس مرة ولا تعود إليه إلى يوم القيامة قالت له تلك الطريق في البحر فتحه الله لموسى حين ضربه بعصاه. قال لها أخبريني عن حق والديك عليك إن كانا من أهل الإسلام قالت له حقوقهما كثيرة على أن أخفض لهما جناح الذل من الرحمة واستغفر لهما وإن كانا من غير أهل الإسلام وأصاحبهما في الدنيا معروفاً. قال لها أخبريني ما حقك عليهما قالت له حقي عليهما أن لا يضيعاني وأن يحسنا تربيتي وأن يعلمني العلم قال لها أخبريني ما حق الجار على الجار قالت له أجلّ كبيرهم وارحم صغيرهم واحفظ شاهدهم وغائبهم. قال لها أخبريني كم له من حق عليك إن كان من ذوي القرابة قالت له ثلاثة حقوق حق الإسلام وحق القرابة وحق الجوار وإن كان مسلماً من غير القرابة فحقان حق الإسلام وحق الجوار وأما من له حق واحد فالجار الذمي الكافر. قال لها أخبريني عن شيء لا رأي لك فيه ولا بد لك منه قالت له ذالك الموت التي لا بد منه ولا محيد لأحد

515 طه ٢٠.
516 المائدة ٣١.
517 النمل ١٨.
518 الحديد ٢٥.
519 جاءت بالهامش هنا «لأنه يسده عن مجراه وبنوا لأنه يبنى له بنيانا والموتى» ومعناها غامض.

عنه قال لها أخبريني ما الواحد قالت له الله تعلى قال لها وما الإثنان قالت آدم وحوا.

قال لها وما الثلاثة قالت له طلاق النساء قال لها وما الأربعة قالت له التورية [وزبور والإنجيل] [ص147] والقرآن العظيم. قال لها أخبريني عن الخمسة قالت له الصلوات الخمس أخبريني عن ست قالت له الجهات الست قال لها وما السبعة قالت له سبع سال لها وما الثمانية قالت له ذالك ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم والعشرة كاملة. قال لها وما الحادي عشر قالت له كواكب يوسف عليه السلام قال لها وما الاثنى عشر قالت له اثنا عشر شهر في كتاب الله قال لها وما الثلاثة عشر قالت له تلك إخوة يوسف وأبوه وأمه قال لها وما الأربعة عشر قالت له قنابل من نور معلقة بين العرش والكرسي طول كل قنديل مائة عام. قال لها وما الخمسة عشر قالت له أنزل الله القرءان جملة واحدة إلى سماء الدنيا خمسة عشر يوماً خلون من شهر رمضان. قال لها وما الستة عشر قالت له صفوف الملائكة حول العرش يسبحون بحمد ربهم قال لها وما السبعة عشر قالت له تلك أسماء من أسماء الله تعلى قال وما الثمانية عشر قالت له ثمانية عشر حجاباً من نور.

قال لها وما التسعة عشر قالت له قوله تعلى ﴿عليها تسعة عشر﴾[520] قال لها وما العشرون قالت له أنزل الله الزبور في عشرين يوماً خلون من شهر رمضان قال لها وما الواحد والعشرون قالت له ذالك ميلاد سليمان عليه السلام. قال لها وما الإثنان والعشرون قالت له فيها تاب الله على داوود وغفر ذنوبه قال لها وما الثلاثة والعشرون قالت له فيها كلم موسى تكليما قال لها وما الخمسة والعشرون قالت له فيها خلق الله البحر لموسى ابن عمران. قال لها وما الستة والعشرون قالت له فيها أنزل الله التورية لموسى ابن عمران قال لها وما السبعة والعشرون قالت تلك الأيام التي أقام يونس في بطن الحوت قال لها وما الثمانية والعشرون قالت له فيها رد الله على يعقوب بصره. قال لها وما التسعة والعشرون قالت له فيها رفع إدريس مكاناً علياً قال لها وما الثلاثون قالت له ذالك قوله تعلى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾[521] قال لها وما الأربعون قالت له فتم ميقات ربه أربعين ليلة قال لها وما الخمسون قالت له قوله تعلى ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[522]. قال لها وما الستون قالت

520 المدّثر ٣٠.
521 الأعراف ١٤٢.
522 المعارج ٤.

له الأرض عرفا[523] والناس خلقوا منها على ستين صنفا قال لها وما السبعون قالت له قوله تعلى ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ﴾[524] قال لها وما الثمانون قالت له قوله تعلى ﴿ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾[525] . قال لها وما التسعون قالت له إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال لها وما المائة قالت له قوله تعلى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾[526] .

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني ما المفتوح وما المغلوق قالت له نعم المفتوح هو المسنون والمغلوق هو المفروض فالمضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين هي مفتوحة والمفروض هو الوجه واليدان ومسح الرأس (يبدو ان هناك صفحة ناقصة أو أكثر والله أعلم) [ص148] تعيش شهراً أو شهرين لا تأكل شيئا وكذالك الضب إذا ذبح وقرب من النار تحرك من حرارة النار والكلب يحتلم كما يحتلم الرجل والكلبة تحيض كما تحيض المرأة .

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن واحد لا ثاني له وعن اثنين لا ثالث لهم وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا تاسع لهم وعن عشرة لا حادي عشر لهم وعن احدى عشر لا ثاني لهم وعن اثنا عشر لا ثالث لهم . قالت له نعم يا مفلفس سألتني عن الواحد الذي لا ثاني له فهو الله واثنين لا ثالث لهما الشمس والقمر وثلاثة لا رابع لهم فهم طلاق النساء وأربعة لا خامس لهم جبريل وميكائل وأسرافيل وعزرائيل وخمسة لا سادس لهم الصلوات الخمس التي فرض الله على العباد وستة لا سابع لهم فهي الجهات الست فوق وتحت وأمام ووراء ويمين وشمال . وسبعة لا ثامن لهم فهي سبعة سماوات وثمانية لا تاسع لهم فهي حملة العرش وتسعة لا عاشر لهم تسعة أشهر التي تحمل فيها النساء وعشرة لا حادي عشر لهم فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين واحدى عشر لا ثاني لهم فهم الكواكب التي سجدت ليوسف عليه السلام والاثنى عشرة التي لا ثالث لهم عشر فهي اثنى عشر شهراً في كتاب الله .

---

523 كذا .

524 الأعراف ١٥٥ .

525 النور ٤ .

526 النور ٢ .

قال أحسنت يا جارية فأخبريني عن من خلق الله من الماء ومن هلك في الماء ومن نجاه الله تعلى من الماء قالت له نعم خلق الله تعلى نبيه آدم من الماء وهلك قوم نوح عليه السلام بالماء ونجا الله تعلى من الماء يونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت. قال لها أخبريني عن من خلق من الهوى ومن نجاه الله من الهوى فهو ابراهيم عليه السلام ومن هلك بالهوى فهم قوم هود عليه السلام. قال لها أخبريني عن من خلق من الحجر ومن نجاه الله من الحجر ومن هلك بالحجر قالت له نعم خلق الله من الحجر ناقة صالح عليه السلام ومن نجاه في الحجر أصحاب الكهف ومن هلك بالحجر أصحاب الفيل. قال لها أخبريني عن من خلق من الخشب ومن هلك في الخشب ومن نجاه الله في الخشب قالت له نعم خلق من الخشب حية موسى عليه السلام ومن نجاه في الخشب نوح عليه السلام ومن هلك في الخشب زكرياء عليه السلام. قال لها أخبريني عن من خلق من النار ومن نجاه الله من النار ومن هلك في النار قالت له نعم خلق الله تعلى من النار إبليس لعنه الله ومن نجاه الله تعلى من النار فهو إبراهيم عليه السلام ومن هلك بالنار القربان. قال لها أخبريني عن شجرة أصلها من الجنة لها خمسة أغصان غصنان في الشمس وثلاثة في الظل لا تزال إلى يوم القيامة قالت له خمس صلوات ما بين اليوم والليلة الغصنان الذان في الشمس لا تزال صلاة الظهر والعصر والثلاثة التي في الظل لا تزال فهي صلاة الصبح والعشاءين لا تزال في الظل إلى يوم القيامة فهذه مسئلتك يا مفلفس.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ثلاثة ليس عندهم أمان قالت له نعم البحر والسلطان والزمان وثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع [ص149] عند الحرب والصديق عند الحاجة وثلاثة لا يستطاع رضاهم الحسود لا يرضيه إلا زوال النعمة والمأثور لا يرضيه إلا إدراك ثأره والذي تطلع منه على الحيلة الخبيثة لا يرضيك إلا موته وثلاثة تظهر فيها حرفة الإنسان المواخات والحرفة والتزويج. وإن أولى الناس بالرحمة ثلاثة البر في السلطان الفاجر فهو الذي حريص لما يرى ويسمع والعاقل في تدبير الجاهل فهو عمره متعب اليمّ والكريم المضطر إلى اللئيم فهو أبداً خاضع ذليل.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة قالت له نعم العافية لا يعرف قدرها إلا أهل البلا والصحة لا يعرف قدرها إلا أهل المرض والشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ والحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى. قال لها أخبريني عن أربعة لا تنشبع من أربعة قالت له نعم لا تشبع الأرض من مطر وأنثى من ذكر وأذن من خبر وعالم من

أثر. قال لها أخبريني عن أربعة لا يعد لهن شيء قالت له نعم الإسلام والصحة والأمن والغنا قال لها أخبريني عن أربعة تؤدي إلى أربعة قالت له نعم الصمت إلى السلامة والبر إلى الكرامة والجود إلى السياسة والشكر إلى الزيادة. قال لها أخبريني عن أربعة تحتاج الى أربعة السرور إلى الأمان والقرابة إلى الود والحسب إلى الأدب والعقل إلى التحريك.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن أربعة تضيع عند أربعة قالت له الأمانة عند من لا وفاء له والصنيعة عند من لا شكر له والأدب عند من لا عقل له والثناء عند من لا مروءة له. قال لها فما قوائم الدنيا قالت له نعم قوائم الدنيا أربعة علم العلماء وعدل الأمراء وسخاوة الأغنياء ودعاء الفقراء قال لها وما الأربعة التي تحفظ قبل أربعة قالت له نعم الوضوء قبل الصلاة والدعاء قبل البلاء والاستغفار قبل الذنوب والتوبة قبل الموت. قال لها وما دواء أربعة قالت له نعم العلماء دواء الجهل والدعاء دواء البلاء والاستغفار دواء الذنوب والتوبة دواء الموت. قال لها أخبريني عن أربع طلبتها فوجدتها في أربع قالت له نعم يا مفلفس طلبت البركة في المال فوجدتها في الزكاة وطلبت بركة مال الرزق فوجدتها في الصدقة وطلبت راحة القلب فوجدتها في الإخلاص واليقين وطلبت دواء الذنوب فوجدته في التوبة. قال لها أخبريني عن أربعة تذهب بأربعة قالت له نعم طلبت الحلال فذهب عني الحرام وطلبت الآخرة فذهبت عني الدنيا وطلبت الجنة فذهبت عني النار وطلبت رضاء الله فذهب عني سخط المخلوقين.

قال لها أخبريني عن أربعة بعكس أربعة قالت له نعم ما خير بعده النار بخير وما شر بعده الجنة بشر وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار فهو عافية. قال لها أخبريني عن ما اختار الله من الأيام ومن الشهور ومن النساء وما الأربعة الذين يسبقون الناس إلى الجنة وما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة قالت له نعم فأما الأيام فيوم الجمعة وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسئل الله شيئاً من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه ذالك والثاني يوم عرفة يباهى به الرب سبحانه ملائكته فيقول لهم [ص150] يا ملائكتي انظروا عبيدي جاءوا شعثاً غبراً أشهدكم أني قد غفرت لهم مغفرة لا يعملها أحد غيري والثالث يوم النحر إذا كان العيد يوم النحر قرب قرباناً فأول قطرة تسيل من القربان كانت كفارة لجميع ما فعل العبد من الذنوب والرابع يوم الفطر من شهر رمضان فإذا صامت أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهر رمضان خرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم فيقول الله تبارك وتعلى أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم وينادي منادياً أمة محمد ارجعوا إلى أوطانكم قد بدلت سيئاتكم حسنات.

وأما الشهور فشهر الله الأصم رجب وثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم ابنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم. وأما الذين يسبقون إلى الجنة فأولهم النبي صلى الله عليه وسلم سابق العرب إلى الجنة وسلمان الفارسي سابق الفرس إلى الجنة هو أول من أسلم منهم وصهيب سابق من أسلم من الروم إلى الجنة وبلال بن حمامة سابق من أسلم من الحبش إلى الجنة. وأما الأربعة الذين اشتاقت إليهم الجنة فأولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن خمسة لا تبقى إلا على خمسة قالت له نعم البناء على غير الأساس والمال على الفساد والعمل على التكليف والملك على الظلم والولات على الجور. قال لها أخبريني عن خمسة لا راحة للإنسان إلا بمفارقتهم السن المؤلمة والمرأة السيئة الخلق والولد العاقّ لوالديه والحاكم الجائر والجار السوء. قال لها أخبريني عن خمسة لا يكمل العبد الإيمان إلا بها قالت له نعم التوكل على الله والتسليم لأمر الله والصبر على بلاء الله والصبر بقضاء الله والمحبة والرغبة في الله. وقد وجد في تاج كسرى خمسة أسطر بماء الذهب الأول العدل لا يدوم وإن دام عمر والثاني الكفر لا يدوم وإن دام دمر وفي الثالث الموت هو الفقر الأحمر وفي الرابع من لم يخلق ولداً لم يذكر وفي الخامس الأعمى ميت وإن لم يقبر. وقد وجد في بعض الكتب المنزلة خمس كلمات في خمسة أسطار في السطر الأول الأجل معلوم وفي الثاني الرزق مقسوم وفي الثالث الكريم مكروم وفي الرابع الحريص محروم وفي الخامس الدنيا لا تدوم. وقد وجد أيضاً في بعض الكتب الملك الجائر هو وفرعون سواء والعالم الذي لا يعمل بعلمه هو وإبليس سواء والغنى الذي لا يوجد في ماله راحة هو والأجير سواء والمرأة التي لا تتخذ بيتها مقيلا هي والأمة سواء والفقير يبصبص هو والكلب سواء.

قال لها أحسنت يا جارية ثم قالت له يا مفلفس قال بعض الشيوخ الأب ربّ والأخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والأقارب عقارب وإنما المرء بصديقه. المال عون على المروءة والحسود لا يسود ليس الخلائق من علم ساد ومن فهم زاد ومن لم يتفكر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل فريضة تنال[527] الرفيق قبل الطريق الجار قبل الدار المنى تفسد المنه صديق المرء عقله وعدوه جهله المفروم به هو المحزون عليه كل شيء لا يوافق الأحمق.

527 جاءت « تنال » في الهامش.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني [ص151] **عن جواب ثلاثين مسئلة** قالت له ما هي يا مفلفس قال لها احذري من الأمور الثلاثة وخافي ثلاثة وارجي ثلاثة ووافقي ثلاثة واستحي من ثلاثة وافزعي إلى ثلاثة وشحي على ثلاثة وتخلصي إلى ثلاثة واهربي من ثلاثة وجنبي ثلاثة. قالت له نعم أما قولك احذري من ثلاثة فاحذر الكذب والغضب والطمع فأما الكذب فقول لقمان لابنه يا بني أياك والكذب فإن الكذب اشهى ممن يأكل لحم العصفور. وأما الكبر من خصال أهل الأشرار وأما الكبرياء رداء الله عز وجل ومن أسكن الله قلبه مثقال ذرة أوده النار والغضب يسبقه الحليم ويطيش العالم ويعقد معه العقل ويظهر معه الجهل. والطمع فخ من فخاخ إبليس لعنه الله وشر من عظيم احتياله يصيد به العلماء والعقلاء وأهل المعرفة ثم ذوي البصائر. وأما قولك خافي من ثلاثة خف الله عز وجل وخف ممن لا يخاف الله وخف لسانك فإنه عدو على دينك يؤمنك من جميع ما خفت منه. وأما قولك ارجي ثلاثة ارج عفو الله عن ذنوبك وارج محاسن عملك وارج شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم[528].

وأما قولك وافقي ثلاثة وافق كتاب الله عز وجل ووافق سنة النبي صلى الله عليه وسلم ووافق الحق والكتاب. وأما قولك استحيي من ثلاثة استحيي من مطالعة الله عليك وأنت مقيم على ما يكره واستحيي من الحفظة الكرام الكاتبين واستحيي من صالح المؤمنين. وأما قولك افزعي الى ثلاثة افزع إلى الله في مهمات أمورك وافزع إلى أهل العلم وأهل الأدب وافزع إلى التوبة في مساوئ عملك. وأما قولك شحي على ثلاثة شح على عمرك ان تفنيه في غير طاعة الله تعلى وشح على دينك ولا تبدله بالغضب وشح على كلامك إلا ما كان في رضاء الله تعلى. وأما قولك تخلص إلى ثلاثة تخلص إلى معرفتك بنفسك وإظهار عيوبها وتخلص إلى تقوى الله تعلى وتخلص إلى إخمال نفسك وإبقاء ذكرك. وأما قولك اهرب من ثلاثة اهرب من الكذب واهرب من الظلم ولو كان ولدك أو والدك واهرب من مواضع السوء لان مجالس السوء كمجالس الحدادين ان لم يصيبك بناؤهم يؤذوك بدخانهم وأما قولك جنب ثلاثة جنب صاحب السوء وجنب البطال وجنب المعاصي.

قال لها أحسنت يا جارية ثم قالت له يا مفلفس بأدب يفهم العلم ولاعلم يصح وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة ينال الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال عند الله تعلى وعلامة حب الدنيا حب القرآن وحب القرآن

528 وردت الجملة التي ما بين « وأما قولك » و« وسلم » بالهامش.

حب النبي صلى الله عيه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زاد يبلغه إلى الآخرة.

قال لها أحسنت يا جارية فهل تحفظين شيئاً من النوادر قالت له نعم يا مفلفس خذ إليك جزءاً من النوادر في المخاطبة خرج الغضبان بن الشيباني إلى بلاد كرمان ليأتي الحجاج عمر بن الأشعث فلما بلغها ضرب قبته فإذا بأعرابي قد أقبل وقال السلام عليكم فقال الغضبان وعليك [ص152] السلام كلمة مقولة قال من أين أقبلت قال من خلفي قال أين تريد قال أمامي قال فيم أنت قال في ثيابي قال علامَ أنت قال على الأرض قال أتأذن لي أن أدخل قال وراءك أوسع قال ما أردت منك طعاماً ولا شراباً قال لا يعرض بهما فلن تذوقهما عندي قال الرمل قد أحرقت قدمي قال بل عليها تبرد قال ان الشمس قد آذتني قال ليس لي عليها من سلطان فتركه فانصرف. ثم أتى ابن الأشعث فدخل في طاعته وقال نعذ[529] بالحجاج قبل أن يتعشى بك فلم يلبث إلى أن أسر فأتى به الحجاج فقال له أنت صاحب الحكمة الخبيثة نعذ بالحجاج قبل أن يتعشى بك قال له أيها الأمير ما ضرة من قيلة فيه ولا نفعة من قيلة له ثم أمر بحبسه وقيده.

ثم أخرجه بعد ذلك فمده فقال له سمنت يا غضبان قال القيد والربعة ومن يكن ضيف أمير المؤمنين يسمن قال له إني أحملك على الأدهم قال الأمير أفضل من حمل على الأدهم والأشقر والكميت قال كلا إنه حديد قال لا يكون حديد أحسن أن يكون بليغاً قال احملوه فلما استدل به الرجل قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أنزلوه قال رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين قال جروه قال بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم. ولما دخل خالد بن الوليد أرض اليمامة خرج فضرب عسكره على أبواب الحيرة ونهرهم وحضر منه أهل الحيرة بقصير بني نفيلة فبعث إلى أهلها أن ابعثوا إليّ رجلاً من عقلائكم نكلمه فخرج إليه عبد المسيح بن عمر بن تعلبة وكان شيخاً قد أسن فلما جاءه قال له خالد أين مضى إثرك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال فمن أين جئت قال من بطن أمي قال على من أنت قال على الأرض قال فيم أنت قال في ثياب قال تعقل ويحك قال لم قال أقبحك الله اسئلك عن الشيء فتجيبني عن خلافه. قال ما اختبرتك إلا بحق وقد سئل بعض

529 كذا والأرجح أن تكون «نعوذ».

المتكلمين بحضرة بعض الملوك قال له ما سنك قال عظم قال لم أرد هذا ولاكن كم لك من السنين قال ما لي منها شيء كلها لله قال لم أرد هذا ولاكن ابن كم أنت قال ابن اثنين رجل وامرأة قال لم أرد هذا ولاكن كم شيء عليك قال لو أتى على شيء لقتلني قال فضحك الملك وقال كيف السؤال عن ما أريد قال تقول كم مضى من عمرك.

وقال بعض الملوك ما أعياني في الجواب إلا ثلاثة أولهم عجوز قتل ولدها ورجل أطرش ورجل **تنبأ** فأما العجوز فإني قلت لما قتل ولدها لا تبكي عليه فأنا ابن لك بعده فقالت افلا أبكي على ابن اكسبني ابناً مثلك وأما الأطرش فإن قوماً من أهل الكوفة أتوني يشكوني بعاملهم وكنت أحمد مذهبه وأرضى سيرته فأمرتهم أن يقدموا رجلا منهم يناظر عنهم فقالوا ما فيهما إلا رجل أطرش إن صبر أمير المؤمنين عليه بفضل يده فتقدم بين يدي فقلت ما شأن عاملكم قال هو أشر عامل يا أمير المؤمنين فاما أول سنة بعنا أثيابنا وعقارنا وأما السنة الثانية فخرجنا من بلادنا وفزعنا إلى أمير المؤمنين ليتولى بصرفه عنا فقلت له كذبت لا أم لك بل [ص153] هو رجل قد اخترت دينه وسيرته فحمدته ورضيته.

قال صدق أمير المؤمنين وكذبت أنا ولاكن هذا العامل الذي وصفه أمير المؤمنين بالعدل والفضل وخصنا به هذه السنين دون البلاد كيف لا يستعمله على غيرنا حتى يشملهم من عدله مثل ما شملنا فقلت له ثم غير حفظ قد صرفته عنكم. وأما الذي تنبأ فإنه أتى بك مقيداً فقلت له نبي مرسل قال بلى نبي مقيد قلت له من أنت في الأنبياء قال موسى ابن عمران قلت له ويحك إن كان موسى بن عمران كانت له آيات ومعجزات بان بها أمره من إقلاب العصا حية وإخراج يده بيضاء وجعلت أعدد آيته فإن أتيتني بواحدة من هذه صدقتك وإلا قتلتك قال إني أتيت بهذه الآيات إلى[530] فرعون لما قال أنا ربكم الأعلى فإن قلت قوله آتيتك بما آتيته به. وأما حديث الفرزدق قال ما أعياني قط إلا جواب ثلاثة امرأة وصبي ونبطي أما المرأة فإني ذهبت أسقي بغلتي بماء وفيه نسوة يغسلن فهمزت بغلتي فحبقت فتضاحكن النسوة فقلت لهن ما ضحكتن فوالله ما حملتني قط إلا وحبقت فقالت إحداهن فكيف كان حبق أمك حين وضعتك بعد تسعة أشهر.

وأما الصبي فإني كنت أنشد يوماً وخلفي صبي فأعجبني حسن إصغائه فقلت له أيسرك أن أكون أبوك قال لا ولاكن يسرني أن تكون أمي وأما النبطي فقال لي أنت الفرزدق قلت

---

530 جاءت «إلى» في الهامش.

نعم قال الذي يخاف الناس من لسانه قال نعم قال أأموت إذا هجوتني قلت لا قال يموت فرسي قلت لا قال أدخلني الله في حرم الفرزدق إلى عنقي قلت له ويحك لم تركت عنقك. قال حتى أرى ما تفعل الزانية ودخل رجل على بعض الملوك فوجده يتكلم في الرؤيا فقال له الرجل أيها الملك لقد رأيت البارحة رؤيا نصفها حق ونصفها كذب. فقال له فكيف رأيت قال رأيت كأني وجدت بدرة فخريت من الفرحة فاستيقظت فوجدت الخرية ولم أجد البدرة فضحك الملك وأمر له بصلة. وقال الأشعث لو حفظت الحديث لحفظك لهذه النوادر قال قد فعلت قال فحدثنا قال حدثني عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لله نعمتان ثم سكت فقيل له وما النعمتان قال نسيت الواحدة ونسي عكرمة الأخرى.

جواب تشاجر أبو الزناد وابن شبرمة فقال له أبو الزناد من عندنا خرج العلم قال ابن شبرمة ولم يعد وقال رجل لآخر أنا أسن منك وأسنى قال نعم ولاكن بالمواشي والإنسانية. قال معاوية لشريك الأعور والله إنه لشريك وما لله من شريك وإنك الأعور والصحيح خير من الأعور وإنك لذميم ففيم سدت قومك فقال له شريك الأعور والله إنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عويت فصغرت فسميت معاوية وابن حرب والسلم خير من الحرب وابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فسميت أمية فيا ليت شعري بم صرت أمير المؤمنين. فقال له اخرج عني فخرج ودخل عليه يوماً فقال له يا شريك آية في كتاب الله ليس لك ولا لقومك فيها شيء قال وما هي قال ﴿وانه لذكر لك﴾[531] قال له شريك وآية أخرى في كتاب الله ليس لك ولا لقومك فيها شيء قال وما هي قال ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾[532].

قال لها أحسنت يا جارية لقد أبلغت والله في النوادر والأجوبة المقنعة ولاكن [ص154] النهار قد ولى والمجلس لا يحتمل التطويل هل قرأت شيئاً من أبواب اللغوات عند الخروج إلى الحوائج قالت له نعم أيها المفلفس اسئل عما شئت نأتيك بالجواب إن شاء الله تعلى قال لها أخبريني عن ملاقات بني آدم عند الخروج قالت له نعم إذا كنت خارجا في طلب حاجة أو قادما إليها أو اردت سفراً تريد فهي مسرة فإذا خرجت فتوكل على الله وتقول بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا فإن لقيت أعور بعينه اليمنى فاستعذ بالله ولا يؤذيك شيء وإن لقيت أعور بعينه اليسرى فاقعد من بعد ذالك قليلاً وإن لقيت أعمى بعينه فإنك تنال

531 الزخرف ٤٤.
532 الأنعام ٦٦.

حاجتك من غير مشقة ولا ينقص منها شيء وإن لقيت أعرج فالحاجة عرجا ولا خير فيها وإن لقيت صبياً صغيرا فالخير يزداد كما يزداد الصبي. وإن لقيت شيخاً كبيراً انحنا ظهره فإن الحاجة لا خير فيها وإن أصبتها فلا تنالها إلا بالمشقة والتعب وإن لقيت أسود حبشي فإنك تنال خيراً وإن لقيت امرأة جميلة فالحاجة جميلة وإن لقيت امرأة قبيحة فالحاجة قبيحة ذليلة ردية لأن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لقى امرأة جميلة وهو يطلب إبلاً فوجدها سريعاً ولقي بعد ذالك امرأة قبيحة وهو يطلب دابة فلم يجدها.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ملاقات السباع والوحوش والكلاب والبقر والغنم والإبل والبغال والحمير قالت له نعم يا مفلفس إذا خرجت في طلب حاجة فانظر إلى أول ما تلقاه فإن لقيت أسداً ونجوت من شره فالحاجة مقضية تنالها بسلامة ولا ترى فيها إلا خيراً وإن لقيت ذيباً وهو ماشياً مترسل فامش إلى حاجتك تنالها بسلامة إن شاء الله تعلى. وإن لقيت ذيباً راقداً فأبشر بشاة تذبح لك وإن لقيت نِمْساً فالحاجة منجوسة وإن لقيت غرباناً فإنك تلقى قوماً عدلوا سلاحهم وإن لقيت كلباً يلعب فابشر بخير قاصد وان لقيته راقداً فإنك تنال خيراً وسلامة في سفرك. وإن لقيت فرساً فإن كان أبيض فذالك خير وفرح ولا تجد في الحاجة إلا ما يسرك وإن كان الفرس أسود فلا خير في تلك الحاجة وهي مدبرة وإن لقيت بغلا فالحاجة مقصرة وإن لقيت غزالة فالحاجة خير قاصد فإن كانت حاجة النساء فإنك تجدها جميلة. وإن لقيت نعامة فإن الحاجة تضيع ولا تجدها وإن لقيت وَعْلا فإنك تنال خيراً ما كسبت مثله وإن لقيت غنماً فرزقاً واسعاً وإن لقيت بقراً تجد حاجتك وإن لقيت إبلاً فإنك تنال خيراً واسعاً وإن لقيت الدغموص[533] فلا خير في سفرك وإن لقيت شبهها فإنك تنال حاجتك من غير مشقة ولاكن بعد اليأس منها.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن ما استنطق سليمان ابن داوود بن الحسن عن الغرباني عن أبي حكيم عن زيد بن قيس بن صعصعة عن الكلبي عن السري عن كعب الأحبار رضي الله عنه عن عبد الله بن سلام قال نطق لسليمان عليه السلام كل شيء مما خلق الله تبارك وتعلى. قال لها فما تقولين في القوائع عند سليمان عليه السلام قالت له يقلن ﴿ومن يؤمن بالله ورسوله ويعمل صالحاً﴾[534] الآية. قال لها فما يقول الديك عند سليمان

533 كذا ومعناها مبهم ولعلّها الدعموص.
534 التغابن ٩ والطلاق ١١.

عليه السلام قالت له يقول اذكروا الله يا غافلين قال لها فما يقول الزنبور عند سليمان عليه السلام[535] قالت له يقول يا نور النور يا عالم الأسرار. قال لها فما يقول النسر عند سليمان عليه السلام قالت له يقول سبحان من استوى عرشه قال لها فما يقول البوم عند سليمان عليه السلام قالت له يقول اعملوا على الموت وابنوا للخراب قال لها فما يقول الهدهد عند سليمان عليه السلام قالت يقول هيهات هيهات ما أبعد ما [ص155] فات وما أقرب ما هو آت.

قال لها فما يقول العقاب عند سليمان قالت له يقول أنا الأكال الخطاف النازل قال لها فما تقول العصافير عند سليمان قالت له تدعوا لأنفسها بالرحمة عند المساء والصباح. قال لها فما تقول العنكبوت قالت له نعم تقول كفرت وآمنت قال لها فما يقول اليربوع قالت له نعم يقول أحجبني عن أعين الناظرين بحولك وقوتك. قال لها فما يقول الفأر عند سليمان قالت له ينطق بست كلمات فإن نطق في أول النهار فاحذر بلاء ينزل من السماء على أهل البلد وإن تكلم في آخر النهار فذالك فرح وخير وإن تكلم في وسط النهار فذالك مكروه على أهل البيت وإن تكلم في أول النهار فذالك دليل على حرب وفزع يكون وإن تكلم عند غروب الشمس أو قبل غروبها فذالك يدل على جوع شديد يقع في الناس وإن تكلم بعد العصر والمغرب يدل على فرح وسرور. قال لها فما يقول الذيب عند سليمان قالت له ينطق بتمام الكلمات فإن نطق بعد الفجر فهو نحس على نفسه وإن نطق الذيب عند صلاة الضحى ثلاث مرات فإنه أمر من السلطان يأتي ويفزع الناس إليه وإن نطق عند القائلة مرة واحدة فإنه دليل على غارة ترجف بالناس وتذهب بكسبهم وإن نطق عند صلاة الظهر يوم يزد بعدهن كلاما فهو دليل على رأس أهل البلد يفرح وإن تكلم بعد الظهر وقبل العصر خمس كلمات فإنه يدل على فتنة تقوم في الناس وإن نطق عند صلاة المغرب خمساً أو سبعاً أو ثمانية فإنه يدل على رجف وزلازل تقوم بين الناس وإن نطق عند الغروب مرة واحدة فإنه يقع في الناس حرب وفتنة وصياح.

قال لها فما يقول الثعلب عند سليمان قالت له يقول ثلاث لغات إن نطق سبعاً في الأولى فإنه فإنه يدل على سلطان يعز ملكه وإن نطق واحدة وسكت عند طلوع الشمس أو عند ضحوة النهار فإنه يدل على خير وعز على أهل البلاد وإن نطق عند القائلة هو هم وغم على الناس وإن نطق عند الظهر سبعاً فإنه يدل على موت امرأة وإن نطق عند الظهر عشراً فإنه يدل على قدوم المسافر والغائب. وقال لها فما يقول الأسد عند سليمان قالت له يقول إنا

535 وردت الجملة التي ما بين «قالت له» و«عليه السلام» بالهامش.

لله وإنا إليه راجعون قال لها فما يقول الهرّ قالت له يقول اطعمونا ولا تفرطوا فينا قال لها فما يقول الكلب عند سليمان قالت له يقول كلمتين أحدهما أنا الذي لا أبدر المعروف ولو قل عيشي عند موالي والثانية يقول فكيف أذهب وعيشي ولا أصبرنّ على عيشي عند مولاي ولا أبدلهم بغيرهم. قال لها فما يقول الفرس عند سليمان قالت له يقول سبوح صبوح قدوس قدوس رب الملائكة والروح قال لها فما يقول الحمار عند سليمان قالت له تغافل عنه ولم يستنطقه والبغل مثله لقوله تعلى ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[536].

ثم قالت له يا مفلفس إقرأ ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولاكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾[537] قال لها فما يقول الغراب عند سليمان قالت له إذا نطق وهو راقوبا بشر بأمان وسلامة في جميع الأرض وإن نطق الغراب وهو راقد وليس بحري وهو يتجوز النطق بعد النطق وهو يتحقق فهو دليل على فرح ولعب وإن نطق الغراب ثلاث مرات ولا يتحرك من مكانه فهو دليل على الحق والعدل ينزل على الموضع إليه قاصداً [ص156] وإن نطق الغراب على رأسه عند نطقه فهو يدل على كثرة مال مدفون فاقصد إلى الموضع الذي فيه تقول قولا صادقاً غير مكذوب وإن حفر ونفض التراب عند نطقه ثم قبضها إلى نفسه بعد نطقه فهو يدل على كثرة مال مدفون كالكنوز ونحوه وإن نطق الغراب ورأسه مرفوع إلى السماء فهو دليل على الخسف والقحط وريح وشمس والسنة ليست بخصيبة وإن نطق الغراب وقرقر عند نطقه ولم يظهر قوله فهو دليل على حدث يحدث.

وإن رأيت جماعة الغربان ينطقون كلهم وبعضهم يستدير ببعض فذالك دليل على قوم ينافقون ويقوم السلطان إليهم وإن رأيت غرابين ساكتين فابشر بضياف يقدمون عليك وإن نطق الغراب وهو مستقبل إلى القبلة ولم يش نطقه وأنت مسافر فلا خير لك في ذالك السفر وإن نطق الغراب وحث التراب على رأسه وسف منه عند نطقه فذالك يدل على رجل يموت سريعاً وإن نطق الغراب مرة واحدة مستقبل إلى المنزل فإنه يدل على رجل كبير يموت في ذالك المنزل وإن نطق وأنت مسافر ونزل على حجر ونطق ثلاث مرات فارجع من سفرك وإن نطق الغراب مرة واستقبل ذالك فابشر بالخير وإن نطق الغراب وأنت مسافر وسميت في قلبك حاجة فهو يدل على خير كثير. وإن نطق ورأسه إلى السماء فهو يدل على الحروب وموت في الناس وإن نطق وهو راقد فابشر بخير وإن نطق وهو ماش وأنت مسافر فاحسب نطقه فإن

536 لقمان ١٩.

537 الإسراء ٤٤.

كان بالفرد فارجع من سفرك وإن نطق وحلق على رأسك فارجع من سفرك وإن نطق وبطنه إلى السماء فهو يدل على الإحسان.

وإن نطق الغراب مرة واحدة فذالك يدل على قوم من كبار القبائل تقع بينهم فتنة وإن نطق وأنت على بابا دارك ست مرات فهو يدل على خير كثير وإن رأيت غرابان ساكنان لا ينطقان ونزلا قريبا منك فاعلم أن أضيافا يأتوك. وإن رأيت غرابان اثنان الواحد ساكت والآخر ينطق فهو دليل على رجل يسئلك ديناراً يأتي إليك وإن نطق الغراب وأنت جالس أو مسافر ويحث التراب برجله فهو يدل على رجل يموت. وإن كنت جالساً وأقبل إليك فإن الموت لنفسك وإن كان ظهره إليك فهو خير لك وإن نطق الغراب وأنت مسافر إلى قوم فنزل أمامك وبحث في الأرض وهو يصيح فإنه يدل على رجل يموت وتحضر جنازته لك أو لغيرك. وإن رأيته قاصداً إلى دارك ونزل على باب دارك فهو يدل على ميت يموت من دارك وإن رأيت الغربان يتضاربون في الهوى ويختلف بينهم الضرب يدل على حرب يقع بين الناس وإن رأيت الغراب يحث برجله وأنت مسافر فإنه يدل على ميت يكون من قبلك وإن نطق الغراب وهو يتمرغ على الأرض فإنه يدل على رجل يموت قتيلا.

وإن نطق الغراب وأنت جالس في دارك ونزل قدامك واستقبل المنزل واضطجع على جنبه فإنه يدل على ما يموت من المال سريعاً وإن نطق الغراب ونزل في نطقه على باب دارك فهو يدل على من يمرض من عندك وإن نطق الغراب عند صلاة الظهر ثلاث مرات فإن مريضك يموت. وإن نطق الغراب مرة فإنه يبرأ بإذن الله تعلى وإن نطق الغراب أول النهار خمس مرات فاحذر مما ينزل على أهل المنزل [ص157] وإن نطق الغراب آخر اليل فهو يدل على فرح وخير ياتي لأهل المنزل وإن نطق الغراب عند طلوع الفجر فهو يدل على حرب وفزع. وإن نطق الغراب عند غروب الشمس فذالك يدل على حرب شديد وإن نطق الغراب ومد جناحيه فإنه يدل على كنز في ذالك الموضع.

قال لها أحسنت يا جارية بارك الله فيك لما رأى وسمع من كلامها علم أنها في العلوم وحاذقة نبيهة وبحر لا يطاق ثم قام عنها وتركها وقال أشهد الله ورسوله أن هذه الجارية أعلم مني في جميع العلوم وأني مقر لها بالعلم بالطب وبالمعاني كلها والسلام عليكم وعليها وهذا واجب الانصاف فانصرف المفلفس الحاذق وبالله التوفيق.

باب ما فعلت الجارية مع ابراهيم النظام قال فالتفتت وقالت أيكم المتكلم في كل علم فقام إليها ابراهيم النظام فقال لها أنا هو ذالك يا جارية فقالت له ليس أهابك فأنت الآن عندي سأغلبك فإنك ضعيف الكلام وسأجردك من ثيابك وتبقى عريانا كما فعلت بصاحبك المنجم فلو بعثت إلى ما تلبس لكان خيرا لك وأحب إليك من خروجك عريانا من هذا القصر على رؤوس الخلائق. فقال لها والله لأخرجت من يدي حتى أشفي منك قلبي فقالت له كفر يمينك يا نظام قبل أن تناظرني فكان النظام يصغي إليها ويسمع جواباً منها في ذالك اليوم فرآها نبيهة في كل مسئلة. فقال لها يا جارية الإسلام واحد قالت له نعم فرائضه وشرائعه فلا خلاف في شيء من أموره وصحة ذالك ما روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ناداه فقال لبيك اللهم ربي وسعديك قال من خلقك قال أنت خلقتني قال فمن ربك قال أنت ربي قال آخذ عليك الميثاق قال نعم يا رب قال يا جبريل أخرج الحجر من الجنة فأخرجه أبيض من الثلج ونوره كنور الشمس لولا ما مسه يدي المشركين ما أسود ما استشفى به ذو عاهة إلا شفي.

فقال له يا آدم امسح يدك على الحجر بالوفاء لي فمسح آدم يده على الحجر قال يا آدم اسجد لي إن كنت صادقاً فخر آدم عليه السلام ساجداً الله تعلى ثم أخرج ذريته من ظهره من أولهم إلى آخرهم فبدأ بالأنبياء وبدأ بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد فقال لبيك وسعديك يا رب قال من خلقك قال أنت يا رب خلقتني قال من ربك قال أنت يا رب قال اسجد لي قال فخر محمد صلى الله عليه وسلم ساجداً لله تعلى. ثم قال آخذ عليك الميثاق قال نعم يا رب قال امسح يدك على الحجر فمسح يده عليه ثم قال يا معشر أنبياء ورسلي فقالوا لبيك وسعديك يا ربنا قال من خلقكم قالوا انت خلقتنا قال فمن ربكم قالوا أنت ربنا وأنت خلقتنا قال فاسجدوا لي إن كنتم صادقين فخروا لله ساجدين. ثم قال لهم آخذ عليكم الميثاق قال نعم قال امسحوا أيديكم على الحجر فمسحوا أيديهم على الحجر ثم قال هذا محمد رسولي أبعثه آخر الزمان تجدونه في الكتب التي أنزلها عليكم لتؤمنن به ولتنصرنه فمسحوا أيديهم على الحجر بالوفاء لمحمد صلى الله عليه وسلم فذالك قوله تعلى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق [ص158] النبيّين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم ليؤمن به ولتنصرنّه﴾[538] الآية لأنه رسولي.

---

538 آل عمران ٨١.

ثم أخرج ذرية آدم فقال يا بني آدم فقالوا لبيك وسعديك قال من ربكم قالوا أنت ربنا قال من خلقكم قالوا أنت خلقتنا فاقروا بالربوبية فذالك قولك تعلى ألست بربكم قالوا بلى فاسجدوا لي إن كنتم صادقين فخروا له إلا الكفار والمنافقون صارت في أصلابهم صياحي لا يطيقون بها السجود قال آخذ عليم الميثاق قالوا نعم قال امسحوا أيديكم على الحجر قال يا آدم ارفع رأسك وانظر فرفع آدم رأسه فنظر فإذا ذريته مثل الكواكب يتلألؤن وهم العلماء ورأى أصحاب اليمين في مثل بياض البيض ورأى أصحاب الشمال مثل سواد الغار. قال هؤلاء أصحاب الشمال مع ما أعددت من الهوان والعقاب ولذالك خلقتهم أشقياء فلو شئت لهويت بينهم أجمعين قال يا آدم إني خلقت السماء وخلقت لها أهلا وخلقت الأرض وخلقت لها أهلا وقلت هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا ابالي فمضى ذالك في خلقي إلى يوم القيامة. ثم أعطيت لهم الشفاعة لمحمد صلى الله عليه وسلم يشفع في المغرقين في الذنوب والمعاصي من أمته ممن استوجب النار والعذاب وقد فضلته على جميع الأنبياء وفضلت أمته على جميع الأمم وأعطيتهم خصلة من خصال الأنبياء وهي إجابة الدعوة لا تضيع لأحد منهم عندي دعوة إما اكتب لهم بها حسنات أو امح عنهم بها سيئات أم أصرف عنهم من الشر بقدر ما سألوه من الخير وأعطيت الشفاعة لبعض حتى أن الرجل يشفع في أهل بيته وجيرانه حتى أن الواحد منهم يقول أنا أقرب إليه منك ويقول الآخر أنا أقرب إليه منك وأعطيتهم الشهادة على جميع الأمم.

قال الله العظيم ﴿ وكذالك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[539] وإني شققت لهم إسما من الأسماء أنا السلام وهم المسلمون وبالإسلام بعثت جميع الأديان ولا أقبل من الأديان سوى الإسلام لأن الله جعل الإسلام سلما إلى الجنة. قال الله تعلى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[540] وقال تعلى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[541] أقرت الأنبياء عليهم السلام به ولذالك يقول الله تعلى ﴿ أنت وليي في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾[542]. وقال صلى الله عليه وسلم يأت الإسلام يوم القيامة في صورة رجل لم ير الناس أحسن منه وعلى منكبه رداء فيقف بين يدي الله تعلى فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام منك بدأت وإليك

539 البقرة ١٤٣.
540 آل عمران ١٩.
541 آل عمران ٨٥.
542 يوسف ١٠١.

عدت اللهم من تشفع لي اليوم فشفعني فيه فيقول الله لقد فعلت فيرخي الإسلام داءه فيتعلق به المسلمون حتى يسيروا بهم إلى الجنة.

وقال صلى الله عليه وسلم ليس على أهل الإسلام وحشة في قبورهم كأني أنظر إليهم إذا به في الصور نبأ ما في قبورهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخلنا على أنس ابن مالك في مرضه الذي مات فيه فقلنا له يا أبا حمزة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تطيب به نفوسنا قال أقعدوني فأقعدناه فقال ألا أحدثكم حديثاً استودعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال يا أنس أين تضع الحديث قال أنس إذا كان يوم القيامة وبعث الله [ص159] الخلائق وأمر بالكفار وما كانوا يعبدون من دون الله فيأمر بهم إلى النار ثم يبقى الموحدون من أهل الإسلام فيناديهم مناد من قبل العرش يا أهل التوحيد إن الله قد عفى عنكم فليعف بعضكم عن بعض فيعفوا المظلومون عن الظالمين ثم ينادي مناديا يا أهل التوحيد ادخلوا الجنة لا خوف علكيم ولا أنتم تخزنون.

وقال بعض العلماء ما من نعمة علينا أفضل من الإسلام نسأل الله تعلى أن لا يسليناه وقال أبو عبيدة يوم بدر فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم وارجوا بها عيشاً راضياً من الله وألبسني الرحمان بفضل منه بثوب من الإسلام أبلغها إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لامرأة أبي عبيد لقد هممت أن أعاقبك قالت ما أنت بقادر أن تستطيع أن تسئلني الإسلام. قال لها لا قالت له فلا أبالي ما وراء ذالك فقال لها عمر رضي الله عنه لقد أوقع الإسلام منك موقعاً لا يفارقك وقال عمر رضي الله عنه فهذا يوم فضيحتها مع بشر لولا بهجة الإسلام لعرضتك على الحد. ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام وبشره بيوسف قال على أي دين دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة على وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار أخبرنا كيف كان بدء إسلامك يا أبا اسحاق. قال نعم يا أمير المؤمنين كان لي أبا حبراً من أحبار بني إسرائيل لم يكن في بني إسرائيل أعلم منه فلما أدركته الوفات ترك أموالاً كثيرة وترك خزانة من الكتب فجعلت أتصفح ما في الكتب حتى وجدت كتاب التورية كاملة غير تسعة أسطر ممحوة مطلسمة مضروب عليها.

فأتيت حبراً من أحبار بني اسرائيل فخدمته أعواماً فلما حضرته الوفات قلت له يا سيدي ما خدمتك إلى اليوم أعواماً إلا لتخبرني عن التسعة أسطار المطلسمة المضروب عليها.

قال لي لا حاجة لك بذالك وأتيت حبراً ثانياً فخدمته أعواماً فلما حضرته الوفات قلت له يا سيدي أخبرني عن التسعة الاسطار الممحوة المطلسمة المضروب عليها في التورية. فقال لي لا حاجة لك بذالك ومات فأتيت حبراً ثالثاً فخدمته أعواماً فلما أدركته الوفات قلت له يا سيدي أخبرني عن التسعة الأسطار الممحية المطلسمة المضروب عليها في التورية فقال لي لا حاجة لك بذالك[543] فقلت يا سيدي لا بد لي من ذالك فلم أزل أرغبه وأتضرع إليه حتى رق لي وشفق علي. وقال لي لا أخبرك حتى تعاهدني أنك إذا عرفت ذالك لا يصبوا إليه قلبك ولا تركن لذالك فقلت له نعم فعاهدني بأفضل العهود والمواثيق أن لا أركن لذالك ولا أصبوا فأخبرني بذالك.

فقال لي السطر الأول فيه ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولاكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[544] وفي السطر الثاني ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾[545] وفي السطر الثالث ﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم﴾ إلى ﴿وأنتم مسلمون﴾[546] وفي السطر الرابع ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[547] وفي السطر الخامس ﴿قل يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[548] إلى آخر الآية وفي السطر السادس ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾[549] إلى آخر الآية وفي السطر السابع ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله إلى آخر الآية وفي السطر الثامن ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم﴾ إلى ﴿ديناً﴾[550] وفي السطر التاسع ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ إلى ﴿المسلمين﴾[551].

فلما فسر لي هذه التسعة الأسطر يا أمير المؤمنين هان علي كل دين وصغر عندي سوى دين الإسلام [ص160] فهذا شأن إسلامي. قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في الشرف

---

543 جاءت الجملة التي ما بين «ومات» و«بذالك» بالهامش.
544 آل عمران ٦٧.
545 آل عمران ٨٣.
546 البقرة ١٣٠–١٣٢.
547 آل عمران ١٩.
548 آل عمران ٦٤.
549 آل عمران ٨٥.
550 المائدة ٣.
551 الحج ٧٨.

قالت له نعم هو من تلاوة النبوءة في الإسلام ثم تحدثت حديثاً يسيراً في الشرف ومن تلاوته بالفضل قالت له نعم كان هو على رابع أربعة بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها النظام صنفان هم عندنا فهل عندك حد محدود قالت له نعم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال لها يا جارية أخبريني بأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له نعم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ثم اختلفت الشيوخ في التفضيل بينهم على حسب الروايات المذكورات وعلى هذا هو المجهور المشهور من قول مالك وهو الذي رجع إليه وعلى رواية من يشارك بينهم في الفضل إلى هذا ذهب طائفة من العلماء أنهم ذهبوا إلى الكف عن التفضيل بينهم وهي رواية ضعيفة والرواية الثالثة تقتضي التفضيل بين أبي بكر وعمر والتشريك بين عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

واتفقوا أيضا أن أفضل الصحابة هو الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم بقيت عشرة ثم أهل بدر أما أبو بكر رضي الله عنه فكانت خلافته عامين وشهرين وتوفي رحمة الله عليه ابن ثلاث وستين سنة كسنّ النبي صلى الله عليه وسلم ودفن تحت قبر النبي صلى الله عليه وسلم عند رجليه ودفن عمر رضي الله عنه خلف أبي بكر وبقي هنالك موضع قبر. قال كعب الأحبار رضي الله عنه هو قبر عيسى عليه السلام وفي الخبر لما حضرت وفات أبي بكر قال له أصحابه الوصية فقال لهم إذا أنا مت فاغسلوني وكفنوني في مرقعتي هذه وان يكن لي عند الله جاهاً فسألبس السندس والاستبرق. وإن كان ماسوى ذالك فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم صلوا علي واحملوني إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقولوا له يا رسول الله صاحبك في حياتك قد قضى نحبه أتأذن له أن يدفن معك أم لا فإن أذن لكم فادفنوني معه وإن لم يأذن لكم فادفنوني في البقيع.

فلما قضى رحمة الله عليه وغسل وكفن ومضى به إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونادى يا رسول الله إن صاحبك في حياتك قد قضى نحبه أتأذن له أن يدفن معك أم لا فإذا النداء من داخل القبة ادخلوا الحبيب إلى الحبيب لأن الحبيب إلى الحبيب مشتاق وفضائل أبي بكر رضي الله عنه أكثر من أن تحصى. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وزيري من أهل السماء جبريل وميكائل ومن أهل الأرض أبو بكر وعمر وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه خرج من المسجد يده اليمنى في يد أبي بكر ويده اليسرى في يد عمر فقال هكذا أفعل إلى يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم إن الله فرض عليكم حب

أصحابي كما فرض عليكم الصلاة والزكاة فمن لا يحبهم فلا صلاة له ولا زكاة. وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويأكل من غرس جنات عدن فليقتدي بهؤلاء الأيمة من بعدي فإنهم خلقوا من طيني ورزقوا فهماً وعلماً ويل لمن كذب بفضلهم لا ينال شفاعتي. وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة التقى وأبو بكر بابها وأنا مدينة الإيمان وعمر بابها وأنا مدينة الحياء وعثمان [ص161] بابها وأنا مدينة العلم وعلي بابها وقال علي رضي الله عنه لو شئت لوقرت سبعين بعيراً من شرح الفاتحة. قال بعض الشعراء :

**أجلّ ما قدم الإنسان من عمل * يرجوا به الأجر في سر وفي علن **

**حب الإمام أبي بكر وصاحبه * وحب عثمان والمولى أبي الحسن **

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمشي أمام أبي بكر فقال له مالك تمشي أمام أبي بكر فإنه ما طلعت الشمس من مطالعها ولا غربت من مغاربها بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله. ولهذا فهمت الصحابة تقديم أبي بكر للخلافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فقال الصحابة رضاك الله لديننا فكيف لا نرضاك لدنيانا ومنه قول الله تبارك وتعلى ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾[552] . قال بعض أهل العلم عطش أبو بكر في الغار عطشا شديداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر عليك بصدر الغار فاشرب منه قال أبو بكر فأتيت إلى صدر الغار وشربت حتى رويت وأتيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال أشربت فقلت له نعم يا رسول الله شربت ماء أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن فقال لي أعمل من أين شربت فقلت الله ورسوله أعمل فال يا أبا بكر إن الله تعلى لما علم من عطشك أمر أن يجري لك عين من الكوثر إلى الغار فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة قال وأفضل من ذالك يا أبا بكر عند الله تعلى والذي نفسي محمد بيده لا يدخل الجنة من بغضك ولو كان له عمل سبعين صديقاً.

ولهذا قال بعض أهل العلم من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لأنه كذب الله تعلى في قوله ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن الله معنا ﴾[553] . يروى أنه إذا كان يوم القيامة ينصب كراسي من نور عن يمين العرش وينصب كرسي من نور عن يسار العرش وينصب كرسي من نور أما العرش ويقعد محمد صلى الله عليه وسلم عن يمين العرش ويقعد

552 التوبة ٤٠.

553 التوبة ٤٠.

إبراهيم عليه السلام عن يسار العرش ويقعد أبو بكر أمام العرش فيأمر الله تعلى برفع الحجاب فينظرون إليه وينظر إليهم ثم ينادي مناديا لك من صديق بين حبيب وخليل. ومن فضائل أبي بكر رضي الله عنه كان في المسجد مع النبي صلى الله عليه وسلم حين حان وقت صلاة الظهر فقال أبو بكر رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم إلى أين تريد يا عتيق فقال له أتوضا وأصلي معك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إجلس أنا آتيك بالماء لأن منزلي أقرب من منزلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حتى استوى قائماً وهو يريد الخروج من باب المسجد وإذا هو بجبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا محمد قال وعليك السلام يا حبيبي يا جبريل ما أشد إسراعك إلي في هذه الساعة فقال له كيف لا يشتد إسراعك إليك يا محمد وقد كنت أسبح الله وأقدسه عند سدرة المنتهى فإذا النداء من قبل الله عز وجل يا جبريل إن سبقك محمد بالماء لأبي بكر لأمحون اسمك من ديوان الملائكة فأخرج له إبريقاً [ص162] من الذهب وقيل من الفضة مملوا بالماء.

فقال أعطيه لأبي بكر فإن شاء شرب وإن شاء توضأ فإن سألك عنه فقل له ليس هو من بير ولا من عنصر ولا من واد السلسبيل وأنا هو من عروق ساق العرش إكراماً وإجلالاً وتفضيلا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال أنس بن مالك العرش له ثلاث مائة وستون قائمة بين كل قائمة وقائمة ستون ألف صخراء في صخراء ستون ألف عالم مثل الثقلين[554] الإنس والجن وبين الشرق والمغرب ستون ألف عالم ألهمهم الله أن يلعنوا باغض أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ثلاثة أخلاق السخاء والورع والعلم فمن سخائه أنفق ماله كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لي عند الله ميعاد وورعه حين جاءه غلامه بشربة من لبن وكان جائعاً فشربها ولم يسئله عنها ثم سأله عنها قال له رقيت قوماً برقاء الجاهلية فأعطوني هذه الشربة فأدخل أبو بكر رضي الله عنه إصبعه في حلقه وجعل يتقيأ حتى كادت نفسه تخرج ثم قال يا رب هذه طاقتي وما بقي في العروق فأنت حبسته وأما علمه ففي دفعه الشبهات الواقعة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واختلفهم في موته ولم يحضر أبو بكر فضجت المدينة ضجة عظيمة فأمر عمر ألا يخبر أبو بكر بذالك فقام ثم صعد المنبر وقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله تعلى حي لا يموت وتلى الآية ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾[555].

---

554 كذا.

555 آل عمران ١٤٤.

فقال عمر رضي الله عنه لله درك يا أبا بكر الصديق أحييت القلوب أحياك الله فبويع رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة وقتل أهل الردة وقال لا أترك من فرق بين الصلاة والزكاة وثبتت خلافة أبي بكر رضي الله عنه بالسنة والإجماع. وخلافة عمر بنص أبي بكر وإجماع الصحابة رضي الله عنهم وأنشد في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونفعنا به :

**وسميت صديقاً وكل مهاجر * يسمى باسمه بغير منكر **

**سبقت إلى الإسلام والله شاهد * وكنت جليساً بالعريش المشهر **

**وبالغار أسميت بالغار صاحباً * وكنت رفيقاً للنبي المطهر **

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قالت له نعم أما عمر رضي الله عنه كانت خلافته عشر سنين ومات في عام ثلاثة وعشرين وكان سنة كسن النبي صلى الله عليه وسلم وسن أبي بكر. وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين سماه بذالك أعرابي وكان يقال له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليفة حتى جاءه أعرابي يسئله حاجة فقال له يا أمير المؤمنين فسمى بذالك وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه الحق على لسان عمر وقلبه. وجاء في الخبر أن الشيطان يهرب منه إذا رآه وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل أخبرني عن فضائل عمر في السماء قال يا محمد لو حدثتك ما لبث نوحاً في قومه ما نفذت فضائله وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم أعن الإسلام بأحد العمرين عمر ابن الخطاب وعمر بن هشام [ص163] وهو أبو جهل فنفذت الدعوة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سوى أبي بكر في الفضيلة وكانت لعمر رضي الله عنه ثلاثة أخلاق العدل والصلاة والاحتمال فمن عدله أنه لا يرد سلام عبد الرحمان بن عوف من أجل يسرح العاهة في مراعي إبل الصدقة ومن احتماله أن أعرابياً ركضه في المسجد فاستيقظ ولم يغضب.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في عثمان رضي الله عنه فقالت أما عثمان فكانت خلافته اثنا عشر سنة واختلف في سنه فقيل ثمانون سنة وقيل اثنان وثمانون وقيل ثمانية وثمانون وقيل تسعون سنة وكان عمر وعثمان وعلى ما توافي شهر ذي الحجة. وحصر عثمان في داره وكان الذي حصروه خمس مائة من مصر ومائة من البصرة حتى جنى له الماء وشرب من بير رومة كان اشتراها بماله بعشرين ألفاً وحبسها على المسلمين وكان يصوم الدهر حتى أخذه العطش وشرب منها. قيل إنه بعث إلى عبد الله بن سلام فقال له

انظر إلى هذه الكوة فإني نمت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم دخل علي منها فقال حصروك يا عثمان فقلت له نعم يا رسول الله فقال عطشوك يا عثمان فقلت له نعم يا رسول الله فقال لي أتريد أن ندع الله ينصرك عليهم أو تفطر عندنا هذه الليلة. فاختار عثمان الفطور مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحت بعثت ولدي لينظر خبره فوجده قد مات رحمه الله وكان قد دخل عنوة أصحابه ليقتلوا معه فأبى عن ذالك وقال إني سأجتمع معهم يوم القيامة وسيروا بعد أموراً يتمنوا أن لو كانت معهم ولما دخلوا عليه ليقتلوه قالت لهم زوجته إن شئتم فاقتلوه أو فاتركوه فإنه مكث يصلي الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة.

قال عبد الله بن عمر ما شبعت من الطعام منذ قتل عثمان قال يحق لعبد الله بن عمر مثل ذالك لفضله ودينه ولا تصيب المسلمين مصيبة أشد من مصيبة عثمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يوم قتل عثمان خالياً لم يصل فيه لأنهم اشتغلوا به عن الصلاة ولم يخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أيام واحدها يوم قتل عثمان والثاني يوم الحرة في زمان يزيد بن معاوية سنة ثلاثة وستين لأنه ولي عليهم ولم يرضوه فخرج لهم موسى بن عقبة فالتهب المدينة ثلاثة أيام[556] فخلا المسجد ذالك اليوم فقتل فيها سبع مائة كلهم جمعوا القرءان وقتل فيها أربعون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والثالث اليوم الذي خرج فيه أبو حمزة الخارجي فقتل ثالث مائة من الأنصار واثنا عشر من آل الزبير فخلا المسجد ذالك اليوم فما بقي في المدينة بيت إلا وفيه نائحة.

ولذالك قالت نائحتهم :

**ما للزمان وماليه * أفنى قديد رجاليه **

**فلا يبكين مسرة * ولا يبكين علانيه **

وسمي عثمان ذو النورين لأنه تزوج ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وقال له لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان. وقد ثبت عنه أنه جهز جيش العسرة بألف ناقة إلا خمسين وأتمه بخمسين فرساً في سبيل الله وشهد له [ص164] النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فقال له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة. وصحة ذالك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خرج لصلاة العين ولم يترك في بيوت أزواجه شيئا فصلى وانصرف أصحابه إلى بيوتهم وانصرف

556 الجملة التي ما بين «وستين» و«ثلاثة أيام» وردت في الهامش.

عنهم إلى منزله فقدمت له عائشة رضي الله عنها بشاة مشوية فقال لها من أين لكم هذا يا عائشة فقالت من عند عثمان قال لها هل لأجمعت صواحباتك قالت له ما منهن واحدة إلا وقد أنفذ إليها مثل ما نفذ إلي فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى صحن الدار ورفع يديه إلى السماء. قالت عائشة رضي الله عنها حتى بان بياض إبطيه وقال اللهم لا تنسين لعثمان هذا اليوم وهو يتضرع حتى نزل الله جبريل عليه وقال له يا محمد إن الله قد ضمن إلا أن يحاسب عثمان لا سراً ولا جهراً وكان له ثلاثة أخلاق العفو والعطاء والحياء فأما عفوه فكان له علي رجل مائة درهم فأنكره فأراد أن يحلف فقال عثمان لا أحلف لأجل الدنيا وعفى عنه إجلالاً لله تعلى وأما عطاؤه فجهز جيش العسرة بمائة ألف وأما حياؤه فقول النبي صلى الله عليه وسلم ألا أستحي ممن استحيت منه ملائكة السماء.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت له أما علي فكانت خلافته ست سنين وقتل بالكوفة ودفن في محراب مسجدها وقيل إنه لم يعلم له أحد قبراً بعد ومن فضائله رضي الله عنه أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمره أن يقضي له حاجة فذهب ورجع فوجدهم قد صلوا العصر فجلس ووضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه على فخذه فلم ينتبه حتى[557] غربت الشمس فقال له لم أصل العصر يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أوقفها له كما أوقفتها ليوشع فقالت اسما لقد رأيتها طلعت حتى ظهرت على الجبال. وقال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوا علياً فذهبت إليه فناديته ولم يجبني وأتيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال هو في البيت فاذهب فادعه فرجعت إليه فناديته والرحى تطحن ولا يديرها أحد فناديته فخرج الي متوشحاً. فقلت له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فصار معي حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له شيء ليس أفهمه ثم ذهب فجعلت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلي فقال يا أبا ذر مالك تنظر إلي فقلت له يا رسول الله رحى تطحن في دار علي كرم الله وجهه وليس معها أحد يديرها فقال يا أبا ذر أما علمت أن له ملائكة سياحين في الأرض موكلين بمعاونة آل النبي.

وكانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة أخلاق الإحسان والإخلاص والزهد فمن إحسانه أن رجلا لقيه في بعض الحروب فضربه ثم لقيه علي في حرب آخر فرفع يده ليضربه ثم أمسك عنه فقيل له في ذالك فقال كدت أن أضربه في نفسي لا في حق الله تعلى. وأما إخلاصه

557 جاءت الجملة التي ما بين «قال لها» و«حتى» بالهامش.

فمذكور في قوله تعلى ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾[558]. وأما زهده فقوله يا صفاء ويا بيضاء عودي إلى غيري وكان استعمل مع هذه الأشياء الأربعة أخرى الجود والكرم والتقوى والعلم والله يضاعف لمن يشاء.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الرواية التي شاركت بينهم في التفضيل قالت له نعم سمعنا في بعض الرواية أن جبريل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ذات يوم وبيده طيفور من الذهب الأحمر مغطى بمنديل من سندس أخضر وفي الطيفور خمس تفاحات من تفاح الجنة وقال له يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك خذ هذه التفاحة هدية مني إليك [ص165] وإلى أصحابك بالأربعة. فأول تفاحة أخذها فوجد فيها مكتوباً بالنور هدية من الملك الخالق إلى محمد الصادق ثم أخذ الثانية فوجد فيها مكتوبا هدية من الملك الشفيق إلى أبي بكر الصديق فأخذ الثالثة فوجد فهيا مكتوبا هذية من الملك الوهاب[559] إلى عمر بن الخطاب ثم أخذ الرابعة فوجد فيها مكتوباً هدية من الملك الحنان إلى عثمان بن عفان فأخذ الخامسة فوجد فيها هدية من الملك الغالب إلى علي بن أبي طالب. فدفع النبي صلى الله عليه وسلم لكل واحد بتفاحة وأخذ تفاحته صلى الله عليه وسلم فلما استقرت في كفه فأنطقها الله الذي أنطق كل شيء وقالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم شأنك عند الله يا محمد إن جبريل اقتطفنا من شجرة الفردوس الأعلى وفي تلك الشجرة سبعون آلاف فرع في كل فرع سبعون آلاف قضيب وفي كل قضيب سبعون آلاف غصن وفي كل غصن سبعون آلاف ورقة وفي كل ورقة سبعون آلاف تفاحة وعلى كل تفاحة سبعون آلاف ملك ولكل ملك سبعون آلاف رأس وفي كل رأس سبعون آلاف وجه وفي كل وجه سبعون آلاف فم وفي كل فم سبعون آلاف لسان يستغفرون لمن صلى عليك يا محمد ويحب أصحابك.

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مررت ذات يوم بحيط بنى النجار فسمعت صيحة عظيمة وخصاماً فدنوت منه ودخلت الدار فإذا أنا بعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبان ابن عثمان بن عفان والحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وهم يتفاخرون بآبائهم. فقال عبد

---

558 الإنسان ٩.

559 وردت الجملة التي ما بين «من الملك» و«الوهاب» في الهامش.

الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما خمسة خصال لأبي ليس لأحد مثلها وقال عبد الرحمن بن عمر رضي الله عنهما لأبي خمس خصال ليس لأحد من آبائكم مثلها وقال أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما لأبي خمس خصال لي لآبائكم مثلها وقال الحسن بن علي بن أي طالب رضي الله عنهما لأبي خمس خصال ليس لآبائكم مثلها[560]. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فليذكر كل واحد منكم خصال أبيه فقالوا له بل أنت بدأت بالكلام فتكون أول ذاكر أنت قال لهم نعم أول خصلة لأبي أنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم حين كذبه النساءِ فأنزل الله تعلى في حقه ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾[561].

قالوا بلى فسمي صديقاً قالوا له نعم هذه الأولى فما الثانية قال لهم نعم لما بعث الله تعلى النبي صلى الله عليه وسلم بالحق بشيراً ونذيرا أهجره الحبيب وأنكره الغريب غير أبي بكر قال صدقت يا رسول الله فأنزل الله في حقه ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولائك هم المتقون﴾[562] محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وصدق به أبو بكر رضي الله عنه فسمي محمد صادق وأبو بكر صديق. قالوا نعم هذه الثانية فما الثالثة قال لهم نعم كانت قريش وسفهاء مكة يعطون أموالهم للشعراء لكي يسبوا محمداً صلى الله عليه وسلم ويهجرونه وكان أبو بكر يدفع المال للشعراء حتى يكفوا عن سبه وهجوه حتى أنفق عليه ثمانين ألفاً من الذهب أربعون ألفاً سراً وأربعون ألفاً جهراً فأنزل الله في حقه ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولائك أعظم درجة من الذين أنفقوا﴾[563] الآية. قالوا نعم هذه الثالثة فما الرابعة قال لهم جاءه غلامه بشربة من لبن فشربها ولم يسئله عنها وكان جائعاً ثم سأله عنها [ص166] فقال له رقيت قوماً برقاء الجاهلية فأعطوني هذه الشربة فأدخل إصبعه في حلقه وجعل يتقيأ حتى كادت نفسه أن تخرج وقال يا رب هذه طاقتي وما بقي في العروق فأنت حبسته قالوا نعم هذه الرابعة فما الخامسة قال نعم قوله تعلى ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾[564] المراد به أبو بكر فهل لآبائكم مثل هذه الخصال.

---

560 الجملة التي ما بين « وقال الحسن » و« مثلها » جاءت في الهامش.

561 الأعراف ١٧٢.

562 الزمر ٣٣.

563 الحديد ١٠.

564 آل عمران ١٥٩.

فقام عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال لأبي أفضل من هذا وأعظم قالوا له قل حتى نسمع منك قال لهم أول خصلة لأبي أنه أسلم فوجد الإسلام مكتوماً فسل سيفه وأشهرها وقال لا تعبد اللات والعزى جهرا ويعبد الله سراً والله لا يعبد الله بعد اليوم إلا جهراً فأنزل الله تعلى في حقه ﴿واذكروا إذا أنتم قليل[565] مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأويكم وأيدكم بنصره﴾[566] والنصر ها هنا سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صدقت فما الثانية قال لهم نعم كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في دار الخيزان[567] فخرجت زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فلقيها عمر مكشوفة الوجه فزجرها وقهرها وقال لها ارجعي إلى دارك وامسكي عليك جلبابك المنفقون إليك طالبون وللقائك راغبون فرجعت إلى دارها وهي ترتعد من قول عمر. فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته بذالك فأمر بإجماع الناس فرقي المنبر خطيباً وقال في آخر خطبته يا معشر المسلمين ما بال قوم يؤذونني في أهلي فأطرق عمر رأسه إلى الأرض حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم الله نية عمر وما أراد بذالك فنزلت هذه الآية ﴿يا يها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾[568] الآية.

قالوا نعم هذه الثانية فما الثالثة قال لهم غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض غزواته فأخذ الأموال والأسارى فشاور أبا بكر الصديق فقال له اترك الرقاب وخذ الأموال وشاور أبي عمر فقال له يا رسول الله السيف ولو كان فيهم ابن الخطاب فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مشاورة أبي بكر فأخذ الأموال وترك الرقاب فنزلت عليه الآية ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾[569] الآيتين ما نجى منه غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هذه الثالثة فما الرابعة قال لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد أن يتخذ نبياً ولداً من بعدي لاصطفى عمر قالوا هذه الرابعة فما الخامسة قال لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم الحق ينطق على لسان عمر وقلبه فهل لأبيكم مثل هذه الخصال. فقام أبان بن عثمان ابن عفان رضي الله عنهما وقال لأبي أفضل من هذا وأعظم فقالوا له قل حتى نسمعوا منك

---

565 كلمة ناقصة في الأصل.

566 الأنفال ٢٦.

567 كذا.

568 الأحزاب ٥٩.

569 الأنفال ٦٧–٦٨.

قال لهم نعم أول خصلة لأبي أنه تزوج ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وقال له لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان.

قالوا له نعم هذه الأولى فما الثانية قال لهم إن أبي عثمان يختم القرءان في كل ليلة فأنزل الله في حقه ﴿ أمّن هو قانت آناء اليل ساجداً[570] وقائماً يحذر الآخرة ﴾ إلى ﴿ ربه ﴾[571] فقالوا له نعم هذه الثانية فما الثالثة قال لهم نعم إن أبي عثمان جهز جيش العثرة بألف ناقة إلا خمسين وأتمه بخمسين فرساً فأنزل الله تعلى في حقه ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ﴾[572]. قالوا له نعم هذه الثالثة فما الابع قال لهم إن أبي عثمان اشترى الماء فسبله للمسلمين [ص167] فأنزل الله تعلى في حقه ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴾[573] قالوا له نعم هذه الرابعة فما الخامسة قال لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا من قول عثمان واستضيئوا بنوره فإن الملائكة تسمع من قوله وتستضيء بنوره. فقال الحسن ابن علي رضي الله عنهما فقال لأبي أفضل من هذا وأعظم قالوا له قل حتى نسمع كلامك قال لهم نعم أول خصلة لأبي أنه خطب جبريل عليه السلام فاطمة الزهراء من جدي ولم يجد لها كفؤاً غير أبي علي قالوا صدقت هذه الأولى فما الثانية قال لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم علي مني كهارون من موسى الشجرة من الفروع والفروع من الشجرة.

قالوا له نعم هذه الثانية فما الثالثة قال لهم أبي علي حامل هذا اللِواء يوم القيامة وساقي الناس من الحوض قالوا له نعم هذه الثالثة فما الرابعة قال لهم إن أبي علي من الكبار الأربعة يوم القيامة جدي المصطفى وجدي إبراهيم الخليل وصالح النبي وأبا علي. قالوا نعم هذه الرابعة فما الخامسة قال لهم إن أبي علي حصر ثمانين ألفاً إلى ذروة الجبل حتى الأملاك في الأفلاك وصعد جبريل إلى السماء افتخاراً وهو يقول لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فهل فيكم من لأبيه مثل هذه الخصال. قال أنس فزادت المشاجرة بينهم فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الحسن رضي الله عنه افتخرنا بآبائنا فقال عبد الحمن بن أبي بكر كذا وكذا وقال عبد الله بن عمر كذا وكذا وقال أبان بن عثمان في أبيه كذا وكذا

570 «ساجد» في المخطوط.

571 الزمر ٩.

572 البقرة ٢٦١.

573 البقرة ٢٦٥.

وقلت أنا في أبي كذا وكذا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم تركتم لآبائكم من الفضائل أكثر مما ذكرتم ووصفتم أما أنت يا عبد الرحمن فإن الله أعطى لأبيك ما لم يعطِه لأحد حتى جعله الله لي صاحبا وصديقاً وأما أنت يابن عمر فإن أباك اسم آخر الأربعين فجعله الله من الفائزين وهو مكتوب في الفضل وأما أنت يابن عثمان فما ذكرت من فضائل أبيك جزءاً ولاكن اصطلحوا قال انس اصطلحوا واعتنقوا فلما أرادوا الخروج قبض النبي صلى الله عليه وسلم حسن وقال يا ولدي إذا افتخر الناس بأنسابهم كيف تفتخر أنت بنسبك أمك فاطمة الزهراء وأبوك علي المرتضى وأنا جدك المصطفى فهذه الرواية يا نظام تقتضي التفضيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن من أسلم أول صاحبه أبو بكر أم علي فقال أين وجدت هذا وأي ديوان رأيته وعلي أسلم قبل أبي بكر أسلم لعمر ابن تسع سنين ولا يضره كفره شيئاً لصغر سنه فمن أوجب أن الإسلام ليس بنافع فقد وجب أنه أحق بالأمن. فقال النظام إن وجدت شيئاً من ذلك فلك السبق فقالت أخبرني ما شئت أن إسلامه ليس بنافع وإنما أظلم الخصماء فقال له وأما الجواب بعد هذا في مسئلة أخرى إن قمت بها قالت له نعم وما هي فقال له الرجلان فيما اختصما إلى أبي بكر هل كان ظالماً. قال إبراهيم النظام فظننت أني احتلت عليها قالت له رب مسئلة يكون جوابها مسئلة فقلت لها لمن كانت منفعة نفع الجواب قالت له أي الخصمين الذين تسوّروا المحراب على داوود عليه السلام. قالت فرأيت أمير المؤمنين استوى [ص168] جالساً وصفق يديه فقلت لعمري إن هذا الجواب ولاكن بقيت مسئلة فإن أجبتيني بها فلك السبق فقالت قل ما بدا لك فقد أعلمتك أني لست أهابك. قال إبراهيم النظام فصغرت إلى والله نفسي وجعلت أفكرها بما أغلبها به فقالت والله لأنظر إليها مسئلة أغلبها بها فقلت لها أيهما أفضل علي أم العباس وعلمت أنها إن قالت علي أفضل لم ينجيها من أمير المؤمنين غدر وإن قالت العباس علمت أنها تعقبت في الكلام.

قال فأطرقت ملياً متفكرة تحمر ساعة وتصفر ساعة حتى توهمت أنها انقطعت حجّتها وتعجلت في الجواب فرفعت رأسها وقالت له سألتني عن رجلين فاضلين لكل واحد منهما فضل فارجع إلى الكلام فلما سمعها الرشيد استوى جالساً وقال أصبت وأحسنت ورب الكعبة بالتودد. ثم قال لها ما تقولين في أمير المؤمنين هذا ليس له فضل فمن أفضل هو أو غيره فقالت فضل أمير المؤمنين معروف غير مجهول دع عنا هذا الكلام وارجع إلى ما كنّا

فيه قال لها فما تقولين في العدل والظلم قالت له قال الله تعلى إن الله أمر بالعدل والإحسان وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه يوم القيامة[574] الظالم واجازى[575] المظلوم من الظالم. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إمام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خي من ملك مظلوم وملك ظلوم خير من فتنة تدوم لأن للعالم بستان ساسته الدولة والدولة سلطان تحيى به السنة والسنة سياسة يسوسها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد تعبدهم العدل والعدل مألوف وبه علم العالم والعدل من السياسة ورؤوس الرياسة الأوطان حيث يعدل السلطان بالعدل يأمن الخائف ويرهب المخائف إذا دام عدل السلطان اعتدل ملكه وإن جار هلك وحان هلاكه لأن العدل لا يدوم وإن دام عمر والظلم لا يدوم وإن دام دمر.

وروي أن الوليد ابن عبد الملك أوتي بحديث طمع فيه أن السلطان تكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات فاستثبت الوليد ذالك عن ابن شهاب فقال ما حديث يحدث به أهل الشام قال وما هو قال يقولون إن الله استخلف عبده في أرضه كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات فقال ابن شهاب باطل يا أمير المؤمنين والدليل على ذالك خليفة النبي أكرم على الله أم خليفة غير النبي فقال الوليد بل خليفة النبي أكرم على الله فقال ابن شهاب صدقت يا أمير المؤمنين فقد وجدنا الله تبارك وتعلى في قول في كتابه ﴿ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾ إلى ﴿ الحساب ﴾[576]. فهذا يا أمير المؤمنين وعد الله لأنبيائه فكيف لمن هو دونهم فقال والله إنهم يغروننا من ديننا فاعترف الوليد بالحق وأنصف واستبان أنه كان دالي[577] بالغرور فيا لها من موعظة ما أبلغها أن صادفت أذني واعية ونفسي زاكية فهل من مذكر وإنما صعد من العلماء من أطاعهم بالقول والعمل.

قال الله العظيم الذين إلى الأمور فهذه شروط شرطها الله عز وجل على من مكنه في الأرض وفوض إليه شيئاً من أمور المسلمين وقل من يجمعها أو يستطيعها إلا مؤمن وموافق [ص169] وقليل ما هم. وجاء في الحديث أن الملائكة سخرت من حكام بني آدم ومواقعتهم الذنوب فأمرهم الله تعلى أن يخيروا ملكين من أفضلهم وأخيرهم فاهبط

574 كلمة غير مقروءة هنا ولعلها «آمن».
575 كذا ولعلها «يجازى».
576 سورة ص ٢٦.
577 كذا.

إلى الأرض فما استكمل يومهما الذي هبطا فيه حتى أصابا ما حرم الله عليهما وهم هاروت وماروت ثم منعا الرجوع إلى السماء فصارا فتنة للناس كما قال الله تبارك وتعلى والبلاء موكل بالمنطق. ومثل ذالك ما روي عن مالك أنه قال بعث إلينا المنصور أنا وابن طاوس وبين يديه أنطاع قد نضّت وعلى رأسه جلاوزة يضربون الأعناق فأشار إلينا بالجلوس فجلسنا ثم أقبل على ابن طاوس فقال له حدثنا عن أبيك فقال ابن طاوس يا أمير المؤمنين حدثني أبي حديثاً يرفعه أن أهون الناس على الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً رجلا أشركه الله في سلطانه فأدخل عليه الجور في عدله.

قال مالك فقبضت ثيابي من ثيابه لئلا ينالني دمه فأمسك عليه حيناً ثم قال له يابن طاوس عظني قال أذكرك بقوله تعلى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرَم ذات العماد﴾ إلى ﴿إن ربك لَبالمرصاد﴾[578]. قال مالك فقبضت ثيابي أيضاً من ثيابه لئلا ينالني دمه فأمسك عنه ساعة ثم قال يابن طاوس قرب لي الدوات فترك تقديمها إليه فأعاد فترك تقديمها إليه قال ما يمنعك أن تقربها إلي قال إني أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلم أشك في قتله فأمسك عنه ساعة ثم أمرنا بالانصراف قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذالك اليوم. قال بعض أهل العلم أن الله تعلى يقول ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[579] ولم يأخذ بهذا المذهب إلا قليل وأخذ كثير بمجانبة الغرر في المخاشنة وصار إلى مدارات السلاطين والاحتمال عنهم والصبر على أدائهم وسعوا في الخلاص منهم ويدل على صوابهم في ذالك قول الله عز وجل ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[580] وقوله ﴿إلا أن تتقوا منهم﴾[581] وقوله ﴿إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[582]. فإذا أسقط الله الكفر مع الإكراه فالصبر على الجور والمدارات لأهله[583] أيسر من الكفر وأوخذ من الإسقاط.

فقد روي أن عمر ابن ياسر أخذه المشركون فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكى ذالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد

578 الفجر ٧–١٤.
579 يونس ٦٢.
580 البقرة ١٩٥.
581 آل عمران ٢٨.
582 النحل ١٠٦.
583 جاءت «لأهله» في الهامش.

قلبك قال له مطمئن بالإيمان[584] . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فإن أعدوا فعد وقد أمر الله رسوليه موسى وهارون عليهما السلام إذا أرسلهما إلى فرعون فما أنزله في محكم كتابه وذالك قوله تعلى ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾[585] وفسر قوله قولاً له قولا لينا أي كنياه ولو شاء تبارك وتعلى لخسف به ولاكنه أمهله إلى وقته السابق في علمه وأمر رسوله بكنيته ومداراته . وروى أن بعض خلفاء بني أمية سأل رجلاً من أهل العلم عن مسئلة فقال يا أمير المؤمنين أقول فيها ما يقول مالك بن أنس قال وما يقول مالك فأعلمه بقوله فلم يستحسنه وقال تيس فيها مالك وتيست أنت معه فيها فخرجت نفس الرجل فقال يا أمير المؤمنين إن السامع من التيس أتيس فتغيظ الخليفة عليه وخرج [ص170] الرجل وهو نادم على ما كان منه فبقي ساعة فأرسل الخليفة إليه فجعل يقدم رجلا ويؤخر أخرى فدخل عليه فأمسك عنه حيناً حتى سكن جأشه .

ثم أقبل عليه وقال يا هذا إن الله قد أمر من هو باللين منك من القول لمن هو شر مني وذالك قوله تعلى لرسوليه موسى وهارون عليهما السلام إذ أرسلهما إلى فرعون ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾[586] فقال الرجل يا أمير المؤمنين أبوا بالذنب واستغفر الرب فقال عفا الله هم انصرف حيث شئت . وروي أن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله جفا عليه رجلاً فصفح عنه وأوصاه في ترك المعاودة من السلطان بأن قال له إياك والسلطان فإن السلطان يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد ووقع في رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أسهل بين الناس في مجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف من حيفك ولا يائس ضعيف من عدلك فمن لزمه أن يساوي بين الناس في مجلسه وعدله وكيف له بالخلاص إلا بتيسير الله لك ذالك . وكتب أيضاً إليه أن تسهل بين الناس حجابك فإنما أنت رجل منهم ولاكن الله تعلى جعلك أثقل منهم حملا وإياك أن يكون همك بطنك فتكون كالبهيمة التي همها السمن والسمن حتفها .

وروي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قصد في خلافته رجلاً فاضلاً صالحاً فقال له إني أريد أن تدعو إلي بالموت فقال له الرجل وأنت فادع لي فقال له عمر لم أدعوا لك وأنت محلّى فقال له إني أحب ذالك قال فدعوا فمات عمر ولم يمت الرجل وكان الرجل يقول

584 وردت الجملة التي ما بين « وقال له » و« بالإيمان » بالهامش .

585 سورة طه ٤٤ .

586 سورة طه ٤٤ .

بعد ذالك كان عمر بن عبد العزيز صادقاً وإني لم أكن صادقاً فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله على فضله وعدله قد تمنى الموت وسأل أن يدعى له لما كان تنشب فيه إذا لم يأمن من التقصير أو الفتنة لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة دعى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب وجاء بن حيوة. فقال لهم إني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي بما أصنع فقال له سالم بن عبد الله إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم لك ولداً فبرّ أباك وارحم أخاك وتحنّن على ولدك. وقال له محمد بن كعب إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فلا تمسي وتصبح وفي قلبك غش لرعيتك فإنه من أمسى وأصبح في قلبه غش لرعيته فإنه لا يربح رائحة الجنة.

وقال له رجاء ابن حيوة إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحبب للمسلمين ما تحب لنفسك وذكر أن عاملاً لعمر بن عبد الله شكى له فكتب عمر يا أخي صهر أهل النار في النار وخلود الأبرار في دار القراريط وذالك إلى ربك نائماً ويقظانا وإياك أن تزل بك قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاء إليه حتى قدم عليه. فقال له عمر ما أقدمك فقال له خلعت قلبي بكتابك لأوليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله سبحانه وذكر أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه فقال له يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عمي العباس نفساً تحييها أن لا تكون أميرا فافعل ولما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء في رؤوس الجبال من هذا الخليفة الصالح الذي قام على الناس فقيل لهم ومن أعلمكم بذالك قالوا له إنه إذا قام خليفة صالح كفت السباع والذياب عن شاتنا. بلغنا أن معاوية بن أبي سفيان اتخذ أرضاً إلى جانب عبد الله بن الزبير وعمرها وأصلحا وساق إليها الماء من كل مكان بعيد وجعل فيها غلماناً يصلحونها فكتب إليه عبد الله بن الزبير بن عبد الله [ص171] بن الزبير إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإنك اتخذت أرضاً إلى جانب أرضي حملك على ذالك الحرص والشح والجشع وإنه لا يملأ جوفك شيء.

جاورتني في أرضك بحمران وسودان فدعاؤنا كف عنا أذاك والسلام فلما قرأ معاوية كتابه ألقاه إلى ابنه يزيد فطفق يقرأه ويتغير وجهه. فقال معاوية فمالك قال يا أمير المؤمنين أويحتمل هذا من أحد قال له معاوية فما أصنع قال ترسل إليه فيؤتى به مغلولاً فتضرب عنقه لئلا يجترئ عليك الناس بمثل هذا فقال معاوية ادع لي كاتبي[587] فدعاه فقال اكتب من عبد

587 «كتابي» في المخطوط.

الله معاوية أمير المؤمنين إلى عبد الله بن الزبير أما بعد فإنك كتبت إلي تذكرني أني اتخذت أرضاً الى جانب أرضك حملني على ذالك الحرص والشح والجشع وأنه لا يملأ جوفي وتذاكرني مجاورتك بحمران وسودان قد آذوك وتأمرني أن أكف أذاي عنك ولم أجاورك وأنا لا أحب أذاك ولا التضييق عليك ولاكني جاورتك رغبة في جوارك وأنت ابن حوارى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا كرهت جواري وضاق بك قربي فرأيته أذى فما أبغض إلي ذالك وما أبغض إلي ما تكره فتلك الأرض وما فيها من أحمر وأسود وما فيها من شيء لك وفي كل ما تلك والسلام.

فقبض عبد الله بن الزبير الأرض وما فيها من أحمر وأسود وكتب إلى معاوية لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير أما بعد فلا أعدمك الله الرأي الذي أنزلك هذه المنزلة ووضع فيك هذا الفضل الذي بلغت به ما بلغت فهنيئاً لك ما أعطاك الله والسلام. فأرسل معاوية إلى ابنه يزيد فناوله الكتاب فطفق يقرأه ويزيد يتبسم ضاحكاً فقال معاوية أليس أشرت إلى أن أرسل إليه فيؤتى مغلولاً فأضرب عنقه ولو أردت ذالك طلبت أمراً عسيرا لا أقدر عليه إلا بالجنود والخيل والرجال والنفقة العظيمة وكان الناس يلعنوني بلعنة واحدة يقولون أخذ ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومطاه وموضع قبره وهذه الأرض أهون علي من ذالك إنما قامت علي بما فيها ونفقتها بمائة ألف وما مائة ألف درهم لعبد الله بن الزبير. ولعلي لو وجهت في ذالك ما بلغت منه أزيد فيا بني إذا استحمق عليك الأحمق من قريش فمثل هذا الدواء وأيم الله لقد عودت الناس عادة في الحلم عنهم والاحتمال لهم ليطليها من يأتي بعدي من الخلفاء ولسلطن ألسنتهم عليهم فلا يحتملون ذالك وليقتلنهم حتى كأني أنظر إليهم جيفاً في الطرق فلا يمتنعون من ذالك.

ولما حضرت معاوية الوفات جمع أهل بيته وأم ولده ثم قال لأم ولده ايتيني بالوديعة التي استودعتكها فجاءت بسفط مختوم فظنت أن فيه جوهر قال إنما كنت أدخر هاذا لهذا اليوم ثم قال لها افتحيه ففتحته فإذا فيه منديل فيه ثلاثة أثواب فقال هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كسانيه وهذا رداؤه عليه السلام فقلت له يوماً يا رسول الله ألبسني هذا الإزار الذي عليك فقال لي إذا ذهبت إلى البيت أرسلت به إليك يا معاوية فأرسله إلي رسول الله وإنه دعى بالحجام يوماً فأخذ من شعره ولحيته فقلت له [ص172] يا رسول الله هب لي

هذا الشعر. فقال خذه يا معاوية فهو مصرور في طرف الرداء فإذا مت فاكفنوني في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرجوني في ردائه وأوزروني بإزاره وخذوا شعره واحشوا به شدقي ومنخري وذروا سائره على صدري وخلوا بيني وبين رحمة ارحم الراحمين. فهذا جوابك يا نظام فيما سألتني عنه في الظلم والعدل في الولاية.

قال لها أحسنت يا جارية فاخبريني عن الشجاعة والأبطال فقالت له نعم الملوك أشجع الناس يخاطرون بأنفسهم وهي أعز الأنفس أبطال الجاهلية بيعة ابن مكدم وعنترة بن شداد وبسطام بن قيس وعتبة بن الحارث وعامر بن مالك ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل ودريد ابن الصات والربيع بن زياد ومفرج ابن همام الغلام الزدام عمر المكشوح. وأبطال المسلمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وطلحة ابن عبد الله رضي الله عنه والزبير بن العوام رضي الله عنه وخالد بن زياد رضي الله عنه والمقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه وزيد الخيل رضي الله عنه وعمر بن الوليد رضي الله عنه وقيس بن مكشوح رضي الله عنه والقعقاع بن عمر رضي الله عنه وعبد الله بن حازم رضي الله عنه وعباد بن الحصين رضي الله عنه وعمر بن الحباب رضي الله عنه وشيب قطن بن العجات رضي الله عنه.

وأنجاب العرب ثلاثة المشتهرون وهب الباهلي وسليك المغانب وأوفى ابن مطر المازني كان كل واحد يطرد الظبي حتى يلحقه ويغير[588] وجره مسيرة خمسة أيام وإذا كان زمان الربيع جعل الماء في بيض النعام ويدفنه في الرمل ثم يغير زمان الصيف ثم يخرجها ويشرب. وأصحاب الفروسية من القبائل الأنصار قال ابن عباس ما سلت السيوف ولا صفت الصفوف حتى أسلم أبناء قبيلة يعني الأنصار وكان الفارس من بني غنم بن فارس يغدوا بعشرة من غيرهم وكان بنوا حنيفة أهل بأس قال بعض المفسرين ﴿ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد﴾[589] الآية انهم بنوا حنيفة وكانت زبيداً فرساناً وهم الذين منعوا الروم يوم اليرموك. وكذالك عامة حمير ولما احتضر خالد بن الوليد قال لقد شهدت الزحوف وباشرت الحروب وما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رشقة بسهم وها أنا أموت حتف أنفي فلا نامت عين الجبناء. قال بعض أهل العلم السوء والبخل خلقتان

588 كذا ولعلها «يخير».
589 الفتح ١٦.

يجمعهما سوء الظن بالله وقال علي رضي الله عنه من فطر في العواقب لم يخشع من كلام الجبناء حتى يشتم خير من ميت يرحم.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن البيان والفصاحة قالت له نعم من فصحاء العرب وخطبائهم[590] الذين يضرب بهم المثل قس وسحبان قال قس خطيب العرب بأسرها في الجاهلية روي أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من اليمن فسألهم عن قس قالوا له مات قس يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يرحمه الله عهدي به في سوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا فإنه من عاش مات ومن مات فات ومن [ص173] فات الهوى آت إن في السماء لخبر وإن في الأرض لعبر بحور تمور ونجوم تغور وسقف مرفوع والمهاد موضوع أقسم بالله قس أن لله ديناً هو أرضى له من ما أنتم عليه ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقامة فأقاموا أم تركوا كما هم فناموا. ثم قال أبياتاً لا أجدني أحفظها فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا أحفظها يا رسول الله فأنشد قوله:

**في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر * ورأيت قومي يمضي الأوائل والأواخر **

**لا يرجع الماضي ولايبقى من العامين عامر * لأيقنت لا محالة حيث سار القوم سائر **

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرجوا أن يبعثه الله أمة وحده وكان سحبان خطيب العرب في زمانه غير منازع ولا مرافع وقد وفد على معاوية وفد خراسان فانتصب للخطبة من ناحية كان يخطب فيها من صلاة الظهر إلى أن فاتت صلاة العصر ما يتنحنح ولا يسعل ولا أعاد معنى حتى أشار له معاوية بالجلوس ولا وجد فصيح مثل الحجاج.

قال لها أحسنت يا جارية فقد أبلغت فيما سألتك عنه ولاكن أحضرني ذهنك فإني أسئلك عن مسائل كثيرة من كل علم مسئلة فإن أتيتني بجواب المسائل علمت أنك فقيهة أشهد لك بذالك فقالت له يا نظام اسئل عن أي باب شئت نأتيك بالجواب إن شاء الله تعلى. قال لها أخبريني مم خلق الله الخلق قالت له من خمسة أشياء من نور ونار وظلمات وتراب وماء قال لها فيما خلق الله هذه الخمسة قالت له ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾[591] يعني بقدرته. قال لها فأخبريني عن شيء خلقه الله بيده قالت له خلق الله بيد قدرته جنات عدن وقال لغير ذالك كن فكان وكتب التورية بيد قدرته. قال لها فما أبوك

590 «خطابهم» في الأصل.

591 البقرة ٢٩.

في الإسلام قالت له إبراهيم خليل الرحمن قال لها فما أمك في الإسلام قالت له أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعلى ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾[592] . قال لها فما تقولين في تفسير قول الشاعر:

** لا مال للعطاف يوزيده * أم ثلاثين وابنة الحمل **
** الله الله لا يرتقي بندا * ذالك ولا تعدوا إلى السفل **

قالت له نعم للعطاف يعني عطف السيف يوزيده يعني اخو يده ام ثلاثين يعني غمده وابنة الحمل يعني عود النبق الذي يستغل القضاء وقوله لا ترتقي لا تطالع والندا هو البلل وجمع ذالك أندية والدلال هو تدق في القميص من فوق ومن أسفل لا يعدى ولا ينصرف وهو جوابك يا نظام فقالت هات البيتين اللذين بقيتا. قال لها لا علم عندي إلا بهذا الذي ذكرت لك قالت له:

**عمرت نطقه فيها * تلقا منها مواقع السبل **
**وقلت نسيت أسلكت إن * لم تتلها بالفوانيس لم تزل **

قال لها أخبريني عن شيء رأيته في أرض الأعاجم والعرب وليس له لحم ولا ريش ولا زغب ويؤكل مطبوخاً بارداً ويؤكل مشوياً إذا دنس في اللهب له لون الفضة ولون ظريف فاقع يشبه الذهب فلا هو حي ولا هو ميت ألا فأخبريني إن هذا هو العجب قالت له نعم ألا فأخبريني عن شيء رأيته يعني به البيضة التي تلدها الطيور في أرض الأعاجم والعرب وقوله ليس له لحم [ص174] ولا ريش ويؤكل مطبوخا يعني إذا طبخت أكلت بارداً يعني بها إذا دفنت[593] انشوت وأكلت إذا بردت وله لونان يعني بياض الأبيض منها كلون الفضة ولون ظريف فاقع يشبه الذهب يعني به الأصفر كلون الذهب فلا هي حية يعني جامدة ليس لها روح فلاهي حية ولا هي ميتة.

قال لها فأخبريني عن محدودة من غير ذنب تراها في ضربها حية وموتها إن كف عنها لم تنشط فقالت له نعم ومحدودة من غير ذنب حية يعني بها الدوامة إذا ضربها الصبي بالشركة زاد في حياتها إن زاد في ضربها يعني إذا تقوى عليها بالضرب استحيت وتقوت في الدور وموتها إن كف عنها لم تنشط يعني إن تركها ماتت وصارت خامدة غير متحركة.

592 الأحزاب ٦.

593 كلمة غير مقروءة.

قال لها أخبريني عن مستخشن الأثواب عند محسونه غداه نمير الماء في ظل بستان تحف به أقماعه فكأنه قلوب نعاج في مخالي عقبان قالت له نعم مستخشن الأثواب عند محسنه أي عند لمسه غداه نمير الماء في ظل بستان لأنه يكون تحت الماء في البساتين تحف به أقماعه الأقماع ما يمسكه من جوفه فكأنه قلوب نعاج في مخالب عقبان ذالك البدنجان يا نظام. قال لها أخبريني عن سود الجلود كلون الصدود بشمس تحت عبوس القبش * إذا ما تأملتها خلتها * ثدي صغار بنات الحبش * قالت له نعم التبن الغزالي قال لها أخبريني عن كرات من فضة جمعة بين نرجس وبهار * أهرات ترون في شجرات كسماء * قد زينت بدراري * قالت له نعم ذالك السفرجل يا نظام.

قال لها أخبريني عن معتنقين ما أنهما بعشق وإن وصفا بضم واعتناق * لعمر أبيك ما اعتنقي بمعنى سوى معنى القطيعة والفراق * فقالت له المقص. قال لها أخبريني عن غريبة الأوطان غير عربية جاءت تبشر بالزمان المقبل نشرت جناح الأنبوس وصدرت بالعاج فيه وقهقت بالصندل قالت له البلارج قال لها نحن خليلين ما دعانا كانت اليل والنهار قالت له المقص يا نظام. قال لها أخبريني عن أرض مربعة حمراء من الدم ما بين خلين موصوفين بالكرم وتذاكر المحراب فاختالا لها شبهات غير أن يسعيا فيها لسفك دم هذا يكن على هذا مغالبة وذا يكن وعين المحرب لم تنم * فانظر لحرب سجال راق منظرها * من عسكرين بلا طبل ولا علم *.

قالت له ذالك الشطرنج يا نظام الذي قال له الشاعر:

* وليلة من ليالي الأنس بت بها * أعلل نفسي بالله في فتية من بني الآداب ما خلقوا * إلا من الظرف والتهذيب والكرم * فصفوا صفوفاً راق منظرها * تركا وزنحما على أرض من الادم * رخ طرفا وفيل تابع لهما * والفرز والشات ملك صار إليهم * ويقوم الجيش أجناد مجندة * من البلاد ولا يلقون للسلم * تحاربوا فإذا بالعرك قدهدموا * بحسن ريح وجيش غير منهمرم * ثم استعلى رجال الترك وارتجفوا * وحاربوا حرب انجاد ذوي همم * الحرب تبكي عيون الناظرين وما * في هذه الحرب من تغر غير تبسم * فلم نزل في نعيم طول ليلتنا * حتى بدى الصبح مثل الصارم الخدم * فظلت أشد ضحى * في وصفه ليلة كانت بذي سلم * بالليلة الصفح هل عدت بثانية * سقى زمانك ديمة من الديم *.

قال فلما رآها النظام لم تتوقف عن كل ما سألها عنه علم أنها حاذقة كيّسة نبيهة فبقى

باهتاً لا يدري مايصنع قال فالتفتت الجارية إلى المجلس وقالت يا نظام [ص175][594]
الهوى قالت[595] أتقرض وأنا لا أجاوب ولاكن اسئلني وإن شئت سألتك فقال لها يا جارية
إني[596] لها[597] مجملة في مرة واحدة فإن أجبت فلك ثيابي وإن لم تجيبي أخذت ثيابك[598]
يا مفلفس اشهدوا علي وعليه. ثم قالت بسم الله هات ما عندك من العلم فقال لها[599] ثوباً
يسترك فلست تخرجين من هاهنا بتلك الثياب فقالت له دع عنك هذا الكلام وهات ما
عندك ثم قالت الجارية لمولاها كسوة لها وإنا نأخذها لك إن شاء الله تعلى. فقال لها النظام
أخبريني عن ما هو أحلى من العسل وأثقل من الجبال وأحدّ من السيف وأسرع من السهم
وأبعد من الوهم وأسمن من الشحم وما لذة ساعة وما سرور ثلاثة أيام وما طرب يوم وما فرحة
جمعة وما الحق الذي ينكر الناس وما سخنة العين وما فرحة القلب وما كمد النفس وما موت
الحياة وما يفرح القلب وما الداء الذي لا يداوى وما عار لا ينجلي وما العلة التي لا تبرى وما
الدابة التي تأوي إلى العمارة وتسكن الخراب وتبغض بني آدم في خلفة ثمانية دواب جبابرة.

قالت له اسمع جوابك وعجل بانتزاع ثيابك أما ما هو أحلى من العسل فهو (فراغ) وأما
ما هو أثقل من الجبل فهو الدب وأما ما هو أحد من السيف (فراغ) وأما ما هو أسرع من
السهم (فراغ) وأما ما هو أبعد من الوهم فهو الرب سبحانه وأما ما هو أسمن من الشحم فهو
الدين وأما لذة ساعة فهو الجماع وأما ما هو سرور ثلاثة أيام فهو النور وأما ما هو فرح جمعة
فهو سابع العروس وأما الحق الذي يكره الناس فهو الموت وما سخنة العيس فهو ولد السوء
وأما فرحة القلب فالمرأة السوء وأما كمد النفس فالعبد العاصي وأما موت الحياة فهو الفقر
وأما الداء الذي لا يداوى فسوء الخلق وأما عار لا ينجلي فهي البنت وأما العلة التي لا تبرى
فالمرأة السيئة الأخلاق وأما الدابة التي تأوي إلى العمارة فتسكن الخراب وتبغض بني آدم
وفيها خلفة ثمانية دواب جبابرة فهي الجرادة التي رأسها كرأس الفرس وعنقها كعنق الثور
وأجنحتها كأجنحة النسر وقرونها كقرون الغزال وساقاها ساقا الجمل وذنبها كذنب الحية
وبطنها كبطن السبع وعينها كعين الفيل.

---

594 كلمة غير مقروءة.
595 كلمة غير مقروءة.
596 نفس الملاحظة.
597 نفس الملاحظة.
598 كلمة غير مقروءة.
599 نفس الملاحظة.

قال فتعجب كل من حضر من سرعة جوابها ثم قالت له يا هذا اخلع ثيابك ولا تطول النهار والنهار قد ولى ولا يحتمل المجلس التطويل. فقال النظام ويحك اتق الله وأخّريني حتى أصل داري وألبس ثياباً غيرها وأدفعها لك قالت لا يجوز ذالك لان البايعة سنة غير جائزة ثم قالت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرورة لا تلزم وهذا من الضرورة برد ثيابك فقال لها النظام كم اللجاج والاحتجاج في هذه الثياب فما أفضحك لله درّك خذيها لا بارك الله لك فيها. وهارون الرشيد يسمع ويتعجب منها ومن سرعة جوابها فجرد النظام الثياب وبقي في السروال قالت له انزع السروال قال لها ويحك أما تستحيي ثم قالت له حدثني شيخي رحمه الله حديثاً يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم [ص176] قبله فأوحى الله إليه يا سليمان لم قربت الجرادة في قصرك لوجه الله أو لصنم امرأتك فإن كان لصنمها فقد اتخذت معي شريكاً وإن كان لوجهي فقد استصغرت بسلطاني واستهزأت بوجهي وأنت تعلم أني لا يقرب لي إلا الإبل والبقر والغنم وعزتي وجلالي لأسلبن ملكك وولدك ولألقين على كرسيك شيطاناً مريداً على صورتك وشبهك ولأجوعن كبدك ولابتلينك بالصدقة من الناس ولا يتصدقون عليك.

قال فبكى سليمان بكاء شديداً على خطيته فخرج من البيت ونادى يا بلقيس قالت له لبيك يا نبي الله قال لها احفظي خاتمي حتى أرجع من حاجتي وأعود إليها وكان لا يأمن أحداً على خاتمه فلما قدمت بلقيس كان يأمنها على خاتمه فكانت تسمى في قصره المؤمنة الأمينة ودفع خاتمه إليها. فأقبل شيطانا مريداً يقال له خريس بن حريس بن الاقيس بن إبليس الأكبر لعنه الله وكان ذالك الشيطان قبل ذالك اليوم وإذا دنى من أبواب مدائن سليمان يطرد ويرجم بالحجار فدخل في مدائن سليمان بغير دافع ولا مانع فلما توسط قال في نفسه ما وصلت إلى هذا الموضع قط بعدما كنت نطرد ونرجم إلا بذهب أذنبه سليمان بن داوود عليهما السلام قد عوقب به ثم نظر إلى بلقيس والخاتم في يدها. فقال لها يا بلقيس قالت لبيك يا نبي الله ولا شكت أنه سليمان قال لها هات الخاتم فدفعت له الخاتم فأقبل الشيطان إلى مجلس سليمان فجلس على سرير ملكه ووضع التاج على رأسه وجلس دمرياظ عن يمينه وهم يظنون أنه سليمان والخاتم في إصبعه وكان ملك سليمان في خاتمه وحلقته من ذهب وفضة وياقوتة حمراء وفيه مكتوب بأربعة أسطر في كل سطر اسم من أسماء الله تعلى وأحدقت به الجيوش ورفرفت الطير على رأسه.

وخرج سليمان من حاجته وقال يا بلقيس قالت لبيك يا نبي الله قال لها أعطيني خاتمي

قالت يا نبي الله قد دفعته لك قال لها يا بلقيس أما تستحي مني ائتمنتك على خاتمي قالت والله الذي لا إله إلا هو لقد دفعته إليك فصدقها سليمان فسمع رجة عظيمة في قصره وجلسه فأخرج من ذروة قصره فنظر إلى الشيطان جالس على كرسيه والخاتم في إصبعه والأنس عن يمينه والجن عن شماله. فعلم سليمان أن الله تعلى أنجز وعده الذي وعده به أن يلقى على كرسيه جسداً شيطاناً مريداً فقال سليمان والله لأخرجن ملكي ولأفارقن أهلي ولأسيحن في الأرض ولأطلبن التوبة من ربي فخلع النواعم من لباسه ولبس منسجاً من صوف أسود وقلنسوة من لبد وعمامة من صوف وجعل في قدميه نعليه من خَوص وأخذ عكازاً وخرج من قصره وفارق أهله وملكه وولده وجعلت الجدار والجبال والأودية والصخور تناديه من كل جانب يا سليمان الخاطئ كيف ترى ذل المعاصي وجعل الشيطان يقول في [ص177] نفسه كان سليمان يستخدم الجن ويعذبهم بقطع الحجارة فاضطروا من ذالك.

وكان سليمان عليه السلام يخلوا يوماً لعبادة ربه فلم يكن الشيطان يفعل من ذالك شيئاً فاجتمع بنو إسرائيل إلى آصف بن برخيا فقالوا يا آصف ألا ترى ما نزل بنا من سليمان كيف خرق العادة علينا فقال لهم آصف والله لقد رأيت ذالك فإن كان هذا سليمان لقد هلكت الأرض ومن عليها. فقالوا بنو إسرائيل لا يحكم بما أنزل الله في الزبور وقد ذل الإنسان ورفع الجن فما الذي تقول وما الذي تشير به علينا ثم إن الشيطان قام على عباءته نيف وعشرون يوماً فقال آصف معاشر الناس ارفقوا علي حتى آتيكم بصحة الخبر وأقبل آصف حتى دخل على جواري سليمان وكن لا يحتجبن منه فلما نظر النساء إلى آصف بن برخيا ضججن بالبكاء والعويل وقلن يا آصف ألا ترى ما نزل بنا من سليمان. فقال لهن آصف بأي شيء ظهر عندكم قلن له يا آصف لا يقربنا كما كان يقربنا ولا يغشينا كما كان يغشينا قال لهن آصف فما يصنع قلن له إذا وصل إلى هذه القبة أطفأ القناديل وعلق الأبواب وهمهم بشيء لا نعرفه فإذا أصبح خرج إلى مجلسه. وكان في وسط قصر سليمان قبة على ثلاث مائة وستين عموداً من الرخام ما بين العمود والعمود مصراعان وكان له فيها ثلاثة مائة وستة وستين قنديلاً معلقة فإذا كان يوم خلوته مع رجاله جلس في تلك القبة.

فقال آصف لجواري سليمان اكتمن هذا الأمر ولا تخبرين به أحداً غيري فقلن السمع والطاعة فخرج آصف إلى بني إسرائيل وقال لهم إن الرجل ليس هو سليمان قالوا له فما تصنع حتى تعلم أنه سليمان قال لهم آصف إذا أنتم أصبحتم غداً إن شاء الله تعلى البسوا مدارع

الصوف وبرانيس الشعر وأقبلوا بأجمعكم وادخلوا عليه وأنا في مقامي وكآصف وقولوا له يا نبي الله نحن عباد بني إسرائيل وزهادهم قد أشكل علينا السفر الثاني من الزبور فتقرأه علينا فإن قرأه عليكم فهو وإن لم يقرأه فإنا لله وإنا إليه راجعون. فلما أصبح عليهم قاموا بأجمعهم على الأمر الذي أمرهم به آصف فلما مثلوا بين يديه ورفع رأسه إليهم وقال لهم من أنتم فقالوا نحن عباد بني إسرائيل وزهادهم واعلم يا نبي الله أننا قد أشكل علينا السفر الثاني من الزبور ونحن أتيناك من بلاد شاسع ولا نحب أن يقرأه علينا إلا أنت فنكس الشيطان رأسه ساعة. ثم قال يا آصف اقرأه للقوم وكان آصف بن برخيا قد أعطى نغمة من نغم داوود عليه السلام فقال آصف بسم الله الرحمن الرحيم وبدأ بالقراءة [ص178] من السفر الثاني من الزبور بصوت مليح فطفق الشيطان بين أيديهم وطار في الهوى ونادى برفيع صوته النار النار والله لا أعودكم ملككم فعند ذالك علم الناس أنه غير سليمان.

فضج الناس بالبكاء والعويل فدخلوا بأجمعهم على الجارية البحرية قراطيق وقالوا لها يا مشومة شتت شمل بني إسرائيل وشتت شمل نبي الله فعلمت الجارية من أين أوتي سليمان فعمدت إلى صنمها فكسرته قطعا وألقته على قارعة الطريق فدرست سنابيك الخيل ورمقت السماء بطرفها. وقالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن سليمان رسول الله فيا إلاهي وإله بني إسرائيل إن كنت قبلت إيماني وإسلامي فاجمع بيني وبين سليمان ابن داوود عليهما السلام وقد عوقب به وأخشى أن يتوب إلى ربه فيتقبل توبته ويرد عليه ملكه أبداً ومضى بها إلى البحر الخامس وألقاها فيه. فأوحى الله إلى عطفيائل الملك الموكل بالبحر وقال له يا عطفيائل امر الحوتة التي اسمها ملكية أن تلتقم الخاتم وهي عندها وديعة حتى تردها إلى سليمان بن داوود عليهما السلام. فنادى عطفيائل أيتها الحوت إن العلي الأعلى يامك أن تلتقمي خاتم سليمان ولتكن عندك وديعة حتى ترديها إليه فالتقمت الحوتة الخاتم.

وأقبل سليمان يسيح في الأرض يطلب التوبة من ربه وأقبل آصف بن برخيا يحكم في بني إسرائيل والجن بما أنزل الله في التورية والزبور ومضى سليمان يسيح في الأرض يطلب التوبة من ربه فجعل يطلب الصدقة فلا يتصدق عليه أحد حتى أضره الجوع وبقي جائع الكبد خمسة وعشرين يوماً ما طعم فيها طعاماً. فبينما ذات يوم يسير وإذا هو برغيفة يابسة ملقاة على قارعة الطريق لها أياماً فقال سليمان هذا رزق ساقه الله إلي فأخذ الرغيفة وأتى بها إلى الماء فغمسها فيه ثم لفها في عباءته وقام وصلى ركعتين وتضرع إلى ربه بالبكاء وسأله أن يقبل توبته ويتوب عليه. فلما فرغ من صلاته أقبل على العباءة فاستخرج الرغيفة منها

ليأكله فانقض عليه عقاب فاختطف الرغيفة من يده فناداه سليمان وقال أيها الطائر اردد علي رغيفتي فإني جائع الكبد . فقال له العقاب يا سليمان أما تستحيي من الله تعلى تعصيه وتأكل رزقه أما علمت يأ سليمان أن طائفة من الملائكة لما قال الله عز وجل ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[600] فهم سجود من ذالك اليوم إلى يوم القيامة لا يرفعون رؤوسهم حياء من الله تعلى أما تستحيي من الله تعلى تعصيه وتأكل رزقه .

فمال سليمان عليه السلام يسيح في الأرض يطلب التوبة من ربه حتى تاب عليه بعد المشقة والتوبيخ وهذا كله يدل على المعصية [ص179] فهذا سبب خروجه من ملكه على يد هذه الجارية البحرية . وقد أخبر الله عن نبيه نوح ولوط عليهم السلام ما امتحنا به من أزواجهما حيث يقول ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتا هما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾[601] ولم تكن الخيانة في أنفسهما لأن الله تعلى لم يبتل أبناءه بذالك . إنما كانت امرأة نوح تقول لقومه إذ يدعوهم إلى الإسلام لا تسمعوا منه فإنه مجنون وامرأة لوط تنذر قومها الأذى فالسلامة كل السلامة من يسلم من شرهن وفتنتهن .

قال لها أحسنت يا جارية فما تقولين في السمع قالت له نعم لا تسمع ما لا يحل لك من كلام الفحشاء وغيره ومن كل كلام لا يحل لك باطل مثل الغناء والمزمار والدق فيما لا يحل وغير ذالك من الملاهي كآلات الضرب . وقد سمع بعض العلماء صوت في جوف ليل يقول شعر :

**قد جاءك المذنب يرجوا الذي * يرجوه من يخشى من التعب **

**فاصفح له عن ذنبه منعما * وهب له منك الذي يطلب **

فوقف يبكي والآخر يردد الشعر فلما قرب الصباح قال :

**يا ناصبا مقله في الهوى * إليك من مقلتك المهرب **

قال له العالم يا فاسق إنما كان نظرك لغير الله ومر بعض العلماء بموضع فسمع رجلاً يقول :

---

600 البقرة ٣٠ .

601 التحريم ١٠ .

**بعفوك يستغيث ويستجير * مشوق في الحشى منه زفير **
**رجاك لعفو ذنب قد أتاه * وأنت على الذي يرجوا قدير **

فقال العالم يحق ما ترجوه إلا عدت فقال:
لقد علم الإله بما ألاقي * من الحب الذي ستر الضمير

فقال العالم وا سوءتاه من وقوف لغير الله تعلى ومر عالم برجل وهو يقول:
**أتوب إلى الذي أضحى وأمسى * وقلبي ينتقيه ويرتجيه **
**تشاغل كل مخلوق بخلق * وشغلي في محبته وفيه **

فقال العالم نعمَ للشغل هذا فقال الرجل: عسى قلبي الممكن من فؤادي يرق له لذلة عاشقيه فقال العالم لا تضلنا بعد إذ هديتنا ومرت أمرأة من المتعبدات في بعض الليالي فسمعت رجلاً يقول:
**يا من يرى ما قد تضمن عبده * ويحيط علماً بالذي أضناه **
**ارحم تضرع مسكين ما له * مولى يرق له سوى مولاه **

[ص180] فوقفت تبكي رجاءً أن تنزل عليه الرحمة فترحم معه حتى قال :
إن كنت تهوى أن أموت فإنني * أهوى لنفسي كل ما أهويه

فقالت واخبيث ظنه فاحفظ سمعك كما تحفظ العين من النظر ان الله تعلى يقول ﴿والسمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسؤولا ﴾[602].

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن اليدين قالت له نعم احفظهما من ضرب ما لا يحل لك ضربه كالبهيمة إلا لحاجة ولا تمس بهما ما لا يحل لك ولا تناول بهما من جميع المحرمات شيئاً ولا تؤذ بهما أحداً من الخلق ولا تخن بهما أمانة ولا وديعة ولا تكتب بهما ما لا يجوز النطق به وإن القلم أحدّ اللسانين فاحفظ القلم عن ما يجب حفظ اللسان منه فيجب على الإنسان أن يحفظ يده.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الرجلين ما فيهما من المعاصي قالت له نعم فاحفظهما بأن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك مثل الحرام أوتسعى بهما إلى باب سلطان

---

602 الإسراء ٣٦.

ظالم فإن المشي إلى السلطان من غيره ضرورة وإرهاق معصية فإنه تواضع لهم وإكرام وقد أمر الله تعلى بالإعراض عنهم وهو تكثير لفسادهم وإعانة لهم على ظلمهم وإن كان ذالك السبب طلب مالهم فإنه سعى إلى حرام. وقد قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه هذا في غنى صالح فما ظنك بالغنى الظالم وجميع حركاتك وسكناتك بأعضائك فلا تحرك منها شيئاً في معصية الله تعلى أصلا واستعملها في طاعة الله. واعلم أنك إن قصرت فإليك يعود وباله وإن استثمرت فإليك يعود ثمرته والله تعلى غنى عنك وعن عملك وإنما كل نفس بما كسبت رهينة وإياك أن تقول الله غفور رحيم يغفر ذنوب العصاة. فإنما هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها ملقب بالحماقة بتغليب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

واعلم أن قولك هذا أيضاً قول من يريد أن يصير فقيهاً في العلم والدين واشتغل في البطالة وقال إن الله تعلى كريم رجيم قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه من غير جد وتكرار وتعليق أو كقول من يريد مالاً فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطل وقال الله كريم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يعطيني بعض الكنوز واستغن بها عن كثير الكسب وقد فعل ذالك ببعض عباده. فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استقبحتهما وسخرت بهما وإن كان ما وصفاه في كرم الله تعلى وقدرته صدقا وحقاً [ص181] فذلك الذي يضحك علينا أرباب البصائر في الدين إذا طلبنا المغفرة بغير سعي لها والله تعلى يقول ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾[603] ويقول ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾[604] ويقول ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾[605]. فإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال اعتمادا على كرم الله فكذالك تزود للآخرة ولا تفتر فإن رب الدنيا ورب الآخرة واحد وهو فيهما كريم ليس يزيد له كرم بموتك وإنما كرمه أن يلهمك الطريق بالوصول إلى الملك المقيم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل وهذا نهاية الكرم.

فلا تحدث بشهوات الباطلين واقتداء بأولي العزم من الأنبياء والصالحين ولا تطمع أن تحصد ما لم تزرع وليس من صلى وصام وجاهد واتقى غفر له جميع جمل ما ينبغي أن

603 النجم ٣٩.
604 التحريم ٧.
605 الانفطار ١٣.

تحفظ عنك جوارحك الظاهرة وأعمال هذه الجوارح إنما تنشرح من أعمال القلب فهو التقوى الباطل والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد فاشتغل لإصلاحه لتصلح به جوارحك ولا يصلح القلب بشيء أحسن من حسن الخلق. قال أبو ذر يوماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيني يا رسول الله قال أوصيك بتقوى الله العظيم فإنه رأس مالك قال قلت زدني قال عليك بتلاوة القرءان وذكر الله عز وجل فإنه ذكر لك في السماء ونور في الأرض قال قلت يا رسول الله زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه قال قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالصمت إلا في أمر دينك وما تنتفع به من أمر دنياك قال قلت يا رسول الله زدني قال أحبب المساكين وجالسهم قال قلت يا رسول الله زدني قال قرابتك ولو قطعوك قال قلت يا رسول الله زدني قال قل الحق ولو كان مراً قال قلت يا رسول الله زدني ثم ضرب بيده على صدره وقال لي يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كترك المعاصي ولا حسب كحسن الخلق.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن البطنٍ ما فيها قالت له نعم تحفظها من الحرام والشبهات فلا تأكل ولا تشرب ولا تلبس إلا حلالاً وتطلب الحلال فإذا وجدته فاحرص أن تقصر على ما دون الشبع فإن الشبع يقسي القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويشغل الأعضاء عن العبادة والعلم ويقوي الشهوات ويقوي جنود الشيطان. والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام وطلب الحلال فريضة على كل مسلم والعلم والعبادة مع أكل الحرام كالبناء على السرفين[606] وإذا قنعت في السنة بقميص خشين وفي اليوم برغيف من الخشكلان وترك التلذذ بأطيب الإدام. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه يا بن مسعود من زهد في حطام الدنيا أجاع بطنه وأعرى ظهره وأعطش كبده وأشعث رأسه وأغبر لونه وأذاب لحمه وجسمه بالصوم والصلاة [ص182] والخوف والرهبة وتصديق ذالك من كتاب الله تعلى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[607].

يا بن مسعود إن موسى عليه السلام كانت ترى خضرة البقل في بطنه من هزله يا بن مسعود إن شئت نبأتك بأم نوح عليه السلام عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يبن بناء كلما أصبح قال لا أمسي وكلما أمسى قال لا أصبح كان لباسه الشعر وطعامه الشعير يا بن

606 كذا.

607 الأنبياء ٩٠.

مسعود إن شئت نبأتك بأمر داوود عليه السلام خليفة الله في أرضه كان يجعل طعامه ثلاثة أجزاء جزءاً من شعير وجزءاً من رماد وجزءاً من نخال وكان لباسه الشعر. يابن مسعود إن شئت نبأتك بأمر سليمان لما كان له من الملك والسلطان كان يأكل الشعير ويطعم النساء والجواري البر وكان لباسه الشعر وكان إذا جن عليه اليل شديده إلى عنقه فلا يزال قائما حتى يصبح. يا بن مسعود إن شئت نبأتك بأمر إبراهيم خليل الله كان لباسه الصوف وكان يأكل الشعير يا بن مسعود إن شئت نبأتك بأمر يحيى ابن زكرياء كان لباسه الليف وكان يأكل ورق الشجر يا بن مسعود إن شئت نبأتك بأمر عيسى عليه السلام روح الله كان يقول إدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلي وسراجي القمر وفاكهتي ما أنبتت الأرض وريحانتي الذكر.

وروي أن عيسى عليه السلام أخذه يوماً مطر فأوى إلى شجرة يسكن تحتها عن المطر فزاد المطر حتى وصل إلى مسحة الشعر التي عليه ووصل إلى جسمه فابتل فكانت منه التفاتة. فنظر إلى ثعلب في كهف كلما زاد المطر دخل في الكهف وإذا خف يريد الخروج ويلعب فبكى عيسى ورفع طرفه إلى السماء وقال يا رب جعلت لكل واحد بيتاً إلا عيسى اصطبلاه الشمس وسراجه القمر وتوسده الحجر فنزل جبريل عليه السلام وقال له السلام يقرئك السلام ويقول لك إن شكوت الفقر وأحببت الدنيا فأنا آمر جبال الأرض أن تصير لك ذهباً تنفقها واستعد غدا لحسابي فإني لم أخلق خلقاً أبغض إليّ من الدنيا وإني أكرم أولياء بتركهم الدنيا. يابن مسعود عليك بالزهد فإن ذالك مما يباهي الله به عز وجل الملائكة ويقبل الله به عليك بوجهه ويصلي عليك بالجبار تبارك وتعلى يابن مسعود ليكن جيرانك الأبرار وإخوانك الأتقياء والزهاد لأن الله تعلى يقول ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[608]. يابن مسعود لا تقدم الذنب وتؤخر التوبة واخر الذنب يا بن مسعود لأتركن إلى الدنيا ولا تطمئن إليها فإنك ستفارقها عن قريب يابن مسعود والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرًا إنه من يدع تجارة الدنيا ويقبل على تجارة الآخرة فإن الله تعلى تجربه ويكون له وراء كل شيء ناجزاً فيربح الله تجارته.

يابن مسعود قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فهذه تجارة يابن مسعود لا يكل لسانك من ذكر الله يابن مسعود فكلما اشتهيت بقلبك وأبصرت بعينيك فدعه حتى

608 الزخرف ٦٧.

تناله في الآخرة. [ص183] يا بن مسعود عليك بذكر الله وعمل الآخرة فإن الله تبارك وتعلى يقول ﴿ الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾[609] يابن مسعود احفظ لسانك فإن الله تعلى يقول ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ﴾[610]. يابن مسعود أحبب الصالحين في الله فإن المراجع من أحب فإن لم تقدر فاعمل أعمال الخير يابن مسعود اذكر الميعاد والبعث والنشور فإن الله تعلى يقول ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾[611]. يابن مسعود أصلح سريرتك فإن الله تعلى يقول ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾[612] يابن مسعود احذر يوم الفزع الأكبر ذالك يوم يفزع فيه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ذالك يوم لا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً يوم لا ينفع مال ولا بنون. يا بن مسعود احذر الذنوب كبائرها وصغائرها فإن الحفظة يكتبون عليك يابن مسعود واحذر اليوم الذي تنشر فيه الصحف وتوضع الموازين وتظهر الفضائح يا بن مسعود لا يكن ممن يخوف الناس ونشدد عليهم ويخفف على نفسه يابن مسعود لا تظهر في نفسك الخشوع وأنت فيما بينك وبين الله جريء بالمعصية.

يابن مسعود لا تغتر بصلاتك وصيامك فإن الله تعلى يقول ﴿وجيء بالنبيين والشهداء ﴾[613] يابن مسعود احذر الدنيا ولذاتها وشهواتها وزينتها فإن الله تعلى يقول ﴿ زُيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾[614] إلى قوله ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾[615] وأوجب على الإنسان طلب الحلال. وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام أو تظن انه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمال فأما المعلوم فظاهر وأما المظنون فعلامة فهو مال السلطان وعماله ومال من أكسب له إلا من النياحة وبيع الخمر والزنا والمزامير حتى علمت أن أكثر ماله حراماً قطعاً فلا تأخذه من يده. فأما إن أمكن أن يكون حلالا نادراً فهو حرام لأنه الغالب على الظن ومن الحرام المحض ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف فمن لم يشغل بها فهو على غير الاستقامة.

---

609 الكهف ٤٩.
610 سورة يس ٦٥.
611 البقرة ٢٨١.
612 الطارق ٩.
613 الزمر ٦٩.
614 آل عمران ١٤.
615 آل عمران ١٤.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني عن الفرج ما فيه قالت له نعم احفظه عن كل ما حرم الله تعلى وكن كما قال سبحانه ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾[616] الآية ولا يصل حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكرة وحفظ البطن عن الحرام وعن الشهوات فإن هذه من محركات الشهوات ومغارسها فلأجل ذالك وجب على الإنسان طلب الحلال فالحلال له بركة عظيمة ونور وصفاء القلب وهو أصل من أصول الدين وعماده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل يا معاذ تحشر [ص184] أمتي يوم القيامة على عشرة أصناف بعضهم على صفة القردة وبعضهم على صفة الخنازيوبعضر هم وجوههم فوق رؤوسهم يسحبون على وجوههم في النار عميا وبعضهم ألسنتهم ملوية على صدورهم وبعضهم أيديهم وأرجلهم متكتفين وبعضهم يسحبون في سرابيل القطران وبعضهم مكبوبون على وجوههم في النار وبعضهم في السلاسل والأغلال وبعضهم منتنون وبعضهم مصلبون على جذوع في النار.

قال معاذ بن جبل فقلت له يا رسول الله فما كان عمل هؤلاء في دار الدنيا فقال أما الذين على صفة القردة فهم الذين يأكلون السُحْت وأما الذين على صفة الخنازير فهم أهل البدع الذين يفتخرون بأعمالهم وأما الذين على وجوههم وفوق رؤوسهم يسحبون عميا فهم الذين لا يعدلون في الحكم وأما الذين ألسنتهم مدلية على صدورهم فهم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم وأما المتكتفين أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما الذين يسحبون في سرابيل القطران فهم الذين يجورون ويتكبرون وأما الذين هم مطبوبون على وجوههم في النار فهم أهل الزنا وأما المنتنون فهم الذين يتبعون الشهوات واللذات وأما الذين هم مصلبون على جذوع في النار فهم الذين يسعون إلى السلطان. قال عبد الله ابن سلام رضي الله عنه سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفليقة[617] قال ثياب أهل جهنم في جهنم فلو أن ثوباً من تلك الثياب علق بين السماوات والأرض لاحترقن جميعاً وما بينهما من شدة حرارة تلك الثياب.

فقلت له ومن يلبس من تلك الثياب يا رسول الله قال الذين يدومون على عصيان الله تعلى حتى يموتوا لقوله تعلى ﴿فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق

616 المؤمنون ٥ والمعارج ٢٩.
617 كذا.

رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[618]. فهذا ما تحذر منه الجوارح الظاهرة لأن الجسد خلقه الله تعلى كالمدينة وهذه المدينة تحتاج إلى ساكن فلا فائدة في المدينة إن لم يكن لها ساكن والساكن في هذه المدينة هو الروح بمنزلة الملك ولا بد لهذا الملك أن يكون له وزير وأعوان وقاض وحاكم وبوابون وخزانة. أما الوزير فهو النفس والقاضي والحاكم فهو العقل والأعوان الجوارح والبوابون هم الحواس والخزانة هي القناعة فإذا أمر الملك بالبريح في البلاد بالخير صار القاضي والبوابون والأعوان في الرعية ومن حكم منهم شيء لا يوافق السنة فلا يلومن إلا نفسه.

فإذا كان الملك على هذه الصفة ارتفع الجور والظلم ووقع العدل وأما إذا حكم الوزير على الملك أن ينادي [ص185] المنادي في جميع ما احتوت عليه المدينة أن يطيعوا لهذا الوزير فما فعلته وأمت له مفوض فإذا حكم الروح على النفس والعقل على الجوارح اعتدل الحال على الصالحات. وإذا حكم النفس على الروح فقد حكم الوزير على الملك وصار القاضي والحاكم والأعوان في قبضة النفس والنفس تميل إلى الفساد والجور والظلم والمعصية لأن النفس طبيعتها الأكل والشرب والغضب والبخل والشؤم والحقد واللآمة والجهل والوقاحة والغفلة والنكاح واللباس الحسن والكلل والقنط والرغبة وجميع أفعال المذمومة من النفس والروح وغير ذالك عالم غير جاهل سخى غير بخيل ميع غير عاص لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يغضب ولا يحقد ولا ينكح ولا يلبس وجميع أفعال المحمودات من الروح وجميع أفعال المذمومات من النفس.

وفي الخبر لما خلق الله تعلى الخلق فتواضع له كل شيء بقدرته فلما خلق النفس قال لها الرب جل جلاله من أنا أيتها النفس قالت له يا رب أنت أنت وأنا أنا فأمر الله تعلى أن تجعل في تابوت من حديد وجعل ذالك التابوت في قعر جهنم فبقيت فيه عشرة آلاف سنة. ثم أخرجها فقال لها أيتها النفس من أنا قالت له يا رب أنت أنت وأنا أنا فسلط لله عليها الجوع سبعة أيام ثم قال لها أيتها النفس من أنا فقالت له يا رب أنت الله لا إله إلا أنت سبحانك لا شريك لك. فمن أراد أن يقتل نفسه فليسلط عليها الجوع لقوله تعلى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾[619] فإن الجنة هي المأوى والمأمورات والمنهيات كثيرة فمن

618 الحج ١٩–٢٢.

619 النازعات ٤٠.

وقعت منه معصية إما أنه ترك شيئاً مما أمره الله به أو فعل شيئاً مما نهاه الله عنه فواجب عليه أن يتوب في الفور ولا يؤخر التوبة وتأخير التوبة معصية والتوبة هي الإقلاع عن المعاصي والندم على ما فات والنية أن لا يعود إلى الذنب ويردّ المظالم والحقوق إلى أهلها ويطلب منهم التحليل فيما لا يقدر عليه من المال والعرض لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يخرج أحدكم من ماله كما تخرج الحية من سلخها فهو مكاتب ويقضي ما في ذمته من حقوق الله تعلى من الصلاة والصيام والزكات وكفارة الإيمان وغير ذالك.

وسئل عن وجه إخلاصه في جميع أموره حتى يكون على الاستقامة سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن المذنب كيف يتوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة الاثنين ويغتسل بعد أن يصلي الوتر ويصلي اثنى عشر ركعة بفاتحة الكتاب و﴿ قل يا يها الكافرون ﴾[620] و﴿ قل هو الله أحد ﴾[621] عشر مرات ويسلم من كل ركعتين ويركع ويسجد ويقرأ في سجوده آية الكرسي مرة. فإذا فرغ فليستغفر ربه سبعين مرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم [ص186] سبعين مرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبعين مرة ويصفح يديه على وجهه ويصبح صائماً ويصلي عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة بأم القرءان وسورة سبأ[622] ويسلم. ويقول اللهم تقبل توبتي كما تقبلتها من عبدك داوود عليه السلام اللهم اعصمني حتى لا أعصيك اللهم أصلحني كما صلحت أولياءك الصالحين اللهم احشرني مع نبي محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اعصمني من الشيطان والذنوب إلى يوم القيامة ويستغفر الله عما سلف.

فمن فعل ذالك استجاب دعاؤه وقضيت حوائجه ولا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له كما غفر لداوود عليه السلام خطيئته ويبعث الله في ذالك اليوم ثمانين ملكاً يحفظونه من إبليس وجنوده إلى يوم القيامة وحرم الله جسده على النار وأوجب الله له الجنة وأوجب الله له الإيمان والله راض عنه. فإذا مات قبض ملك الموت روحه وهو ريان شبعان ويخفف عنه سكرات الموت ويغسله جبريل مع سبعين ألف ملك ويصلون على جنازته ويدفنونه ويوكل الله على قبره ثمانين ألف ملك يستغفرون له ويكتبون له الحسنات إلى يوم القيامة ولا يخرج من الدنيا حتى يرى ما أعد الله له من الخير ويفتح الله له سبعين باباً من الرحمة

620 الكافرون ١.

621 الإخلاص ١.

622 «شاء» في المخطوط.

ويصبح ويمسي في رضى الله تعلى ويكتب الله له بكل ركعة صلاها وعبادة سنة. ولا يحل لأحد أن يعمل عملاً حتى يعلم الشرع فيه ولا يعذر بالجهل قال الله تعلى ﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[623] وأهل الذكر هم أهل العلم ويستعين الإنسان على طاعة الله والرجوع إليه وطرد الشيطان عنه ودواعي النفس بالتفكر وذكر الموت فإن الإنسان إذا تفكر في الدنيا علم أنها حقيرة خسيسة وتفكر في الآخرة وعرف قدرها واحتقر الدنيا وزهد فيها واستطعم الآخرة ورغب فيها.

وإنما هاذا لمن قوى إيمانه ويقينه بمعرفة الله تعلى ويستعين على ذالك بالنظر والتفكر في مخلوقات الله تعلى فينظر العاقل في السماء والأرض وما بينهما من صفة القمر والنجوم والشمس تعاقب اليل والنهار والسحاب والرعد والبرق والمطر واختلاف أجناس المخلوقات من حيوانات واختلاف ألوانها وأصنافها وأصواتها والنبات والأزهار والأشجار والثمار واختلاف ألوانها وأطعمتها وروائحهما وفي الإنسان وانتصاف قامته وحسن خلقته واعتدال أعضائه وترتيبهما على وفق حاجته وحصول النفع بها فيتأمل في اليد وأصابعها وما يتحصل بها من النفع ويدفع بها من الضر وكذالك العين والأشفار والأذن والفم والأضراس والشفتان والقدمان وجميع الأعضاء والمفاصيل وعجائب صنع الله تعلى وحكمته في مخلوقاته لا تحيط بها العقول فسماه الله العظيم ما أعظم شأنه وما أتقن صنعه. وإنما يعرف عظمة الله تعلى أهل العقول الكاملة ويتفكر الإنسان في أمور الآخرة وأهوالها [ص187] وشدائدها وحجمها ويتفكر في الموت وسكراته وسؤال الملكين في القبر والحشر والصراة والميزان وأخذ الصحف فيرى الإنسان فيها سيئاته وحسناته والحوض وغير ذالك من أهوال القيامة وانصراف أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار نجانا الله منها برحمته.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وقال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا فإذا تفكر الإنسان فيما ذكرناه حصلت عظمة الله تعلى في قلبه فيخافه ويهابه ويستحيي أن يراه على معصيته ويحقر كل ما ليس فيه رضاء الله تعلى فيزهد فيه ويعظم في قلبه كل ما فيه رضاء الله تعلى فيرغب فيه. ولاكن هذا الإنسان كما وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال أعجب ما في هذا الإنسان قلبه وله فؤاد من الحكمة وأضداد من غيرها فإن سنح له الرجاء أذله الطمع وإن صادقه الطمع

---

623 النحل ٤٣.

أهلكه الحرص وإن ملكه الإياس قتله الأسف وإن عرض عليه الغضب أشربه الغيظ وإن سعد بالرضا نسي التحفظ وإن ناله الخوف شغله الحذر وإن اتسع له الإيمان استلبته العزة وإن استفاد مالاً أطاقه وإن عارضته فاقة أفضحه الجزع وإن أجهده الجوع قعد به الضعف وإن فرط في الشبع كظمته البطنة فكل تقصير به مضى وكل إفراط له مفسد فالدنيا حقيرة مضرة مهلكة لمن اشتغل بها ونسي الآخرة وإنما هي طريق للآخرة.

قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. وقال بعض الحكماء الدنيا جيفة فمن أراد أن ينال منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب وقال بعض الحكماء أيها الناس إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء ولا بقاء لما كتب الله عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة وأقصر وأطول الأمل بقصر الأجل. وقال بعض الخطباء إن الله عز وجل أمرنا بطلب الآخرة وتكفل لنا بطلب الدنيا فيا ليتنا قد تكفل لنا بطلب الآخرة وتكفل لنا بطلب الدنيا. قال ابن عمر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطبة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فكان مما ضبطت منها أيها الناس إن أفضل الناس من تواضع عن رفعة وزهد عن غنية وأنصف عن قوة وحلم عن قدرة ألا وإن أفضل الناس عبد أخذ من الدنيا الكفاف وصاحب فيها العفاف وتزود للرحيل وتأهب للمسير ألا وإن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه وعرف عدوه فعصاه وعرف دار إقامته فأصلحها وعرف سرعة رحلته فتزود لها ألا وإن خير الزاد التقوى وخير العمل ما تقدمته النية وأعلى [ص188] الناس منزلة عند الله أخوفهم منه.

قال لها أحسنت يا جارية فأخبريني كيف خلق الله آدم عليه السلام قالت له نعم خلق الله وجه آدم ورأسه من تراب الكعبة وخلق يده اليمنى من بيت المقدس ويده اليسرى من أرض المغرب وخلق ساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز وخلق قلبه من أرض الشام والجبال وخلق كبده من أرض الوطا[624] وخلق طيحاله من أرض الجزيرة. فلما خلقه الله تعلى وأحدث صورته كان طوله خمس مائة ذراع فجعل المالح في عينه لاكن لا تذوب شحمة العين ولا تتغير وجعل الماء المر في أذنيه لئلا يدخلهما الدود وجعل الماء العذب في فيه لكي يجد طعم الطعام ولذته إذا أكل وشرب وجعل الماء المنتن في صلبه فمنه

624 كذا.

يغتسل من الجنابة وجعل عقله في دماغه وسروره في كليتيه وجعل غضبه في كبده وحرصه في قلبه ورغبته في ريته وضحكه في طيحاله وفرحه وحزنه في وجهه.

وجعل له عشرة أصابع في يديه وعشرة أصابع في رجليه وجعل سمعه وبصره في رأسه وهو نور مستقر في أذن القلب ثم يتفرق على قسمين القسم الأول في بصره والثاني في سمعه من أذن القلب يسمع ويبصر وجعل القلب باباً وهو الفهم وجعل في الباب حاجباً وهو اللسان. والقلب في الجسد بمنزلة الملك واللسان في الفم بمنزلة الحاجب والعقل في الرأس بمنزلة الوزير من المالك ثم جعل ذالك الباب غداة وعشاه ثم جعل له بابين اثنين يخرج منهما بوله وغائطه وجعل له حنكاً في حلقه يجد منه لذة طعامه وشرابه وجعل له منخراً يدخل منه نفسه ويخرج ويجد منه كل شيء يشمه. ثم جعل له ثلاث مائة وستين فصلاً وعرقاً تجري في جسمه فيها مستقر دمه فلما خلقه الله على هذه الصفة خلق الأشياء كلها عشرة فخلق الكيد عشرة فجعل في النساء تسعة وفي الرجال واحدة. قال الشاعر:

**في كيد النساء عظيم * لا شيء أعظم منه **

والقول ما أخبر الله عنه ﴿إنه من كيدكن إنّ كيدكن عظيم﴾[625] وقد أضعف الله كيد الشيطان على كيدهن فقال إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال في كيد النساء ﴿إنه من كيدكن إنّ كيدكن عظيم﴾[626]. يكفيك من الكيد ما فعلت زليخة مع يوسف عليه السلام وذالك أن يوسف عليه السلام لما اشتريه لم ينزله منزلة العبد بل قال لامرأته أكرمي مثويه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وذالك أن العزيز ساق يويف لأهله وهو يومئذ ابن سبع سنين قاله ابن عباس وقال الحسن ألقى يوسف في الجب وهو ابن عشرين سنة وجمع شمله بأبيه وهو ابن ثمانين سنة وعاش بعد ذالك ثلاثاً وعشرين سنة وقال مجاهد أن يوسف خرج من عمد أبيه وهو ابن ستة سنين وجمع الله شمله بأبيه وهو ابن أربعين سنة فكانت زليخة تخدمه بنفسها وتمشط شعره بيديها قال الله تعلى ولما [ص189] بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً.

قال ابن عباس أشُدَّه ثمانية عشر سنة والأشُدّ أربعين سنة وقال وهب بن منبه مكث يوسف في دار العزيز ثلاث سنين وحينئذ بلغ الحلم ولا زالت زليخة في كل ذالك تحسن إلى يوسف وتتولى أمره حتى مال قلبها إليه وتكاثر وجدها عليه وهو مع ذالك لا يلتفت إليها

---

625 يوسف ٢٨.

626 يوسف ٢٨.

بعينه ولا ينظر نحوها حتى كثر همها ورق عظمها وكابدها الشحزة وأصابها التحول. فلما عيل صبرها وضاق صدرها فدخلت عليها حاضنتها فقالت يا سيدتي أرى غصنك ذاهلا وجسمك ناحلاً وعقلك ذاهلاً قالت لها وكيف لا يكون ذالك وأنا أخدم هذا الغلام العبراني سبع سنين ألاطفه بلساني وأتحبب إليه بإحساني فكلما زدت إليه ميلاً زاد عني إعراضاً وكلما قربته مني زاد مني بعداً. قالت لها الحاضنة يا سيدتي لو نظر إليك لكان أسرع منك إليه ولو نظر إلى حسنك وجمالك وصفاء لونك لما قرّ به قرار دونك. قالت لها فكيف لي به قالت لها أمكنيني من الأموال قالت لها خزائني بيدك خذي منها ما شئت لا حساب عليك في ذالك فتمكنت من الأموال ودعت أهل البناء والهندسة وقالت لهم إني أريد أن تبنوا لي بيتاً ترى الوجوه في سقفه وحيطانه كما ترى في المرآت المصقولة.

قالوا لها نعم فبنوا لها بيتاً فسمته الغيطون فلما تم بنيانه وتكامل إتقانه دعت بمصور فصور فيه صورة يوسف وزليخة متعانقين ولم يدع من صورتهما شيئاً إلا صوره وأمرت بسرير من ذهب مرصع بالدرّ والياقوت فنصب في وسط البيت وأرخت الستور وألبست زليخة من الحلا غير قليل وحلتها وطيبتها وعطرتها وزينتها وأجلستها وخرجت الحاضنة إلى يوسف وهي مستعجلة. وقالت يا يوسف أجب سيدتك زليخة فإنها تدعوك في بيتها الغيطون وكان يوسف سامعاً لها مطيعا أو كان بيده قضيب من الذهب فرمى القضيب من يده وأسرع لباب البيت فنادته مستعجلة بالدخول فلما وضع قدمه الواحد في باب البيت أحس قلبه بالشر فأراد الرجوع فسرعت إليه وجذبته إلى السرير وقالت له هيأت لك فغمض عينيه وكف يده ودلى رأسه ونكس عنقه حياء من الله تعالى.

قالت له يا يوسف ما أحسن وجهك قال لها الله صوره والله يصور كيف يشاء قالت له ما حسن عينيك قال لها هما أول ما يسقط مني في قبري قالت له ما أحسن شعرك قال لها هو أول ما يبلى ويتناثر مني. قالت له ما أطيب رائحتك قال لها لو شممت رائحتي بعد ثلاثة أيام في قبري لفررت مني قالت يوسف أنا أتقرب إليك وأنت تباعدني قال لها أرجوا بذالك القرب من الله تعلى قالت له انظر إليّ نظرة واحدة قال أخشى العمى في آخرتي قالت له أضع يدك على فؤادي قال لها إذا تغلى في النار قالت له اشتريتك بمالي وتخالف أمري قال لها الذنب لإخواني إذ باعوني حتى ملكتني قالت له اصبر معي في البيت ساعة واحدة قال ليس [ص190] فيها شيء يسترني من ربي. قالت له يا يوسف بأي وجه تخالفني وبأيّ وجه

ترجع عني قال له بحكم الاهي الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وإكراما لسيدي الذي أكرم مثواي وأنزلني منزلة الأولاد قالت له أما إلاهك الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه فأنا أفتح بيوت الأموال وأصدق بها عليك وأهديها إليه حتى يرضى عنك ويغفر لك ولا أبالي إذا ما فعل بي في حق مرادي وقضاء إربي وأما سيدك الذي أكرم مثواك فأنا أطعمه الهم حتى يتمزق لحمه ويسقط عظمه ويموت جهداً وكمداً وأكون أنا وما ملكت يميني ومالي ملكك وطوع يمينك.

قال إذا ما يكون عذري يوم القيامة بين يدي ربي فقام وبادر إلى الباب من غير أن يكون بينها وبينه سبب من الأسباب وقد شهد له الحق بذالك في محكم الكتاب فقال كذالك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين السوء السبب المؤدي إلى الفحشاء المؤدي إلى سخط الله تعلى ولا يجوز ذالك على نبي من الأنبياء وحسن الظن بالصالحين أمر مندوب إليه وسنن معمول إليه. فكيف نبي الله بن نبي الله بن ذبيح الله ابن خليل الله وقد أجمع العلماء قاطبة على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر واختلف في الصغائر وليس الأمر كما يقوله القصاص والمخالفون والكذابون والمتزندقون إنه حل العقد وهم بما همت به حتى صرفه الله عنه بالبرهان. قال بعض أهل العلم الهم همان هم فكرة وهي مغفورة وهم إرادة وهي غير مغفورة فهمّ الفكرة ليوسف وهم الإرادة لزليخة. قال الحسن في الكلام تقديم وتأخير وتقديره ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها.

قال ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين. قال أبو هريرة رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا سألناك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله بن صفي الله ابن ذبيح الله بن خليل الله. واختلف الناس في البرهان فقال قوم البرهان عصمة الله له من الفحشاء وصرف السوء عنه فلولا أنه عصمه لم يكن معصوماً ولولا أنه رحمه لم يكن مرحوماً وقيل البرهان كف من غير ذراع فيه مكتوب ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه. وقيل البرهان فرج له الحائط فرأى صورة يعقوب عليه السلام عاضاً على إبهامه يقول يوسف يوسف وقيل البرهان هاتف هتف به يقول لا تعمل عمل السفهاء واسمك في ديوان الأنبياء وقيل البرهان صنم كان لزليخة في وسط البيت فأخذت الستر ورمته عليه فغطته به فسألها يوسف عن سبب ذالك.

فقالت له استحيي منه أن يراني على هذه الصفة فقال لها يوسف عليه السلام أنت تستحيي من جماد لا يملك لك ولا لنفسه ضر أو لا نفعا وكيف لا أستحيي من ربي يراني ويرى مكاني وهو مطلع علي. فبادر إلى الباب هارباً فلما رأته يريد الباب جذبت قميصه من خلقه فتمزق [ص191] القميص وهو قوله تعلى ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب﴾[627]. وافق ذالك الوقت أن العزيز مر بالباب في بعض حوائجه فإذا الوجبة فالتفت فإذا الباب يحل ويساق فدفع الباب أمامه فخرج إليه يوسف مقدود الثوب باكي العينين وإذا زليخة ناشرة الشعر محمرة الوجه باكية العينين. فقال لهما العزيز فيم أنتما فقالت له زليخة يا سيدي غلامك العبراني اشتريته بمالك وائتمنته على أهلك وأمننت عليه بفضلك وأحللته محل ولدك مر به بأهلك سوء فأقبل العزيز على يوسف وقال يا يوسف هذا جزاء منك اشتريتك بحل مالي وائتمنتك على أهلي فقال له يوسف معاذ الله أن أخونك في أهلك أو أرضى بذالك بل هي راودتني عن نفسي وإلهي الإشارة بقوله تعلى ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾[628] الآية. قال هي راودتني عن نفسي فوقف العزيز متحيراً ينظر إلى زليخة مرة وإلى يوسف مرة فقال يوسف أيها العزيز إن شاهداً يبريني فقال له من الشاهد وليس معكما في البيت ثالث إلا هذا الطفل وكان في البيت مهد معلق في الركن فيه صبي صغير لبعض قرابة زليخة لأنها كانت لا ولد لها وكانت تحب الأولاد يساقون إليها على وجه الاستيناس بهم.

فرفع يوسف طرفه إلى السماء وقال إلاهي وسيدي ومولاي ترى مكاني ولا يخفى عليك حالي وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اهبط إلى الطفل وشق لسانه حتى يبلغ ما أمر به فنادى الطفل من المهد أيها العزيز إن لك عندي مما أنت فيه فرج فلما سمع العزيز كلام الصبي زال عنه كل ما كان به وأقبل على الطفل متعجباً منه. فقال له الطفل انظر إلى قميص يوسف فإن كان قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين وختم الله على لسانه إلى وقت كلامه. وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد إلا سبعة أولاد عيسى ابن مريم وصاحب جريح وكان جريح رجلاً عابداً فاتخذ صومعة كان يعبد فيها فجاءته أم له وهو يصلي فقالت يا جريح فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على

627 يوسف ٢٥.
628 يوسف ٢٥.

صلاته وانصرفت عنه فلما كان من الغد أقبلت وهو يصلي فقالت يا جريح فقال يا رب أمي وصلاتي فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل أن جريحاً عابداً زاهداً.

فقالت لهم امرأة باغية وقالت إن شئتم لأفتننه لكم فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فواقعها فحملت منه فلما ولدت قالت لهم ابن جريح فأتوه وأنزلوه من الصومعة وهدموا صومعته [ص192] وجعلوا يضربونه. فقال لهم مالكم فقالو له زنيت وهذا ولدك فقال لهم أين الصبي فجاؤوا به فقال دعوني حتى أصلي ركعتين فصلى ثم أتى الصبي فطعن في بطنه وقال له يا غلام من أبوك فقال فلان الراعي فأقبلوا على جريح يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنوا صومعتك من ذهب قال لهم لا بل ابنوها كما كانت من الطين ففعلوا ما أمرهم به. فهذه مسئلة شاهد جريح الثالث وبينما صبي عند أمه وهو يرضع إذ مرّ بهم رجل راكب على دابة فارهة وله بشارة حسنة فقالت اللهم اجعل ولدي مثل هذا الرجل فترك الثدي وجعل ينظر إلى الرجل وقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه وأقبل يرضع. قال ومرت أمه بجارية وإذا الناس يضربونها ويقولون زنت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ولدي مثلها فترك الرضاع ونظر إليها وقال اللهم اجعلني مثلها. فقالت أمه مر بنا رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ولدي مثل هذا فقلت اللهم[629] لا تجعلني مثله ومررنا بهذه المرأة والناس يضربونها فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال لأمه إن الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه المرأة يقال أنها زنت وسرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها.

الرابع صاحب الأخدود بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم رفع رأسه إلى السماء ثم أرسل عينه بالبكاء وقال الناس ماذا أنزل ثم تلى ﴿والسماء ذات البروج﴾[630] حتى بلغ قوله تعلى ﴿قُتل أصحاب الاخدود النار ذات الوَقود﴾[631]. ثم قال أخبرني جبريل عليه السلام أن ملكاً جبارا كان صاحب سحارة ونجامين وكهنة وكان له شيخ ساحر كاهن يصد الملك عن آرائه فلما كبر الشيخ قال للملك أيها الملك قد كبر سني ورق عظمي

629 وردت الجملة التي بين «اللهم» و«فقلت اللهم» في الهامش.
630 البروج ١.
631 البروج ٤–٥.

وأريد أن ترى لي غلاماً أديباً أعلمه هذا العلم عوضاً مني وخلفا مني . فأرسل له الملك غلاماً كان عنده فصار الغلام يختلف إلى الكاهن فمر ذات يوم بموضع فسمع فيه بكاء من تحت الأرض فنظر وإذا هو سرب فدخل فوجد رجلاً عليه ثوباً من شعر فقال له الراهب من أدخلك علي فأخبره برغبته في الخير فأقام معه يومه ذالك إلى اليل.

فلما أراد الانصراف قال له الراهب أعطني موثقاً لا تخبر أحدا بي ولا تدل علي أحداً ولو قتلت أو حرقت بالنار فأعطاه موثقاً ثم انصرف الغلام إلى الملك فسأله عن حاله وعن غيبته فكره أن يخبر بصاحبه وكره أن يكذب فضربوه حتى أوجعوه ثم وجهه إلى الكاهن فدخل على الراهب وأخبره بخبره وساله عن ما لقي . فقال له الراهب إذا سرت إلى الساحر فقل له كنت عند أهلي وإذا سرت إلى أهلك فقل لهم كنت عند الساحر. فمكث كذالك زماناً حتى أستوفى من [ص193] الراهب وفاق عليه فمر الغلام يوماً ببعض وزراء الملك وكان قد عمى فقال له الغلام إن رد الله عليك بصرك تؤمن بي قال نعم فمر يده على عينيه فعادت كما كانت فآمن الوزير بالله ثم دخل على الملك فقال له الملك من أباك قال له مولاي قال له من مولاك قال مولاي الغلام قال انا مولاه قال له الوزير الله مولاه فاغتاظ الجبار لذالك وعرض عليه أن يرجع لدينه فأبى فقال من أدلك على هذا قال له الغلام يقول له الحق الله تعلى الذي أبرأه وهو على كل شيء قدير فأمر بصلبه فطعنوه بالرماح فلم تعد عليه وأم به أن يحرق على خشبة فلم يحترق فأمر الرمات يرمونه بالسهام فلم تصل إليه .

فمكث كذالك سبعة أيام فقال له الغلام أيها الملك إنك لا تقدر أن تقتلني حتى تأخذ سهماً من كنانتك ثم تقول اللهم رب هذا الغلام اقتله ثم أخذ الملك والناس ينظرون إليه ثم قال اللهم رب هذا الغلام اقتله ثم قرب بالسهم نحره فنحره وسال دمه ومات . فقال الناس آمنا برب هذا الغلام فتكبر الجبار الطاغي وخد في الأرض أخدوداً وأضرم النار فيها فدعى بالناس فكل من آمن بالله أحرقه في تلك الأخدود ومن رجع عن دينه تركه . فجيء بامرأة ومعها صبي صغير رضيع فعرض عليها الكفر فأبت فأمر بها إلى الأخدود فلما نظرت إلى النار أشفقت على الصبي وهمت أن ترجع فأنطق الله الصبي وقال لأمه يا أماه لا تكفري بعد إيمانك فإن الله تعلى يجعلها عليك برداً وسلاماً فرمت بنفسها مع ولدها في النار . الخامس صبي ماشطة ابنة فرعون قال ابن عباس رضي الله عنهما كان لفرعون خازناً من بني إسرائيل يسمى حزقيل وكان مؤمناً بالله عز وجل يكتم إيمانه سنة وكان لقي ما لقي من أصحاب يوسف وكانت

امرأة ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأسها إذا سقطت من يدها فقالت تعسر من كفر بالله والويل ثم الويل لمن يعبد شيئاً من دُوَني فنزعت بنت فرعون يدها من رأسها.

وقالت لها تشتمين أبي وتزعمين أن معه إلاها غيره وتكفرين به فأخذت المشطة من يدها وضربت بها وجهها وركضت فيها برجلها فسال الدم على وجهها فقام بعض خدام ابنت فعون فقالوا لها ما أجراك على ما قلت قالت نسيت وذهب عقلي وذهبت الفكرة من قلبي فقال لها الخديم أنكري أمرك ولا تنطقي به عند الملك فقالت لهم لست أفعل ذالك قط إنما كنت نكتم إيماني حين لم يعلم أحد واليوم الذي ظهر علي ذالك لا نكتمه أبداً قطلبوها أن تنكر لهم ذالك. فقالت لهم لا تفعلي فعند ذالك مضت بنت فرعون إلى أبيها وقد انصلع نصف رأسها والنصف الآخر باقياً ودخلت على أبيها وقد امتلأت بالغضب وقد بلغ الغضب منها مبلغاً [ص194] عظيماً. فقال لها فرعون ما بالك قالت له امرأة حزقيل خليفة أمرك شتمتك وزعمت أن معك إلاهاً دونك وقالت الويل لفرعون وجنوده ثم الويل ولم تدع شيئاً إلا قالته وإني لا أدري ما أصنع بها إلا أني ضربت وجهها بالمشطة حتى تشبك أسنان المشطة في وجهها وقد أفسدت وجهها ورفعتها الخدام حتى تفعل فيها بأمرك.

فغضب فرعون وقال أسرعوا بها علي فأحضرت بين يديه فقال لها من ربك قالت له رب العالمين إله موسى وهارون وإله إسحاق ويعقوب. فقال فرعون خذوها إليكم وخذوها بأمشاط الحديد وجعلوا يقطعون في جسدها بالأمشاط حتى صارت مخضبة في الدماء من قدمها إلى فرقها فقال لها يا حمقاء هل وجدت لعذابنا من ينقذك منه فقالت له يا ملعون أما عذابي فقد جعل الله سببه على يدك والأمر أمره ولو شاء لأنقذني من يدك وانه سيلعنك غداً. فلما سمع فرعون لعنه الله بذالك قال لهم ايتوني بأربعة أوتاد من حديد فأتوا إليه بما أمرهم به وأمر بها فأخرجت إلى الناس لينظروا عذابها وما يفعل بها فأخذوها وضربوا رجليها ويديها بأربعة أوتاد من الحديد وأقبلوا على وجهها. وأمر بلوح من رخام كان يسد به باباً لم يرفعه إلا أربعين رجلاً وأمر بها فجعلت تحت الرخامة ولم تحسس بها ولم ترجع من دينها. دعا بولد كان لها صغيراً يرضع فقال لها فرعون لعنه الله وإن لم ترجعي عن دينك وتعبديني لذبحت ولدك ونقتلك فلما نظرت إلى الصبي الصغير الذي كان في المهد أدركتها الرحمة والرأفة فبكت تحت الرخامة بكاء شديداً.

فخاف الصبي أن تدركها فتنة في دينها فناداها الصبي بقدرة الله تعلى وكان لم يوفِ

سبعة أيام يا أمي لا ترجعي عن دينك ولا تحملك الرأفة والرحمة علي لأنك تركت دين الباطل ورجعت إلى دين الحق فلا تخافي ولا تحزني وارفعي رأسك وانظري ما قسم الله لك. فلاحت بصرها إلى السماء من تحت العذاب وإذا أبواب السماء مفتوحة وإذا الجنة قد زخرفت والملائكة قد هبطت بالهدايا من الجنة ملأت الملائكة ما بين السماء والأرض وهم ينتظرون قبض روحها ثم إن فرعون لعنه الله ذبح الولد وأمه رحمة الله عليهما. والسادس مبارك اليمامة قال أنس ابن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت عليه امرأة بيدها صبي رضيع وكانت من أهل اليمامة فجعل الصبي ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه النبي وقال له يا غلام من أنا فقال الصبي بلسان فصيح أنت رسول الله خاتم النبيين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أحسنت يا صبي بارك الله فيك وأمسك لسانك إلى وقت كلامك قال أنس فكان الصبي بعد ذالك لا يدخل بيتاً إلا وظهرت بركته على ذالك الموضع حتى سمي مبارك اليمامة.

والسابع شاهد يوسف عليه السلام حين شهد العزيز ودله على تمزيق القميص قد من دبر قال ﴿ إنه من كيدكن إنّ كيدكن عظيم ﴾[632] ثم أقبل على يوسف وقال له يوسف أعرض عن هذا أي اكتمه [ص195] وأقبل على زليخة وقال لها واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين فقالت له زليخة يوسف أفضحتني لأسلمنك للمعذبين يعذبونك حتى ينسل جسمك كما أسللت جسمي. فقال لها يوسف إن كنت احترقتيني لعُزبتي فالله حسبي ونعم الوكيل فاشتغلت عن ذالك بكلفتها به وشاع الخبر بمصران امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً ﴿ إنّا لنراها في ضلال مبين ﴾[633]. وكان الحسن يقول لو شغفها لماتت لأن الشغاف الحجاب وهو سداد القلب فلو وصل الحب شغافها لماتت لأن الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد. وقال بعض أهل العلم قد شغفها حباً والشغاف الجلدة التي على القلب يقال لها شغاف القلب ومعناه هلكت عليه حباً.

ويقال إن المحبة على ضربين محبة تزيد القلوب وتنقص بالبين وصاحبها يملك أمره ويكتم سره ومحبة ترقت حجاب الشغاف واستوت على عرش القلب وسارت في هدرة سوياء في العين تدمع والقلب يخشع واليد تمزق والقدم يسطح واللسان يفرح. فقتل

632 يوسف ٢٨.
633 الأعراف ٦٠.

بسيف العبرة فاجتمعن نساء مصر في مجلس فتذاكرن أمرها وأشعن خبرها وقلن ما أخبر الله به عنهن ﴿إنا لنراها في ضلل مبين﴾[634] أي في تيه وحيرة فبلغ ذالك زليخة فعظم عليها وأرادت أن تبين عذرها إليهن فصنعت صنيعاً وأرسلت إليهن رسولاً يدعوهن إلى ضيافتها وهيأت لهن مجلساً قيل إنهن عشر نسوة ذات أزواج على هيئة الملوك وعشر عذارا من بنات الملوك وجعلت بين يدي كل واحدة منهن صفحة من عسل أو براجت وسكيناً حاداً وقيل دعت أربعين امرأة من بنات الملوك وهو قوله تعلى ﴿فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن﴾[635] . قال ابن عباس متكئاً هو الأترج وقال بعض العلماء أي طعام وشراب وقال بعضهم متكئاً أي أي اتكأ عليه وقال بعضهم متكئاً أي التمارق وقال بعضهم المتكأ كل شيء يقطع بالسكين مثل الموز وغيره.

وقال بعض أهل العلم أتت كل واحدة منهن سكيناً وأترجة وجعلت بين أيديهن عسلاً فكن يقطعن الاترج بأيديهن ويأكلن العسل بأيديهن فقالت لهن زليخة ما حقي عليكن قلن لها أنت يا سيدتنا ومليكتنا وكبيرتنا والطاعة تسمع لك وتطبع. قالت لهن بحقي عليكن إذا خرج إليكن فتاي يوسف ألا قطعتن لهما في أيديكن وأعطيتموه يأكل فقلن حباً وكرامة فأقبلت على يوسف وقالت له أطعني اليوم واعصيني أبداً. فقال لها أطيعك في جميع ما لا يكون فيه سخط الله ربي قالت دعني حتى أزينك وإن كنت مزيناً قال لها اصنعي ما بدا لك فرصّعت رأسه بالياقوت وكللته حينئذ بالدرّ وألبسته قباء خضراً ومنطقته بمنطقة من ذهب أحمر ووضعت على عاتقه منديلاً من حرير وكأس من ذهب في يده. وقالت اخرج عليهن فلو رأين [ص196] منك ما رأيت لذهبن عن أنفسهن ولتركن الطعام والشراب ولمن أنفسهن كما لمنني.

فخرج عليهن وهن قعود يقطعن الأترج فلما رأينه ظنن أنه صنم زليخة التي تعبده وكن يسمعن به ويتمنين النظر إليه فلما بدا لهن يوسف أكبرنه أي جللنه وصرن شبه السكارى لكثرة التعجب منه والإمعان في النظر وهممن أن يقطعن له الأترج وقطعن أيديهن وجعلت الدماء تسيل في أحجارهن وهن لا يجدن ألم القطع ولا حدة السكاكين ولا وقوع الدم على الأجساد ويوسف يقول ويحكن ماذا تصنعن بأنفسكن. فلما غاب عن أعينهن رجعن

634 الأعراف ٦٠. «نريها في ضلل» في الأصل.
635 يوسف ٣١.

إلى عقولهن فقالت لهن زليخة ويحكن أنتن من لحظة واحدة فعلتن بأنفسكن هذا كله وأنا لي سبع سنين أقاسي منه ما أقاسي وأخدمه على أطراف البنان وهو لا يريني طرفه ولا يلتفت نحوي. فقلن لها حاشى الله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم من الملائكة المقربن مرّ بنا فقالت ما هذا الذي فعلتن بأنفسكن فلما رأين ما نزل بهن أدركهن الحياء والخدل وذكرت ما لُمنها فيه وهو قوله تعلى ﴿قالت فذالكُنّ الذي لُمتنّني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ وليكونا من الصاغرين﴾[636].

قيل أقرت بأمها حين رأت ما رأت من عذالها وقلن لها إنك معذورة فأمرينا حتى نكلمه في أمرك ونوبخه في إعراضه عنك. فأذنت لهن الخلوة طمعاً في أن يلمنه إلها فجعلت كل واحدة منهن إذا دخلت عليه دعته إلى نفسها وشكت إليه بوجدها فقال يا رب كانت واحدة وقد صرن جماعة السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أحب إليهن وأكن من الجاهلين ربي السجن نعمة والله عليه إذ هو سبب البعد منهن. فاختار السجن على صحبتهن واستغاث به في ضرهن عنه وبعدهن منه. قال الله تعلى ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾[637] فابتلى بالسجن على امرأة العزيز بعدها عليه حتى ما تركت من كيدها شيئاً فعصمه الله من الفاحشة. وقد ورد في حديث الكيد أغرب من كل حديث حديث عيسى عليه السلام والملك والقاضي والجارية وابن عمها وكيف أحياها عيسى عليه السلام بعد موتها بأربعين سنة وكيف خدعت ابن عمها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وذالك أن عيسى عليه السلام دعى إلى ربه ذات يوم فقال يا رب أرني من عجائب قدرتك يا أرحم الراحمين فاوحى الله تعلى إليه يا عيسى أن اهبط إلى الجنانة قال فأهبط عيسى إلى الجنانة فإذا هو برجل قائم يصلي فقال له عيسى عليه السلام عليك يا غلام فقال له الغلام وعليك السلام يا عيسى ابن مريم فقال له عيسى عليه السلام من أين تعرف اسمي يا غلام فقال له الغلام يا عيسى جللت [ص197] روحي وروحك في الملكوت وعلمني باسمك الحي الذي لا يموت. فقال له عيسى عليه السلام مالي أراك في هذا الموضع فقال له الغلام يا نبي الله كانت لي ابنة عمي عبدت أنا وإياها دهراً طويلاً وآلينا على أنفسنا لمن مات

636 يوسف ٣٢.
637 يوسف ٣٤.

قبل صاحبه لا يفارقه الثاني حتى يموت فاليوم لي في هذا المكان أعبد الله تعلى أربعين سنة. قال له عيسى عليه السلام إذا نزلت الريح والأمطار أين تأوي قال له الغلام نأوي تحت رحمة عز وجل فلا ريح يهب علي ولا مطر ينزل فقال عيسى فمن أين رزقك وما تأكل في هذا الموضع قال له الغلام إذا كان بالعشى تهبط إلى منازل بني[638] فالتقط الحب وفتات الخبز والثمر المعفون ونأكله يا روح الله ثم أريد من الله ثم منك أن تحيي لي ابنت عمي حتى نعلم أين صارت.

فسار عيسى عليه السلام إلى ناحية من الغلام فدعى الله تبارك وتعلى وقال في دعائه إلاهي وسيدي ومولاي يا ذا الجلال والإكرام دلني على ما نصنع مع هذا الغلام وجاريته. فأوحى الله إليه يا عيسى قل للغلام إن الجارية قد تم رزقها وأجلها فإن أردت أن نحييها لك فتقاسم معها فيما بقي من رزقك وأجلك فإن كان الموت يكون لكما جميعاً في ساعة واحدة. ثم قال عيسى عليه ذالك للغلام قال له رضيت بذلك يا روح الله قال فسار عيسى عليه السلام إلى قبر الجارية فضربه برجله وعاوده ضربة ثانية وقال يا صاحبة القبر قومي بقدرة من يحيي العظام وهي رميم وإذا بالقبر قد انفتح والجارية قائمة على قدميها قد لبست شعرها وهي تنفض التراب عن وجهها وتنادي لبيك لبيك وسعديك يا روح الله. قال فانطلق الغلام إلى الجارية وقد خنقته العبرة ثم بكى بكاء شديداً ثم قال لها يا حسنة صفي لي سكرات الموت وغصتها.

فقالت له الجارية هيهات يا بن عمي إن للموت سكرات وإن لها تسعة وتسعون غصة كل غصة منها ما بين السماء والأرض قال ولم تزل الجارية تصف للغلام سكرات الموت وغصتها وإذا بالغلام قد جازت عليه سنة نوم ورأسه على فخذها فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم. فبينما هو كذالك إذا بملك عسقلان قد أقبل من بعض حوائجه ومعه بعض عبيده فلما نظر إلى الجارية ونظر إلى حسنها وجمالها أقبل نحوها فقالت له الجارية لم اطلعت علي فقال لها يا جارية لم اطلع عليك إلا أني شبهتك في حسنك وجمالك لحسنى بنت برقيل من سِبْط أولاد يعقوب عليه السلام. فقالت الجارية أنا حسنى بنت برقيل وهذا ابن عمي وهو بعلي قد قاسمني في نصف رزقه وأجله وحياتي عيسى عليه السلام بقدرة الله تعلى. ثم قال لها يا جارية أله دار يأويك إليها قالت له الجارية ليست له دار يحملني إليها ولاكن قد انفردنا لعبادة ربنا ثم قال لها الملك يا جارية أردت أن تسيري معي إلى قصري وتتركي هذا

638 كذا ولعل الصواب «بني إسرائيل».

الحقير الذي رأسه على فخذيك. فقالت له الجارية أيها الملك إني أخشى عليك الوقوف بين يدي رب العالمين إذا أنت بارزت بالمعاصي فبينما كذالك أقبل إبليس اللعين أجارنا الله من كل فتنة على صفة عابد وعليه ثياب من صوف وعلى رأسه عمامة من صوف.

[ص198] ثم قال اللعين للجارية إن أنت سرت مع الملك تخدمك الخدّام وتأكلي الطيب من الطعام وتلبس الحلى الذي قطعن من بيت المقدس فإذا كنت تفعلي هذا كله تفعلين الخير وتأمرين بالمعروف ويغفر الله لك ذنوبك كلها. فلم يزل اللعين يقويها حتى قالت الجارية إن أنا سرت معك فما تصنع مع هذا الذي رأسه على فخذي قال لها الملك يا جارية اصبري حتى أحتال له بحيلة ونتركه هاهنا. قال فنزل الملك عن حصانه وأخذ من الأرض حجراً ووضعه تحت خده وحملها معه إلى قصره وأغلق عليها أبواب المعاصي فانتبه الغلام من نومه وقال يا حسنى لقد غفلنا ففتح عيناه فنظر يميناً وشمالاً فلم يجد لها خبراً فقال يا ليت شعري أين ذهبت حسنى فجعل الغلام يفتش عنها حتى جاز على صبي صغير فقال له الصبي يا هذا رأيت ابنة عمك مع الملك صاحب مدينة عسقلان قد حملها مع ناسه إلى قصره. قال فهبط الغلام إلى الحاكم حاكم المدينة وقال له السلام عليك أيها الحاكم العادل أنصفني إني مظلوم من ظالم ظلمني فلما سمع الحاكم كلامه رد عليه السلام وقال له لو كنت أنا الظالم لأنصفتك من نفسي فما شأنك يا غلام. فقال له الغلام كانت لي ابنة عم قاسمتها في نصف رزقي ونصف أجلي أحياها لي عيسى عليه السلام بقدرة من يحيي العظام وهي رميم ثم أخذها لي ملك مدينة عسقلان وحملها معه إلى قصره فلما سمع الحاكم كلام الغلام قال لبعض رجاله ايتوني بالملك طوعاً أو كرهاً.

قال فانطلق غلمان الحاكم إلى قصر الملك فقال له الحاكم يدعوك أيها الملك فلما سمع الملك ذالك دخل على الجارية وقال لها هذا مسيري إلى الحاكم العادل فكيف يكون الخلاص منه فقالت له الجارية لا تهتم من ذالك فلو نشرت بالمناشير وقرضت بالمقاريض ما زدت فيك إلا حباً. قال فانطلق الملك مع الغلمان حتى دخلوا على الحاكم فناداه الملك السلام عليك أيها الحاكم العادل قال وعليك السلام أيها الملك اردد على هذا الغلام زوجته قال فرفع الملك عينه إلى السماء وحلف أيماناً لا يحلف بها أحد غيره ما رأيت له زوجة فلما سمع الحاكم كلام الملك أطرق برأسه ساعة ثم قال الملك للحاكم اسئله ما كانت زوجته فقال له الحاكم يا غلام من كانت زوجتك لعلكم تعرفونها باسمها وهي حسنة بنت برقيل وهي ابنت عمي. قال فضرب الملك كفاً على الثاني وقال للحاكم هذه زوجتي ولها

في صحبتي أربعين سنة فلما سمع الحاكم الملك أمر على الغلام فطرد وأخرجوه إلى باب المدينة وهو يبكي بكاءً شديداً ويقول في بكائه إمنن علي يا عيسى.

فما أتم كلامه ولا فرغ من بكائه إلا وعيسى عليه السلام قد أقبل إليه فقال له مما بكاؤك يا غلام فقال له يا روح الله إن الجارية التي أحييتها لي وقد قاسمتها في نصف أجلي ورزقي أخذها لي الملك وحملها إلى قصره ثم إني مشيت الى الحاكم العادل لينصفني فطردني عن نفسه وأمر عبيده فأخرجوني من المدينة. [ص199] فقال له عيسى عليه السلام سر معي إلى الحاكم ويحكم الله بينك وبينه بحكم يكون فيه عبرة للأولين والآخرين ثم أقبل عيسى عليه السلام على الحاكم وقال له السلام عليك يا حاكم غير عادل فرد عليه الحاكم السلام وقال له عيسى عليه السلام ايتوني بالملك طوعاً أو كرهاً. فانطلق الغلمان حتى دخلوا على الملك فقالوا له أجب عيسى عليه السلام فلما سمع الملك كلام الغلمان دخل على الجارية فقال لها هذا قدومي على عيسى عليه السلام فما يكون الخلاص منه.

فقالت له الجارية نأخذه بالإيمان والمواثق لعله يصدقنا فانطلق الملك مع الغلمان حتى دخل على عيسى عليه السلام فناداه الملك السلام عليك يا نبي الله فقال له عيسى عليه السلام وعليك السلام أيها الملك الفاسق اصرف على هذا الغلام زوجته قال فرفع الملك عينه إلى السماء وحلف الأيمان فقال له عيسى عليه السلام عليك يمينك فاردد عليه وإلا دعوت الله عز وجل أن يسلط عليك بلاء يتعجب منه أهل البلاء. فلما سمع الملك ذالك قال يا نبي الله إن لي في قصري تسعة وتسعين جارية أحضرهن كلهن بين يديك قال فأمر عيسى عليه السلام بإحضار الجواري بين يديه وجعل الغلام ينظر واحدة بعد واحدة حتى آخرهن فلم يجد الغلام ابنة عمه فقال له عيسى عليه السلام فهل بقي في قصرك أحد قال في قصري زوجتي وهي ابنة عمي فقال له عيسى عليه السلام أحضرها بين يدي فاحضرت من ساعتها فلما نظر الغلام إليها عرفها وقال يا عيسى عليه السلام هذه ابنة عمي فضرب الملك كفاً على الثاني وقال يا نبي الله هذه ابنت عمي ولها في صحبتي أربعون سنة.

فقال لها عيسى عليه السلام ألست الجارية التي أحييت لهذا الغلام وقاسمك في نصف رزقه وأجله فقالت له يا روح الله والله ما أحييتني قط ولا مت قط ولا أعرف هذا الغلام ولا رأيته قط إلا في هذه الساعة. فقال لها عيسى عليه السلام يا جارية سيري معي إلى القبر الذي أحييتك منه وتدخلين في القبر وادعوا ربي فإن كنت صادقة جعل الله عليك القبر روضة من

رياض الجنة وإن كنت كاذبة جعل الله عليك القبر حفرة من حفر النار. قال فانطلقوا جميعاً مع عيسى عليه السلام والقاضي والملك والجارية وابن عمها حتى وصلوا إلى القبر فقال لها عيسى عليه السلام ادخلي القبر فلما دخلت الجارية في القبر قال لها عيسى عليه السلام أيتها الجارية إن كنت صادقة جعل الله عليك القبر روضة من رياض الجنة وإن كنت كاذبة جعل الله عليك القبر حفرة من حفر النار فما أتم عيسى كلامه حتى التهب القبر بالنار وابتلع الجارية فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقد ورد [ص200] في الخبر أن فتى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابتليت بحبه جارية يقال لها هندة تعذبت بحبه وأرسلت إليه مراراً وهو يزداد يقيناً ويزجر رسولها ويطرده عن نفسه حتى أكثرت عليه حلف أن لا يقرأ كتاباً لها ولا يرد عليها جواباً فلما بلغها ذالك عظم الأمر عليها فكتبت إليه كتاباً ودفعته إلى خادم لها قارئة تقرأ عليه الكتاب. فقال عجبت من هذه الجارية تكاتبني دون معرفة سبقت والخادم واقفة بين يديه ترغبه في الجواب فقال لها ليس لهذا[639] الكتاب جواب فلم تزل الخادم ترغبه وتترغى بين يديه حتى قال لولا يمين سبق مني لجاوبتها عن ذالك فلتكف عني خير لها فلست أجيبها إلى ما تريده أبداً. فلم تزل هندة ترسل إليه رسولا بعد رسول حتى عظم عليه الأمر وخاف على نفسه من الفتنة لم يتمالك ان رحل عنها من مدينة يثرب إلى بطيح مكة زادها الله شرفاً.

فلما بلغها رحيله مرضت مرضاً شديداً وألقت بنفسها على الفراش فدخل عليها زوجها ووجدها مغيرة اللون ووجهها اصفر فقال لها ما الذي نزل بك وما الذي تشكيه يا هندة فوالله لقد يسوءني ما أنت فيه من المرض الشديد أتريدين أن آتيك بالطبيب. فقالت له وما يصنع الطبيب وأنا أعلم بدوائي منه فقال لها زوجها وما دواؤك فوالله لو كان شفاؤك في تلف نفسي وذهاب مالي لما أفنيته إلا عليك فشكرت له ذالك. فقالت له سبب دائي أنني تطهرت البارحة في صحن داري فتعرضت لي جنية الدار تارة فوق الماء وتارة تحت الماء وقالت لي لا خير في جوارنا فارحلي عنا وإن لم ترحلي عنا أسقمنا جسمك وغيرنا لونك وأسكناك رَمْسك وكنت أرى البارحة في النوم قائلا يقول لو أنك يا هندة أسكنت بطيح مكة لأفقت من علتك وبرئت من ألمك.

فقال لها زوجها وما أهون ذالك في مرضات نفسك يا هندة فتوجه من ساعته إلى بطيح

639 جاءت «لهذا» بالهامش.

مكة مسيرة عشرة أيام واشترى لها داراً في الموضع الذي رسمت له وفي ذالك الدار منزه عظيم عالي على قارعة الطريق الذي يمر عليه بشر إلى المسجد فاشتراها بهذه الصفة ورجع إليها فأعلمها. فقامت من مرضها ووجدت الراحة في نفسها واشتاقت إلى الرحيل إليها لنزاهتها فصنع لها زوجها هودجاً وركبها على بعير وجعل يقود بها العبد وركب الزوج جواده وساروا يقطعون الأرض بالطول والعرض إلى بطيح مكة فأنزلها في تلك الدار المتقدم ذكرها فطلعت من ساعتها إلى العلية وجعلت تنظر في كل يوم مساء وصباحاً حتى برءت من علتها واستراحت من مرضها. فلما كان في بعض الأيام دخلت عليها عجوزاً بيدها عكازاً وركوة وفي عنقها تسبيح كأنها من الصالحات وجعلت العجوز تحدثها وهي تكثر الالتفات إلى طريق بشر وإذا به قد حضر فاشتغلت [ص201] بالنظر إليه حتى غاب عن بصرها ففطنت العجوز بها وقالت لها يا بنيتي أنا أحدثك وأنت ساهية عن حديثي وما أظنك إلا عاشقة.

فعند ذالك التفتت هندة إلى قولها وقد ركبها شحوب من الحياء والخجل فقالت لها يا عمتي اكتمي قصتي وأنا أصف لك أمري فعسى أن يكون الفرج على يديك فقالت لها العجوز صفي خبرك فوالله لا أطلعت عليه أحد حتى ألقى الله عز وجل فوصفت لها خبرها وقصت قصتها مع بشر وكيف هرب منها وكيف اتبعته وكيف ابتلت بحبه وكيف صد عنها. فقالت لها العجوز حباً وكرامة هذا أهون أشغالي أنا أجمع بينكما إن شاء الله تعلى ولاكن عرفيني متى يكون بعلك عنك غائب فقالت لها في يوم الخميس الأقرب فقالت لها العجوز إذا كان يوم الخميس تعطري وتزيني وأنا أجمع بينكما. قالت هندة نعم ففرحت بقولها وأعطتها جملة دراهم فخرجت العجوز من فور إلى المسجد الذي يصلي فيه بشر وجعلت تدخل لدخوله وتخرج لخروجه وتكبر وتهلل وتكثر الصدقة بين يديه حتى قال في نفسه هذه عجوز من الصالحات وتنزع الحجارة عن الطريق فلما كان يوم الخميس وقد غاب زوج هندة فتعرضت العجوز لبشر في الطريق فقالت له يا بني لي عندك حاجة لله فيها رضاء ولك فيها ثواب.

فقال لها وما ذالك أيتها العجوز فقالت له يا بني إن لي ابناً في العراق غاب عني مدة ولم نسمع له خيراً ثم ذكروا لي أنه في الشام فنريد من الله ثم منك تسير معي إلى منزلي تكتب إليه كتاباً يؤاجرك الله عليه فقال لها نعم حباً وكرامة تقدمي إلى دارك فتقدمت به العجوز إلى دار هندة وهو يظن أنها دار العجوز. فأدخلته الدار وقالت له يا بني ادخل إلى

المجلس حتى اخرج وآتيك بدوات وقرطاس فدخل إلى المجلس[640] وأغلقت عليه الباب وقالت اخرجي إليه يا هندة فقد امكن الله منه فخرجت إليه هندة من وراء ستر كان بينهما وترامت عليه وقبلت ما بين عينيه. فقال لها ويحك يا جارية ما هذا الأمر ومن أنت فقالت له أنا هندة المعذبة بحبك في دار الدنيا فلما عاين حسنها وجمالها وحليها وحللها جعل يتضرع لها ألا تأخري عني واتقي الله يا هندة فقالت له ما يكفيك من هذا الدهر الطويل الفرار مني يا بشر والله لا برحت من يدي حتى أشفي علتي ولا أبالي ما يكون من أمري بعد ذالك وإن امتنعت مني نصيح صيحة واحدة فيجتمع أهل بطيح مكة علينا وتشتهر ونشتهر معك وتسقط من أعين الناس من منزلتك التي أنت فيها عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فلما سمع ذالك منها خاف من الفضيحة والعار فقال لها يا هندة اتركيني حتى نتوضأ ونصلي ركعتين ثم افعلي بي ما شئت فتركته فقام وتوضأ ثم وقف في صلاته وجعل يطول فيها وقد بدا من أول البقرة إلى ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾[641] فلما فرغ من صلاته دعى بدعوة فعصمه الله تعلى من الفاحشة. وإذا ببعلها للأمر المقدر بينهما قد رجع من غيبته فلما دخل إلى داره وجد العجوز [ص202] في الاصطبل تريد الخروج فأنكر أمرها ووكزها بيده إلى داخل الدار وأغلق عليها الباب ودخل بها إلى المجلس فوجد بشراً مع زوجته هندة وهو يتضرع إليها وهي مزينة معطرة فصاح بأعلى صوته هكذا يا بشر طالما خدعت الناس بصلاتك حتى كشفت ستري وهتكت حرمتي والله لا يحكم بيني وبينك اليوم إلا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم أخذهم الثلاثة وسار بهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما مثلهم بين يديه قال يا أمير المؤمنين سل هذا الرجل من أدخله داري بغير إذني يتكشف عن أهلي. فقال له عمر رضي الله عنه وما هذا الأمر يا بشر فقال يا أمير المؤمنين والله ما كذبت منذ آمنت ولا كفرت منذ أسلمت ولاكن قصتي مع زوجته عظيمة ووصف له الأمر كما كان وكيف هرب منها من يثرب وكيف تبعته وكيف احتالت عليه العجوز حتى حصل في دار هندة. فعند ذالك قالت له هندة صدق بشر يا أمير المؤمنين أنا راودته عن نفسه وأنا اتبعته إلى هذه المدينة فكبر عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي جعل في أمة محمد

---

640 وردت الجملة التي ما بين « حتى اخرج » و« فدخل إلى » بالهامش.
641 الناس ١.

صلى الله عليه وسلم نظيراً ليوسف الصديق ثم قال لها عمر رضي الله عنه يا هندة استغفري لذنبك ولولا بهجة الإسلام لغرصتك على الجد ثم قال لزوجها سر بأهلك إلى منزلك فقال هي على حرام يا أمير المؤمنين فطلقها زوجها ورجع إلى أهله وبلاده فوجد الذنب على العجوز فضربت مائة فهذا يجزي من أخبار كيد النساء فلنرجع إلى ما كنا فيه.

وقسم العقل عشرة فجعل في الرجال تسعة وفي النساء واحد قال بعض اهل العلم بالعقل يعرف الأدب وبالأدب يفهم العلم يصلح العمل تنال الحكمة وبالحكمة ينال الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله. فإذا تفكر الإنسان العاقل في الدنيا عرف أنها بحر عميق والناس فيها على طبقات فقوم على غرق وهم العوام وقوم في السفن وهم العلماء وقوم على شاطئ وهم الزهاد. نفسك في الحقيقة سفينة وهي بما كسبت رهينة احضر قلبك لديك لاقصر كلام أهل العقل إليك يا رأس السياسة إذا وليت فلك أمر الرياسة وإذا استويت على سرير سير التدبير في فرشة الضمير. فاقتد قرائر الإقرار وطوارح الأوطار وصواري الاغترار وخد الاختيار ومرسى الأسرار وانكيلة الأفكار التي هي مجمع مياه بحار الأقذار من سوس الوهن وقَلْفِفط بخروق الفتن في كتاب الكتمان وقان الوقان ومسمار المسامرة وقادوم تقديم المشاورة وقدم عشاري الانتعاش بين يدي سفينة تدبيرك إذا أعاد البحر كالفراش وخط بابراط الارتباط وخيوط الاختياط ما انفتق من أوصال عقلك وأبرم حبال ترك احتبالك بيد الخروج من أحوالك ولتسق مسمار مسامرتك من ذكير اكام إرادتك.

فإذا تقوى نسيم الأنين نفس السين وإذا هبت [ص203] رياح الشبون نفس القرون وإذا كثر رياح الإشارة حل عن الإجارة وإذا دامت رياح الاستدلال ثبت الجبال وإذا اختلفت عليك المجاري احمل العشاري وإذا غابت عنك الدراري خط بالصواري وإذا هالت عليك البحار شدد الازرار وإذا انفتحت أوصال الفلك أبشر بالملك. وإذا حملت ثقيل السيئات فقل ما تقال في الصدمات فأنت الرئيس إن حفظت ما أوصيتك به على الحقيقة وفي مركب تدبيرك يجب الحج على أهل الطريق فإذا أبان لك منازل الأنوار ومرسى الأسرار ومعالم المجاهدات واسكندرية المكاشفات وكعبة المشاهدات وبر المبرات ومسر المسرات وقصر القصور الشرفات وركب قلزم لزوم الواجبات ونزلت تحدث الوجد عشية بالعهد فشد الأوزار واصحب الزوار بقلة الأوزار ولبس إحرام قطع الحرام وحط الذنوب العظام بتلك المشاهد الكرام واخل يا إخوان الصفا عند الصفا واصدق في النجاة عند المروة وشد مقام الغرام

بوصايا الإقدام وطف بيت الالطاف وقف بعرفات والاعتراف واغرف من المشاهد في تلك المشاهد ومن المعاهد في تلك المعاهد.

فإذا رجعت قابلا وأصبحت في أثواب القبول رافلا وجئت من مشرف اقترابك إلى مغرب اقترابك فاحمل إلى إخوانك من كتمان كتمانك ومورد ايمانك ومسك توكلك وصندل تدللك وعشير عبارتك وسكر إشاراتك وليم إماراتك وكافور كفاراتك وعود سعاداتك وشكر عبادتك وسنبل لطائفك وقرفة وظائفك وفلفل صدق فألك ومصطكى اصطكاك أوصالك وكبار كبريائك وسكر سواد رأيك. فهذه سلع مشرف الأشراف اللائقة بمغرب الاسواق فما أحوجك إلى هذا الحج وما أغفلك عن هذا المنهج وما أعماك عن هذا الدفائق وما أجهلك بهذه السفائن وما أقل مالك في هذه الخزائن سفينتك اعتقادك ورياستك عقلك ومرساها فعلك وانكيليتها صدرك ومسينها إمساكك ودقونها إدراكك وريحانها نشطك وعشارها إشارتك وفرونها شهاداتك والعمل فيها خطواتك والمقدمون عليها نظراتك وسمينها دينك وقوتها يقينك وقطقوتها قلقك ومشراعها إشراقك.

فإذا أسلم الاعتقاد من الشك والملاح من الإفك والرئيس من الفتور والمرسى من الصخور والصاري من الاضطراب والانكيلة من الحقد والمسين من اليأس والوقون[642] من البعد والرياح من الحبال والحبال من الاحتلال والطريق من العدو والكشار من الآفات والأغيار والفرون من الغفلة والابارة من نفس العبارة والاعمال من العجز والمقدمون من النوم والسمار من غم الشهوات والسيمة من خبث الطوية من سوء السريرة والقطقونة[643] من الكيد والشراع من شك القصد فابشر بنيل الوطى وتمام الأمر. فهناك تيس المعاهد وتلوح المنازل للمنازل وتظهر المشاهد للمشاهد ويطيب الورد ويدوم السعد وينفذ السلع ويرتفع [ص204] الهلع ويعظم قدر المقصود بمنة القصود فإذا كانت الشروط مختلة والعقود منحل فأقرب ما لهذه السفينة أن تكسر برياح لا يكلهم في بحار لا يزكيهم في أمواج لا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم فاستيقظ من نوم قرارك باغتارك إن أردت الفوز بأوطارك ظهور آثارك فلا تغفل عن إيثارك وإذا رمت الحلول بدارك في دار قرارك وإذا شئت في هذه السفائن فاسترزق الله بما في الخزائن.

---

642 كذا ولعلها «وقور».

643 كذا. لعلها «قيطونة» بمعنى «خيمة».

وقسم الحياء عشرة فجعل في الرجال تسعة وفي النساء واحدة وفي الخبر الصحيح أوصى الله إلى داوود عليه السلام يا داوود من عظمني واستحيا مني عظمته يوم القيامة وجعلت الحكمة تدور في صدره يا داوود اسمع مني ما أقول والحق أقول من نظر في عيوب الناس ونسي عيوب نفسه وكان همه أن يبوح بمخبئات الناس فضحه الله تعلى على رؤوس الخلائق يوم القيامة. يا داوود من دعاني أجبته ومن سألني أعطيته ومن قرب مني وجد ألطافي غزيرة عليه يا بن آدم ألست أنا أتكفل برزقك وأكفيك وأعطيك وأنت متماد على خطاياك يا بن آدم ما أجراك علي وأشد تمردك لدي إذا وقعت في البلوى دعوتني وإذا كشفت عنك نسيتني كأنك لم تعرفني قط. طوبى للمتفردين عن الناس الصامتين عن عيوب الناس الذين صار لهم في نفوسهم أعظم النظر. طوبى للذين قاموا طول اليل فسهروه سيعلم الذين يطلبون الزنا أدنى ما صنع بهم أن ذهب بهجة النظارة من وجوههم وامحوا أرزاقهم مع أعمارهم.

طوبى لقوم عظموني وعظموا أن ينظروا إلى فروج الحياء حياء مني يا بن آدم لا تستخف بحق فاستخف بحقك في النار إن أكلة الربا أقطع أمعاءهم وأكبادهم يا داوود إذا ناولت الصدقة للمساكين اغسلها بماء اليقين فإني أبسط يميني للسائل فإن كان حراماً لطمت بها وجه المتصدق وإن كانت حلالا قلت له لك بها عندي قصر في الجنة ليست الرياسة رياسة المال إنما الرياسة رياسة الآخرة. يا داوود ليس الفسق كله فسق وإن صاحبه عندي ملعونا ولاكن الفسق فسق الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة انه ليهتز لذالك عرشي وتضطرب لذالك السماوات والجبال فأقول لها اسكني أنا الحليم الذي لا يعجل يا داوود اتل على بني إسرائيل نبأ رجل خلا بمعصية فلما أرادها قال لو أمر رب السماوات أن تنطبق علي وأمر الأرض أن تبتلعني ألم تكن تفعل فهرب العبد وترك ما فيه خوفاً مني لأخذته بعفوي ورحبت به وأعظمت.

فلو رأيت غرفته مظللة بعرشي مكتوب عليها هذا جزاء من ربه يا بن آدم جعلت لك اللسان وأطلقت لك الأوصال ورزقتك المال فجعلت أنت ذالك عوناً على معصيتي كأنك لم تعرفني كأنكم بي يا بني آدم مغترون أم بمعاصي تتلاعبون وتضحكون ولا تعلمون [ص205] أن الموت في طلبكم. يا داوود أولياء هينون لينون إذا حضروا لم يعرفوا وإذا مرضوا لم يزاروا تعرفهم بقلاع والملائكة دعوهم اللهم اغفر لنا وللمذنبين يا داوود ارزق العبد وأوسع عليه فينفق مما رزقته في طاعتي ثم يشكوني إلى خلقي. قال سعيد لمولى طلحة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الكفل من بني إسرائيل وكان لا يرجع عن

ذنب فأتته يوماً أمرأة فأعطاها دنانير ليقضي منها وطره فلما قعد منها معقد الرجل من المرأة ارتعدت فرائصها وبكت. فقال لها ما يبكيك وقد أخذت الدنانير من غير إكراه منك فقالت له يا سيدي لا أعلم إنه عمل لم أعلمه قط وما جرى لي بهذا رسم قال لها فما الذي حملك على هذا قالت له الحاجة فزال عنها وقال لها اذهبي فإن الدنانير لك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً ومات تلك اليلة فأصبح وما به قد غفر الله للكفل.

وذكر بعض العلماء أن الله أنزل كتاباً من صحف إبراهيم عليه السلام فيه مكتوب من العزيز الحميد إلى من أبقى من العبيد. سلام عليكم هذه رسالتي إليكم بما أخصصتكم من نور العلم وذكاء الفهم فأول ذالك إني اخترعت لكم الحدود وأخرجتكم من العدم إلى الوجود وأنشأت لكم الأبصار فأبصرتم والأسماع فاسمعتم والألسن فنطقتم والقلوب فعلمتم والعقول ففهمتم وخاطبتم بالألسن العبرة وأشهدتم على أنفسكم بالإقرار لي بالوحدانية وشهدتم وبعد الإقبال أدبرتم وبعد الإقرار أنكرتم ونقضتم عهدنا وغررتم فلا يوحشكم منا فإنكم إن عدتم عدنا وزدنا في الكرم. فمن عثر حملنا ومن انقطع وصلنا ومن تاب قبلنا ومن نسي ذكرنا ومن عصى سترنا ومن عمل قليلاً شكرنا نعطي ونمنع ونعفوا ونصفح كرمنا مبذول وسترنا مسبول.

عبدي انظر إلى السماء وارتفاعها والشمس وشعاعها والنجوم وأنوارها والبدور وأسرارها والريح وهبوبها والأمطار وسكوبها والأضداد واختلافها والسحاب وائتلافها والرعد وصولته والبرق ولمحته والفلك والملك والنور والحلك واليل والنهار والإمساء والإبكار والوحوش والأطيار والأرض وأقطارها والأمواج وبحورها والأودية وقلعها والعيون ووضعها والحيتان وسبحها والأزهار ونفحها والفصول وأزمانها والأوقات وإتيانها والأشهر وأيامها والأشجار وثمرتها والأغصان ونضرتها والأنعام ولحومها والوحوش وهجوها والفواكه ومذاقها والكمائم واتّساقها وما هو ظاهر وكامن ومتحرك وساكن ورطب ويابس وواقف وجالس وجامد ومستيقظ وراقد وراكع وساجد وما قرب وما بعد وما هو كائن وما كان وما غاب وما حضر وما خفي وما ظهر.

الكل يشهد لي بجلالي ومقر بكمالي ويسبح بحمدي وإحساني ويتعلق بذكري ولا يغفل عن شكري عبدي أرأيت حين بارزتني بهواك واختفيت من أخلاقك ألم تكن عيني تراك عبدي اذكرك وتنساني وأسترك ولا ترعاني. [ص206] لو أمرت السماء لوقعت عليك

ولو أمرت الأرض لتزلزلت بك وابتلعتك من حينها ولو أمرت البحار لأغرقتك في مَعينها لاكني أحميك بقدرتي وأمدك بقوتي وأؤخرك إلى أجل أجلته ووقت وقته ولا بد لك من الورود علي والوقوف بين يدي وأعدد عليك أعمالك وأذكرك أفعالك. فإذا أيقنت بالبوار وقلت لا محالة لا بد من النار أوليتك غفراني وأمنحتك رضواني وأحللتك دار جنتي وأماني وغفرت لك الذنوب والاوزار وقلت لك لا تحزن فلأجلك سميت نفسي الغفار. قال وهب بن منبه كان في بني إسرائيل شاب يصيب الذنوب وكانت بجنبه جارية فولع بحبها فراودها عن نفسها فأبت عليه وقالت والله إني لا أحبك غير أني يمنعني منك خشية الله عز وجل وحياء منه فتركها الشاب وأقبل تائباً إلى الله تعلى.

فلقيه نبي من أنبياء بني إسرائيل فقال له ألست فلان العاصي فما هذه المنزلة فأخبره بقصته فقال له النبي إن التائب عند الله بمنزلة ليس به أحد من الناس. وقسم الفواحش عشرة فجعل في اليمن تسعة وفي الدنيا واحدة وأعظم الفواحش قوم يسجدون للشمس من دون الله تعلى وهم أهل اليمن وملكتهم امرأة وهي بلقيس بنت سبأ ولا زالوا يسجدون للشمس من دون الله تعلى حتى منّ الله عليهم بسليمان بن داوود. كان نبياً مخلصاً عابداً زاهداً في الدنيا غازياً في سبيل الله تعلى قد سخر له وأعطاه ملكاً عزيزاً وآتته الحكمة وسخر له الجن والإنس والشياطين والريح والطير والوحش والبهائم والهوام وكانت الريح تحمله هو وجنوده. وإذا أراد السفر أو الغزو إلى بلد من جبابرة أهل زمانه دخلت عساكره في المجلس الذي تقدم ذكره في باب صفة مجلس سليمان وكانت الريح تحمله واسمه الرخاء الذي ذكره الله في كتابه العزيز حيث يقول ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث ﴾[644] وكان سليمان يفتخر به على سائر الملوك والجبابرة لما أعطاه الله من الملك والسلطان وطاع له كل شيء.

ثم إن سليمان خرج في بعض أسفاره وغزواته فسار في البراري والصحاري والفلوات فحمت عليه الشمس ووهج الحر فجاءته الطير تظله بأجنحتها وتقيه من حر الشمس وكان عريف الطير النسر ومقدمه العقاب وكان الهدهد هو الدليل على الماء بقدرته تعلى كرامة لنبيه سليمان عليه السلام. فكان الهدهد ينظر إلى الماء تحت الأرض كما ينظر أحدكم إلى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء وكان لا يفارق سليمان طرفة عين لأنه إذا كان وقت الصلاة نزل به على الماء للوضوء وجعل ينظر يمينا وشمالاً وهو لا يدري بلاد اليمن وهو

644 جاءت «وسخر» خطاء في الأصل. سورة ص ٣٦.

أرض صنعاء وعدن[645] فنظر إلى هدهد من تلك البلاد. فقال هدهد سليمان عليه السلام والله لأنزلن على هذا الهدهد وانظر ما في قصته ولمن هذه البلاد ومن ملكها فنزل هدهد سليمان عليه السلام على هدهد اليمن فقال له السلام عليك يا أخي فقال له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فمن أنت يرحمك الله فقال له أنا هدهد سليمان فما اسم هذه البلاد ولمن هي.

فقال له هدهد اليمن هذه مدينة سبأ ومالكتها بلقيس تحت يديها اثنى عشر ألف أمير تحت كل أمير اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد اثنى عشر ألف جند تحت كل جند اثنى عش ألف رجل. [ص207] فتعجب هدهد سليمان عليه السلام من قوله فقال له لقد حدثتني بأمر عجيب من أمر صاحبتك بلقيس فهل لك أن تنطلق معي إلى صاحبي سليمان عليه السلام قال امض فانطلقا جميعاً حتى وقفا على عسكر سليمان عليه السلام. فلما نظر هدهد اليمن إلى مجلس سليمان عليه السلام تحمله الريح بقدرة الله تعلى ونظر إلى العساكر في جوف المجلس كلهم والطير تظلهم من فوقهم من وهج الشمس والشياطين من تحت المجلس والجن حافين بالمجلس من كل ناحية وكان لهم دوي عظيم. فلما نظر هدهد اليمن إلى ذالك كله قال له يا أخي إن لصاحبك ملكاً عظيماً فهل لك أن تسير معي إلى بلاد اليمن حتى تنظر إلى بلقيس فقال له هدهد سليمان يا أخي جاء وقت الصلاة وإن صاحبي سليمان يريد أن ينزل على الماء يتوضأ فقال له هدهد اليمن يا أخي إن الصلاة قد بقي لها وقت وإن صاحبك سليمان يسره أن تأتيه بخبر هذه المرأة وإن أتيته بخبرها يسره ذالك وينزلك منزلة رفيعة وتعظم درجتك عنده.

قال فطاروا جميعاً حتى وصلوا إلى مدينة سبأ فنظر هدهد سليمان إلى ملك بلقيس فأعجبه ما رأى من ملكها فلما كان وقت صلاة الظهر وأراد سليمان أن ينزل طلب الهدهد فلم يجده فذالك قوله تعلى ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنّه عذابا شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتيَنّي بسلطان مبين﴾[646]. ثم قال للنسر عجل علي بالهدهد في هذه الساعة فطار النسر في الهوى ما شاء الله تعلى ونظر يمينا وشمالا فلم يجد شيئاً ورجع إلى سليمان عليه السلام وأخبره بذالك فغضب نبي الله سليمان عليه السلام غضباً شديداً. ثم دعى سليمان عليه السلام العقاب وهو سيد الطير كلهم فقال له عدل

645 «وعدنان» في المخطوط.

646 النمل ٢٠-٢١.

علي بالهدهد الآن وإلا عذبتك عذاباً شديداً فطار العقاب في الهوى حتى التسق ظهره بالسحاب وجعل ينظر يميناً وشمالاً حتى رآه مقبلاً من نحو اليمن فانقض عليه يضربه غضباً لغضب سليمان عليه السلام. فلما رآه الهدهد منقضاً ولم يجد له مخلصاً ناداه بأعلى صوته ياسيدي سألتك بالله العظيم وبحق نبيه الكريم سليمان عليه السلام وبحق من قواك علي وضعفني إلا ما رحمتني ولا توجعني ضرباً.

فلما سمع العقاب ذالك منه ولى عنه وتركه وقال له قد تركتك يا هدهد إن نبي الله سليمان عليه السلام حلف أن يعذبك عذاباً شديداً الا أن تأتيه بحجة وبرهان مبين. فقال الهدهد الحمد لله الذي ألهمه إذا قال بسلطان مبين فقد أتيته بحجة وبرهان صحيح فمضى العقاب يقدمه حتى أوقفه بين يدي سليمان جالساً على بساطه وفاتته صلاة الظهر والعصر وقد ملأ على الهدهد غيظاً وغضباً. فلما وقف الهدهد بين يدي سليمان عليه السلام ورفع رأسه إيه أرخى جناحيه على الأرض وجعل يجرهما تواضعاً لله سبحانه ولسليمان عليه السلام. فلما نظر إليه سليمان عليه السلام مد يده إليه وجذبه مع الأرض ثم قال له أين كنت لأعذبنك اليوم عذاباً شديداً لم أعذب به أحداً من الطير.

قال كعب الأحبار وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان عذابه للطير أن يأمر عليه [ص208] ويسقط ريشه وهو حي ويدهنه بالزيت ويوقف للشمس فجر الهدهد ساجداً بين يديه. وقال له يا نبي الله اذكر مقامك بين الجنة والنار ومحاسبتك الملك الجبار فلما سمع مقاله خلى سبيله وقال حسبي الله أن يحمني بعفوي عنك ثم قال سليمان عليه السلام اللهم اكسه ريشاً ما لبسه أحد من سائر الطير أحسن منه ثم قال له من ذالك الذي أبطأك عني حتى فاتتني الصلاة. فقال له الهدهد يا نبي الله احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين وهو الخبر الصحيح فقال له سليمان عليه السلام أخبرني يا هدهد فقال له يا نبي الله إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم فقال له سليمان عليه السلام ما تعبد هي وقومها فقال له الهدهد يا نبي الله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله. فقال له سليمان عليه السلام ما ملكت بسلطانها فقال له يا نبي الله ملكت قبائل اليمن كلها وصناديدها وتحت يدها اثنى عشر ألفا أمير تحت كل أمير اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد اثنى عشر ألف جند تحت كل جند اثنى عشر ألف رجل يخدمونها.

فقال سليمان عليه السلام صف لي صفتها وأخبرني عنها خبراً صحيحاً فقال له الهدهد

يا نبي الله رأيت من حسنها وجمالها وأدبها وفصاحتها ما لا يحوزه الواصفون وبين يديها شيء يكل عليه اللسان وضعف عنه الجنان وإني أوصف لك من حسنها جزءاً واحداً رأيت لها وجهاً كالقمر الطالع وحاجباها كأنهم نونان خطا بالقلم وعينان كحيلتان وفم معتدل مدور كتدوير الخاتم وشفتان حمرا كأنهم شقائق النعمان إذا هي تكلمت خرج شعاع بين شفتيها كاللؤلؤ وبان له ثغر كاللؤلؤ المنظوم بين مسالك العقيقان ولها سرير طوله سبعة فراسخ في سبعة لم ير الراؤون مثله ولا أحسن منه له قوائم من الدرّ والجوهر مصفح بصفائح من الذهب الأحمر مكلل بزبرجد أخضر مزخرف بالعنبر الأشهب موشح بالمسك والكافور. وفوق السرير عجلة منصوبة ارتفاعها مائة ذراع وفي وسعها مائة وفوق القبة رحى تدور بها الريح تطحن بالمسك والكافور والعنبر فتدور عن يمين عرشها وعن شماله.

وقد نصبت عليه كرسياً من ذهب أحمر قوائم الكرسي من الزبرجد الأخضر يقعد عليه أرباب دولتها وخاصة مملكتها وبين يديها وزيرها وهو رئيس الزنادقة ومن حوله من الوزراء والعماليق والمشاورة والأكابرة. قال فلما سمع سليمان عليه السلام كلام الهدهد تعجب وقال له قد علمت أنه ليس شيء أحب إلي من الصدق فإن صدقت كانت لك عندي يد مبسوطة وإن كذبت فسترى ما أصنع بك فقال له الهدهد يا نبي الله إن وجدتني كاذباً فيما أحدثك به أحرقني بالنار فقال له سليمان عليه السلام[647] ها أنا أكتب لك كتاباً حتى توصله إليها. ثم إن سليمان عليه السلام صاح بآصف بن برخيا فأمره أن يكتب لبلقيس كتاباً في[648] صحيفة من فضة بماء الذهب وكان آصف بن برخيا ابن خالة سليمان عليه السلام وكان عابداً صالحاً [ص209] وكان أمينه على عياله وعلى جميع أحواله وقد أعطاه الله الاسم الأعظم المكنون المخزون في علم غيبه.

ثم إن آصف رضي الله عنه كتب كما أخبر الله عنه أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين ثم ختم الكتاب بالمسك وختمه سليمان عليه السلام بخاتمه ثم أقبل على الهدهد وقال له اذهب بكتابي هذا فألقيه إليهم ثم تولى عنهم فانظر ماذا يرجعون وما يقولون فقال له الهدهد يا نبي الله لا أطيق على الكتاب وحدي ولاكن أرسل معي جزءاً من الطير يكون لي عوناً على إيصال الكتاب. فقال له سليمان عليه السلم

647 «سليمان عليه السلام» وردت بالهامش.

648 «كتابا في» جاءت في الهامش.

وكيف ذالك فقال له الهدهد يا نبي الله انها في قصرها لا تخرج إلا في وقت الزوال فتخرج فتسجد للشمس من دون الله ثم ان سليمان ألقى الكتاب إلى الهدهد وقال له نعم الرأي ما رأيت ثم بعث مع الهدهد جميع الطيور وأمرهم بالسمع والطاعة له فقبض الهدهد كتاب سليمان عليه السلام وسار أمام الطيور فقالوا له طوبى لك يا هدهد لقد أصبحت رسول[649] نبي الله سليمان اليوم سيدنا وسائقنا وقائدنا قال نعم بحمد الله وحسن عونه.

ثم إن الهدهد سار أمام الطيور حتى وصل مدينة سبأ ونزل على قصر بلقيس وأمر الطيور بالوقوف وقال لهم اصبروا وكانت بلقيس إذا نامت تنام سبعة أيام بلياليها لا تقوم من نومها وكانت قد اتخذت على بابها ألف قائد يحرسونها وكان لها تسعون منجماً يبصرون لها. فنظر الهدهد فلم يجد حيلة وكان في القبة التي فيها بلقيس أربعة طيقان تدخل الشمس منها إلى مجلسها فدخل الهدهد من الطاق الواحد فنظر الى بلقيس وحولها المنجم فلم يجد من أين ينفذ الكتاب فرجع إلى الطيور فأخبرهم فقالوا له الأمر منك يا هدهد مرنا بما تريد. فقال لهم تعالوا بأجمعكم وصفوا صفاً واحداً واظللوا عين الشمس عن المدينة حتى لا يرى فيها شمساً وضجوا بأجمعكم ضجة واحدة حتى يشتغل الناس بكم وبالنظر عندكم فادخل أنا في بعض الطيقان قالوا نعم الرأي ما رأيت ثم فعلوا ذالك وصاحوا صيحة واحدة ففزع الناس وجعلوا ينظرون إلى شيء لم ينظروا مثله ويتعجبون ويقولون ما بقي طيراً بالمشرق ولا بالمغرب إلا وقد أتى إلينا.

فدخل الهدهد من الطاق إلى المجلس فوجد بلقيس نائمة مستلقية على ظهرها وقد وقع خاتم ملكها إلى جنبها فنظر الهدهد كيف يصنع وكيف يحتال لعله ينبهها ووضع الكتاب على نحرها ومسح بجناحيه على وجهها فوجدت حسه ففزعت وانتبهت وقامت جالسة على نفسها فوضع الكتاب بين يدها فلما نظرت بلقيس إلى الكتاب ونظرت إلى زوايا البيت فلم تجد أحداً فقالت في نفسها لقد وهن ملكي وضعف سلطاني إذ يلقى إليّ كتاب وأنا نائمة. ثم أخذت الكتاب فإذا هو من سليمان ابن داوود ملك الجن والإنس إلى بلقيس مليكة مدينة سبأ [ص210] فتعجبت وقالت يا ليت شعري من وصل إلى كتابه ثم رفعت رأسها ونظرت إلى الطاق فإذا هو الهدهد جالساً فعلمت أنه رسول سليمان بن داوود عليهما السلام.

---

649 هذه الكلمة وردت بالهامش.

فقالت ينبغي لهذا الملك أن يكون له شأن عظيم وسلطان مبين إذ يكون رسوله طائراً مع أنه حكم الجن والإنس ثم قامت غضبانة وصاحت صيحة عظيمة ففزع إليها جميع من كان بأبوابها من الجواري والغلمان والعبيد والحَشَم ثم قالت لهم انصبوا لي سرير ملكي وانصبوا الكراسي للوزراء وايتوا بتاج ملكي ففعلوا ما أمرتهم به. ثم دعت بصاحب النفير وكان لها برج مرتفع صاعد في الهوى وكانت إذا دهاها أمرا وداهية أو نائبة أو سمعت بخبر عدوها أمرت بضرب النفير فإذا سمع ذالك أهل مملكتها ركبوا بأجمعهم ثم يأتونها فأمرت بضرب النفير حتى اجتمع الناس على باب القصر أمرتهم بالدخول فلما دخلوا عليها خروا لها سجداً من دون الله تعلى. ثم قالوا أيتها الملكة أمرنا بأمرك تجدينا سارعين لطاعتك فقالوا بجميعهم نحن عبيدك وخدامك فقالت يا يها الملأ إنّه ألقى إليّ كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم وان حامل الكتاب طائر في عنوان الكتاب من سليمان بن داوود عليهما السلام ملك الجن والإنس والطيور والوحوش والهوام إلى بلقيس مليكة سبأ.

ثم فكّت الكتاب فإذا أوله مكتوب فيه أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليّ وأتوا مسلمين ثم أقبلت على الأمراء والقياد وقالت هل فيكم من يعرف هذا الرجل أو سمع به فقالوا كلا بأجمعهم ما سمعنا بخبره قط قالت لهم تعرفون الرحمن الرحيم قالوا لها لا فقالت لرئيس الزنادقة وأنت أيضاً الحبر النبيل هل تعرف الرحمن الرحيم هل عندك معرفة بهذين الاسمين. فقالوا لها أيتها الملكة الرحمن الرحيم هما اليل والنهار قالت بلقيس يا هذا بئس القول ما قلت أخطأت ولم تصب الرحمن الرحيم هو رب اليل والرحيم هو رب النهار ثم قالت يا يها الملؤا افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين.

وقالت يا قوم انظروا وإن كان هذا الرجل نبياً فما لكم به طاقة إنه إن وصل إلى بلدنا ليفسدنها وليجعلن أعزة أهلها أذلة ثمّ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذالك يفعلون ثم قالت لهم ايضاً وإني مرسلة إليهم بهدية[650] بما يرجع المرسلون وإني أسئله عن أشياء فإن أقبل هدايانا وأنفذ إلينا جواب المسائل فهو نبي مخلص وإن أخذ الهدية ولم يجبنا في المسائل فهو ملك مثل[651] بعض الملوك ونحن له قاهرون.

---

650 كلمة غير مقروءة.

651 هذه الكلمة جاءت في الهامش.

فقال لها رأس الزنادقة نعم الرأي ما رأيت ونعم الصواب ما قلت قال فعمدت بلقيس إلى خمس مائة جارية وألبست الحلى والحلل وعمدت إلى خمس مائة غلام جردا مردا ما لهم شعور فألبست الجواري [ص211] ثياب الغلمان وألبست الغلمان ثياب الجواري وعمدت إلى خمس مائة آنية من الفضة البيضاء وخمس مائة آنية من الذهب الأحمر وعمدت إلى الخيل السوابق وجعلت عليهم سروجاً مختلفة الألوان وزينت الخيل بأجلّة الحرير والديباج وعمدت إلى حُك من الذهب الأحمر مرصع بالدر والياقوت والجوهر فرصعت فيه خرزة من الجزع اليماني معوجة الثقب ثم أخذت أيضا خرزة غير مثقوبة فجعلها في الحُك.

ثم دعت بوزيرها مقدم الزنادقة وجعلته رسولاً إلى النبي سليمان عليه السلام وبعثت معه رجالاً ذوي فهم وأذهانا وقالت لهم خذوا هذه الهدية وامضوا بها إلى هذا الرجل ثم كتبت معهم كتابا تقول فيه إنه من بلقيس مليكة سبأ إلى سليمان بن داوود عليهما السلام أما بعد فإني أرسلت إليك بهدايا فاقبلها وإني نسألك عن رب اليل والنهار فاخبرني به وأخبر رسولي بما في هذا الحُك قبل أن تفتحه ثم تميز بين الغلمان والجواري قبل أن تسئلهم واثقب لي هذه الدرة وادخل فيها الخيط مستويا وهي الخرزة فاجعل فيها ثقبها مستويا ولا تستعن على ذالك بأحد من الجن ولا من الإنس ولا من الشياطين. ثم قالت لرسولها انظر إلى الرجل إذا وقفتم بين يديه فإن نظر نظر مغضب فاعلموا أنه ملك فلا يهولنكم ولا يشغلنكم أمره وإن رأيتموه سميح الوجه مستقيماً فاعلموا أنه نبي من المرسلين فاحذروا مقامه وكونوا بين يديه متذللين بقول وفهم وادروا جوابه فقالوا لها السمع والطاعة لك.

ثم انطلق رسول بلقيس وأخبر سليمان نبي الله بما أرسلت به بلقيس ثم إن سليمان عليه السلام أمر دمرياط رئيس الجن أن يضربوا له لبانا[652] من الذهب والفضة ففعلوا ذالك ثم أمرهم أن يفرشوا سبعة فراسخ ببساط الديباج الأحمر والأخضر ففعلوا ذالك. ثم قال للجن اجمعوا لي أولادكم الذكور والإناث فاجتمع إليه خلق كثير فزينوهم بالحلى والحلل فألقاهم عن يمينه وعن شماله ثم قال للجن والشياطين إن رأيتم أحسن الدواب وأجلها قالت الجن يا نبي الله رأينا في جزائر البحار السابع خيلاً حسنى مختلفة الألوان شقراء وحمراء وصفراء حسان قدودها مربعة كفالها مدورة حوافرها تسر عقول الناظرين إليها. فقال لهم علي بها الساعة فانطلقوا إليها وساقوا لها سلاسلا وكانت تلك الخيل لها أجنحة تطير بها في الهواء

652 كذا مفردها «لبنة».

فانطلقت العفاريت إلى العين التي كانت في الجزيرة وكان ماؤها عذبا وماء البحر ملح أجاج وكانت تلك الخيل تشرب من تلك العين فنزعوا ماءها وسدوا عيونها وسكبوا فيها الخمر وانتحوا عنها فجاءت تلك الخيل تريد الماء لتشرب فشمت رائحة الخمر فولت ولم تشرب شيئاً.

فلما كان من الغد عادت إلى مشربها فشمت أيضا رائحة الخمر فولت ولم تشرب شيئاً فلما كان من اليوم الثالث جاءت وقد أصابها العطش فشربت وسكرت فذهبت لتنهض فلم تقدر. [ص212] فجاءتها العفاريت فأوثقتها في السلاسل وجعلت الخمر في أفواهها فقامت من السكر طائرة في الهوى والشياطين على ظهورها فلم يزالوا يقودونها حتى أتوا بها إلى نبي الله سليمان عليه السلام وكانت ثمانون ألف فرس. فلما أتوا بها سليمان بن داوود عليهما السلام قال لهم ابنوا لها مذاود[653] من الذهب والفضة ففعلوا ذالك ثم انه أخذ الخاتم فجعل عليها سروجاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدرّ والجوهر وعلى أكفالها أحلّة الديباج الأحمر الأخضر والأصفر وملا مذاودها[654] بسبائك الفضة البيضاء وبسط ميدانه بالفرش المجرعة ذات ألوان متفرقة ووقف الخيل عن يمين الميدان وعن شماله.

وكان للميدان سبعة أبواب مصفحة بصفائح الذهب والفضة مرصعة بأنواع الجوهر وأمر ببساطه الأعظم ففرش وكان طوله خمسة وعشرون فرسخاً ووسعه مثل ذالك وكان عسكر سليمان مائة فرسخ عن يمينه ومائة فرسخ عن شماله فأما الجن فاسكنهم خمسة وعشرين فرسخاً وخمسة وعشرين فرسخاً للشياطين وخمسة وعشرين للطير والهوام وخمسة وعشرين لإنس. ثم قال سليمان عليه السلام لدمرياظ رئيس الجن انظر كيف تكون إذا قدم عليك الرسول ثم دعا بآصف بن برخيا وأمره أن يجمع بين الإنس فيتجهزون في لباسهم ففعل ذالك ثم دعى سليمان عليه السلام الطير والوحوش والهوام فوقفوا عن يمينه وعن شماله واصطف كل جنس منهم صفاً. ثم جمع الشياطين وخلق مشوهة وهيكل عظيم ثم قال للهدهد أين وصلوا فطار الهدهد ثم رجع وقال يا نبي الله هم بالقرب منا فلما وصل القوم الى الميدان نظروا إلى الميدان مبنى بلبن الذهب والفضة مملوة شعير من الفضة البيضاء.

فلما رأى ذالك رسل بلقيس تحيرت أعينهم وصغرت عندهم أنفسهم ورموا بما كان

---

653 «مداويد» في المخطوط.

654 «مداودها» في الأصل.

عندهم من الهدية خارجاً من الميدان ما خلا الحك والجواري والغلمان والكتاب الذي كتبت بلقيس إلى سليمان فلما قرب الرسل من الشياطين نظروا إلى منكرات أشخاص واعرة قد طلعت رؤوسهم في الهواء وأعينهم مشقوقة على طول وجوههم ونظروا إلى خلق كثير مختلفة الالوان ففزعوا من ذالك ووجلت قلوبهم وأدخلهم الرعب والفشل واصطكت ركبهم وأمسكوا عن السير وبقوا متحيرين قد طارت عقولهم. فصاحت عليهم الشياطين أقبلوا لا خوف عليكم فساروا حتى جاوزوهم ثم أقبلوا إلى[655] الثاني فجاوزهم فخافوا أيضاً خوفاً شديداً ولم يزالوا يقدمون على صف بعد صف حتى قدموا على صف السباع فعند ذالك صاحت السباع بأصواتها وضربت الأرض بأذيالها.

فخافوا منها خوفاً شديداً ولم يزالوا كذالك حتى انتهوا إلى سليمان عليه السلام فوقفوا بين يديه ونظرهم سليمان عليه السلام بوجه طليق سميح وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال لهم ما وراءكم فقال له المقدم عليهم وهو رئيس الزنادقة أيها الملك [ص213] معنا مليكتنا بلقيس وهدية وكتاباً إليك. فقال لهم سليمان عليه السلام هلم إلى كتابكم فناولوا له الكتاب وفكه سليمان وقرأه فتعجب منه ثم قال لهم هاتوا الحك فناولوه الحك فأخذه وهزه وقال لهم أعلمكم بما فيه قالوا له نعم أيها الملك فقال لهم في هذا الحك خرزتان الواحد من الجزع اليماني شقوا فيه ثقبا معوجا والأخرى مدورة لم تثقب وان مليكتكم بلقيس تقول لي في كتابها اجعل السلك فيها ولا تستعن عليها بأحد من الجن والشياطين وتقول أيضا ميز بين الغلمان والجواري ولا تتفكر فيهم فتعجب رئيس الزنادقة من قوله.

ثم إن سليمان عليه السلام أقبل على دمرياط رئيس الجن وقال له من يثقب هذه الخرزة فقالت له الجن نحن لها يا نبي الله قال لهم غيركم أردت لأنها قالت في كتابه لا تستعن عليها بأحد من الجن ولا من الإنس فعند ذالك تكلم من الهوام دودة بيضاء وقالت يا نبي الله أنا لها فقال لها افعلي أعانك الله وأقواك فقالت له الدودة بسم الله وبالله وعلى بركة سليمان نبي الله ثم ثقبتها حتى خرجت إلى الجانب الآخر. فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك أيتها الدودة فسئلينها تقضى إن شاء الله تعلى فقالت له يا نبي الله اسئل الله تعلى أن يجعل رزقي في الشجر الأخضر فقال لها لك ذالك. ثم قال سليمان عليه السلام من هو منكم بأخذ هذا السلك فيدخله في الجزع المعوج الثقب ويخرجه من الجانب الآخر فتكلمت

655 كلمة غير مفهومة هنا ولعلها «الكبير رئيس».

دودة أخرى وقالت له يا نبي الله أنا لها فقال لها افعلي أعانك الله وأقواك فأخذت الدودة رأس الخيط بفيها وأدخلته في الثقبة المعوجة ثم أخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك أيتها الدودة فقالت له يا نبي الله اسئل الله لي أن يجعل رزقي في الفاكهة فدعى سليمان عليه السلام فأجاب الله دعوته.

ثم قال سليمان عليه السلام للغلمان والجوراي أقدموا عليّ فقدموا ثم قال لهم ارجعوا فرجعوا وهو ينظرهم وكان الرجل منهم إذا قدم يقدم رجله اليمنى على اليسرى وإذا تقدمت الجارية تقدم اليسرى على اليمنى فعزل الجواري ناحية والغلمان ناحية وميزهم بعضهم من بعض فتعجب رئيس الزنادقة ودخله الرعب مما رأى من ملك سليمان عليه السلام. فقال لهم سليمان عليه السلام أين الذهب والفضة الذي وجهته معكم بلقيس فقالوا له يا نبي الله طرحناه خارج الميدان فقال لهم لم لم تظهروها مع هديتكم فقالوا خشينا أن يقول أحد من أهل ميدانك انها من الميدان لأنا تناظرنا الميدان فرأيناه مبنياً بالذهب والفضة. ثم إن سليمان عليه السلام أمر بإحضار الهدايا بين يديه فأحضرت فتبسم من فعلهم عليه السلام وقال الحمد لله الذي يرزق من يشاء بغير حساب ثم قال لهم ارجعوا إلى بلقيس وردوا عليها هديتها ثم قال لهم كما أخبر الله تعلى عنه في كتابه العزيز ﴿بل أنتم [ص214] بهديتكم تفرحون﴾[656] الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال سليمان نبي الله عليه[657] السلام لجنود الإنس والجن والشياطين ورئيسهم دمرياظ من العفاريت أن يصنعوا لي ﴿صرحاً ممرد من قوارير﴾[658] فدعا دمرياظ بعفريت من عفاريته وكان من مردة الشياطين وأمره بإنشا ذالك الصرح فعند ذالك تقدم العفريت وسجد بين يدي سليمان عليه السلام وقال يا نبي الله أنا أفرغ لك من الصرح قال متى يكون هذا قال في يوم وليلة. فعند ذالك جمع المردة وبني له صرح مسيرة سبع فراسخ وألقى فيها حِمى من البحر الأصفر والأخضر والأحمر والأبيض والأسود فلما فرغ من ذالك وأحكم الصرح أقبل إلى سليمان عليه السلام أيكم يأتني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال له ذالك العفريت الذي بنى له الصرح أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.

---

656 النمل ٣٦.

657 جاءت «عليه» في الهامش.

658 النمل ٤٤.

وكان سليمان عليه السلام إذا جلس لم يقم من مجلسه حتى تستوى الشمس فقال له سليمان يبعد عليّ هذا أريد أقرب من هذا فقال له آصف بن برخيا رضوان الله عليه وكرامته وهو الذي علمه الله الاسم الأعظم العظيم أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. قال ابن عباس رضي الله عنهما قال آصف بن برخيا يا نبي الله لا يرتد اليك طرفك حتى يريه بين يديك قال فتعجب سليمان ابن داوود عليهما السلام من صدقه لم يكن له من العجائب مثل ذالك. ثم قال سليمان عليه السلام افعل يا آصف قال فعند ذالك وثب آصف بن برخيا فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين ثم دعى باسم الله الأعظم وقال في دعائه اللهم إني أسئلك فأنت الله لا إله إلا أنت الحي القيوم الطاهر المطهر نور السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فات به[659].

ثم قال يا نبي الله مد عينيك فمد سليمان عليه السلام عينه نحو اليمن فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخرقون به خرقاً حتى وضعوه بين يدي سليمان عليه السلام في وقت التفاته نحو اليمن. قال ابن عباس رضي الله عنهما فكان سليمان عليه السلام أن يفتتن فقال يا رب سألتك أن تعطيني ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فهذا آصف بن برخيا يقدر على ما لا أقدر عليه إن هذا لنقصان من ملكي فأوحى الله إليه لكرامتك عندي ودعوتك المستجابة أعطيت لآصف ذالك. قال فرجع سليمان عن ذالك فإذا عرش بلقيس بين يديه وذالك أن سليمان علم أن بلقيس قد أقبلت عليه وقومها فأمر سليمان عليه السلام خاصة من الجن والإنس. فوقفوا إلى تلك الخيل والمذاويد[660] تعجبت من حسنها واختلاف أجناسه ونظرت إلى الشياطين وصورهم واختلاف أشخاصهم فنظرت خلقاً عجيباً ففزعت ودخلها الرعب وأمسكت عن السير فصاح بها بعض الشياطين جوزوا لا خوف عليكم وجازوهم وهم تحت خوف وجزع عظيم.

ثم مضت بلقيس إلى صف السباع والهوام وأنواع الوحوش فجاوزوهم بخوف [ص215] ورعب فصاح عليهم من الوحوش صائح لا بأس عليكم جوزوا فسارت بلقيس ومن معها حتى انتهت إلى قبة معلقة بين الأرض والهواء ليس لها عمود يحملها ولا دعامة من تحتها ولا علامة من فوقها ولها أربعة أبواب في تلك القبة رجل قائم يصلي وهو يقرأ بصوت حسن وعيناه تذرفان دموعاً. فلما نظرت إليه بلقيس قالت ينبغي أن يكون هذا الشخص سليمان

659 كذا.

660 «المراويد» في الأصل.

بن داوود عليه السلام وأرادت أن تنزل عليه عن دابّتها فقال لها قائل تقومي أمامك فإن هذا وزير من بعض وزراء نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام واستوت بلقيس في مركبها ثم صارت تمشي أمامها حتى انتهت إلى قبة من النور يكاد نورها يذهب بالأبصار وهي بيضاء معلقة في الهوى فلا شيء يمسكها وفي تلك القبة رجل عليه جبة من صوف ومدرعة من شعر وهو قائم يصلي يقرأ الزبور بصوت حسن وعيناه تذرفان دموعا.

فلما نظرت إليه بلقيس قالت ينبغي أن يكون هذا الرجل سليمان بن داوود عليهما السلام وأرادت أن تنزل إليه فقال لها قائل تقدمي أمامك يا بلقيس فتقدمت أمامها حتى انتهت إلى الصرح الممرد من قوارير[661] فلما نظرت إليه هالها أمره وقالت لقومها ووزرائها ألا تنظرون إلى ما فعل بنا هذا الرجل إن الملوك ليس لهم أمان فقد بنا هذا المسلك ودعانا إليه ليغرقنا في هذا البحر ولو علمنا بذالك لم ندخلوا بأنفسنا ولو كنا نموت كراهية تحت سيوفنا. فقال لها قومها انها لميتة واحدة فما تبالي في البحر غرقنا أم بالسيوف قتلنا فقالت لا لعمري بل نموت كراماً أحب إلينا ثم إن بلقيس جردت وأظهرت صرامها وصرخت في قومها فأشهروا سيوفهم وجردوها للحرب فلما نظرهم الجن والإنس والشياطين والسباع والهوام صاح عليهم شيطان صيحة واحدة فسقطت القوم بأجمعهم وتوقعوا على خيولهم.

فقالت بلقيس لقومها ما ترون من الرأي فقالوا لها بأسلحتنا ونمضوا إلى هذا البحر ونصير إلى هذا الأمر الذي نزل بنا وليس عندنا غير ذالك قالت نعم ثم إنها دنت من الصرح وقالت في نفسها لا بد من الهلاك والغرق ثم رفعت ثيابها لتدخل الصرح فجعل سليمان عليه السلام ينظر إليها وينظر ساقيها فإذا هي زبا[662] لا ينظر شيئاً من ساقيها لكثرة الشعر الذي عليها فلما نظر إليها سليمان عليه السلام ردّ[663] بصره عنها وقال اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ذالك تعمداً مني وأنا أستغفرك وأتوب إليك. ثم قال لبلقيس ادخلي فإنه صرح ممرد من قوارير فردت بلقيس ثيابها على ساقيها وصاحت بأعلى صوتها لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقال من قومها لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم اتصلت الصيحة فصاحوا بأجمعهم لا إله إلا الله واجتمع جميع ميدان سليمان عليه السلام بلا إله إلا الله وحده لا

661 إشارة إلى سورة النمل ٤٤.

662 كذا والصواب «زباء».

663 «رد» وردت في الهامش.

شريك له ثم اتصلت الصيحة بأرض الهند وميدان صنعاء وعدن[664] فقالوا بأجمعهم لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ثم إن بلقيس أقبلت خارجة من الصرح الزجاجي ووقفت بين يدي سليمان عليه السلام وسلمت سلاماً ضعيفاً وقالت واسوءتها منك يا نبي الله والله ما نظرني أحد قط من الجن ولا من الإنس ولا كشف أحد عن جسمي في الكفر وفي غير طاعة الله تعلى فقالت له يا نبي الله هكذا وجدت آبائي وأجدادي في هذا الدين. ثم إنها نظرت إلى خاتم سليمان عليه السلام فإذا فيه مكتوب [ص216] لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالت يا نبي الله ما هذا الاسم المكتوب على خاتمك فهل في السماء إلاهين فقال لها سليمان عليه السلام إنما هو إله واحد الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء لا إله إلا هو ربي وربك ورب كل شيء وهو الواحد القهار والفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأما الاسم الثاني فإنه عبده محمد ورسوله خاتم النبيين والرسل. فقالت بلقيس وهذا النبي أكرم منك عند الله تعلى قال لها نعم قالت هل يعطى له من الملك ما أعطي لك قال سليمان عليه السلام ان الله سخر لي الإنس والجن وكل ما دب ودرج على وجه الأرض والريح غدوها شهر ورواحها شهر في ساعة واحدة وهذا النبي يرفع من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويبلغ مشارق الأرض ومغاربها وتحمله الملائكة على أجنحتها وتدور به سبع سموات فيخرق الحجب حجاباً حجاباً حتى ينتهي إلى شجرة طوبى والى سدرة المنتهى وينظر إلى قدرة ربه الأعلى ويكون من ربه قاب قوسين أو أدنى فقالت له بلقيس يا نبي الله إن هذا النبي كريم عند الله قال لها نعم وهو حبيب رب العالمين.

قال كعب الأحبار رضي الله عنه ثم آمنت بلقيس بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم تره ثم قال لها سليمان عليه السلام يا بلقيس أتريدي أن ترجعي إلى ملكك فقالت له يا نبي الله ما خرجت منه وأنا أريد الرجوع إليه أبداً وأنا أزوج نفسي منك لأني لم أخلف هنالك إلا عرشي. قال لها سليمان وإن رأيت عرشك أتعرفيه أم لا قالت وكيف لا أعرفه يا نبي الله فقال لها انظري يا بلقيس فنظرت إلى عرشها فقال لها هذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. قال كعب الأحبار رضي الله عنه فنفر عنها قلب سليمان عليه السلام

664 «وعدنان» في المخطوط.

لما رأى من الشعر في ساقيها فقالت له يا نبي الله إني امرأة مسرولة[665] الساقين فقال لها سليمان الساعة اتخذي شيئاً تداوي به فيرجع ساقيك كالفضة البيضاء.

قال ثم أمر سليمان أن يصنع لها حماماً وأمر الشيطان أن يصنع لها النورة ثم دخلت الحمام وطليت ساقيها بالنورة فلم تلبث فيها إلا قليلاً فخرجت منه وساقيها كالفضة البيضاء قال فعند ذالك تزوجها سليمان عليه السلام وحبها حباً شديداً حتى كانت تسمى في قصره المؤمنة الأمينة وكان لا يأمن على خاتمه إلا بلقيس فهذا ما جاء في فواحش الإيمان والأخبار كثيرة ولاكن المجلس لا يحتمل التطويل. وقسم الإيمان عشراً فجعل في اليمن تسعاً وفي الدنيا واحدة وقسم الأنفاق عشراً فجعل في العرب تسعاً وفي الدنيا واحدة وهم أهل العمود الكرام عند نزول ضيفهم. وقسم البخل عشراً فجعل في الهند تسعاً وفي الدنيا واحدة وقُسّمت الرحمة عشراً فجعل في مكة تسعاً وفي الدنيا واحدة.

وقد جاء في الآثار عن آدم وغيره من الأنبياء أن الله تبارك قد بنا على مكة وفتحها في مواضع كثيرة في التنزيل قال الله العظيم ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً[666] للناس ﴾[667] وقال للخليفة إبراهيم عليه السلام ﴿ وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾[668] وقال تعلى ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذا البلدة الذي حرمها ﴾[669] وقال تعلى ﴿ رب هذا البيت ﴾[670] وقال تعلى ﴿ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ﴾[671].

وقال تعلى مخبراً عن نبيه إبراهيم ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾[672] وقال تعلى ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾[673] وقال تعلى لنبيه [ص217] محمد صلى

665 الأرجح أن تكون « مشلولة ».
666 « قيام » في الأصل خطاء.
667 المائدة ٩٧.
668 الحج ٢٧.
669 النمل ٩١.
670 قريش ٣.
671 آل عمران ٩٦–٩٧.
672 إبراهيم ٣٥.
673 البقرة ١٢٧.

الله عليه وسلم ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فنولينّك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره﴾[674]. وقال تعلى ﴿أوَ لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً﴾[675] وقال تعلى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾[676] وكذالك ما أشبهها من الآيات التي يطول ذكرها.

وأما الأحاديث المشهورة والأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه كفار قريش من مكة قال والله إني أعلم أنك أحب إليّ من بلاد الله عز وجل كلها ولو أن المشركين أخرجوني ما خرجت. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دحيت الأرض من مكة وأول من طاف بالبيت الملائكة وما نبي هرب من قومه إلا هرب من مكة يعبد الله تعلى فيها حتى يموت. وقال صلى الله عليه وسلم إن قبر نوح هود وشعيب بير زمزم والمقام وقال صلى الله عليه وسلم إن حول الكعبة قبر ثلاث مائة نبي وإن ما بين الركن اليماني والركن إلا القبور سبعة أنبياء مدفونين. وقال صلى الله عليه وسلم من مات في حج أو عمرة لم يعرض ولم يحاسب ويقال له ادخل الجنة.

وروى أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أقبل إليهم وقال لهم اسئلوني من أين جئت قالوا له من أين جئت يا أمير المؤمنين قال لهم من عند باب الجنة وكان قائماً تحت الميزان يدعوا الله تعلى عنده. وقال صلى الله عليه وسلم الركن اليماني باب من أبواب الجنة والركن الأسود باب من أبواب الجنة وما من أحد يدعوا عند الركن الأسود إلا استجيب له وكذالك عند الركن اليماني وكذالك عند الميزان. وقال صلى الله عليه وسلم من مات في مكة كأنما مات في سماء الدنيا ومن مات في أحد الحرمين حاجاً معتمراً بعثه الله تعلى يوم القيامة ولا حساب عليه ولا عقاب. وقال صلى الله عليه وسلم من نظر البيت ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويحشر يوم القيامة في الآمنين وقال صلى الله عليه وسلم من أدرك شهر رمضان في مكة وصامه وقام منه بما تيسر كتب الله له مائة ألف شهر.

وقال صلى الله عليه وسلم الحاج الراكب له بكل خطوة يخطوها سبعة آلاف مائة حسنة من حسنات الحرم قالوا يا رسول الله وما حسنات الحرم مائة ألف حسنة. وروي أن موسى

---

674 البقرة ١٤٤.
675 العنكبوت ٦٧.
676 الإسراء ١.

عليه السلام حج على ثور وقال صلى الله عليه وسلم من مرض يوماً بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي يعمل في صحته عبادة سبعين سنة. وقال صلى الله عليه وسلم لا أعلم بلداً على وجه الأرض يتصدق فيها بدرهم واحد فيكون بمائة ألف إلا بمكة وقال صلى الله عليه وسلم لا أعلم بلداً على وجه الأرض فيها شراب الأبرار ومصلى الأخيار إلا بمكة. قال بن عباس رضي الله عنهما ما شراب الأبرار قال زمزم قيل له وما مصلى الأخيار قال تحت الميزان وقال صلى الله عليه وسلم لا أعلم بلداً على وجه الأرض إذا دعى فيها أحد قالت له الملائكة الكرام آمين إلا مكة. وقال صلى الله عليه وسلم وكل الله تعلى بالركن اليماني سبعين ألف ملك يستغفرون لمن استلمه يوم القيامة.

وقال صلى الله عليه وسلم الحاج والمعتمر وفد الله إن سألوا أعطاهم وإن دعوا استجيب لهم وإن أنفقوا أخلفوا بكل درهم ألف والذي نفس محمد بيده ما هلل مهلل ولا كبر مكبر إلا هلل بتهليله وكبر بتكبيره ملائكة السموات حتى ينقطع التهليل. فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون هذه المضاعفة فقال اما نفقاتهم يخلفها الله لهم في دار الدنيا ...

[ص218] النهاية

Du point de vue de la langue, on remarque des particularités graphiques notamment concernant l'écriture de la *hamza,* رأى s'écrivant systématiquement رءا ou de la *maddâ* قرآن transcrit قرءان et آيات qui donne ءايات . Naturellement, le *qâf* est noté ف et le *fâ'* ق comme cela est la règle dans l'écriture *maghribî*. On notera également la graphie particulière du *yâ'* ou de l'*alif maqṣûra* finaux ou encore بالليل que le copiste écrit systématiquement باليل Du point de vue de la syntaxe, les accords sont traités de manière aléatoire par rapport à la norme qui prévaut actuellement, mais cela atteste simplement d'un état de la langue sans qu'il y ait là la moindre anomalie. Aussi n'avons-nous pas pratiqué d'hypercorrection et conservé ces particularités, sauf lorsqu'elles pouvaient gêner une lecture naturelle. Au plan de la terminologie on relève ici où là l'emploi de termes locaux empruntés aux langues africaines.

La ponctuation et les alinéas sont de nous et ont pour but d'aérer le texte et d'en faciliter la lecture. Les parties en gras se trouvent dans le manuscrit original.

Damas-Lyon, février 2012.

parvient même à vaincre le seul savant du texte désigné par son nom, à savoir le célèbre mu'tazilite Ibrâhîm al-Naẓẓâm, et à le tourner quasiment en ridicule. Il faut dire que le conteur, qui apparaît comme un musulman orthodoxe, ne semble pas l'apprécier non plus, les logiciens et philosophes étant, chacun le sait, la bête noire des traditionnalistes. Toutefois, le manuscrit étant tronqué, les sciences profanes que sont la musique et le jeu d'échec ne sont pas abordées. D'autre part, il apparaît que cette présente version est beaucoup plus développée que la version imprimée.[3]

En effet, dans la présente version, qui compte 220 folios alors que la version imprimée n'en compte qu'une vingtaine, le copiste a ajouté un grand nombre de développements. Il s'agit notamment de considérations ayant trait aux questions juridiques, d'anecdotes sur les Compagnons du Prophète, de *hadiths*, de citations coraniques et de questions relevant de la casuistique : droits de l'épouse (*haqq al-zawja 'alâ al-zawj*), piété filiale (*birr al-wâlidayn*), droits de l'esclave (*haqq al-mamlûk*). On y trouve aussi nombre de courts poèmes venant à l'appui de telle ou telle démonstration. En outre, il est évident que de tels développements liés à la tradition musulmane s'inscrivent dans une tentative « d'islamisation » d'un récit qui était profane à l'origine. Nous avions déjà constaté cette tendance dans l'édition du précédent manuscrit, à savoir le *Shifâ' al-asqâm* du Shaykh Sayyid Ahmad al-Raqqâdî.

Le manuscrit incomplet qui a servi de base à notre édition est enregistré dans le catalogue de la Bibliothèque Mama Haidara de Tombouctou sous le numéro 717. Il compte 220 folios de 20 x 15 cm, et est parfaitement lisible, avec une écriture de type *maghribî*. Cependant, les trente premiers folios ont subi les outrages de l'eau, ce qui fait que la partie supérieure de chaque folio est difficilement lisible. Il comprend, sur quelques folios, des corrections ou des ajouts en marge, sûrement le fait de disciples ou de copistes. Le texte est rédigé d'un seul tenant et ne comprend donc pas le découpage habituel en chapitres et parties. Toutefois, de l'encre rouge permet de marquer le début des paragraphes. Le nom du copiste n'est pas mentionné non plus que la date de la copie, mais nous pensons que l'exemplaire dont nous disposions remonte au XIXe siècle puisque les mois cités le sont d'après le calendrier grégorien, comme c'est encore le cas au Maghreb de nos jours, et non pas selon le calendrier hégirien. Le copiste ne semble pas avoir été un grand connaisseur du Coran car nous avons constaté qu'à plusieurs reprises il commettait des erreurs de transcription de certaines sourates, ce qui, dans le monde musulman, est particulièrement malvenu.

---

3 André Miquel a analysé le conte de Tawaddud en détails. Cf. A. Miquel, *Sept contes des Mille et Une Nuits ou il n'y a pas de contes innocents*, La bibliothèque arabe, Sindbad, Paris, 1981, p. 15-49.

INTRODUCTION

Dans le cadre du programme *Les Belles histoires de Tombouctou* - intégré au programme VECMAS[1] financé par l'Agence Nationale de la Recherche (ANR) -, nous avons pensé qu'il serait du plus grand intérêt d'éditer, dans un premier temps, le conte bien connu de *Tawaddud al-jâriya,* conte appartenant au cycle des *Mille et Une Nuits*, puis de le traduire ultérieurement. Bien que ce manuscrit soit tronqué (il lui manque la fin), il n'en contient pas moins le récit dans sa quasi intégralité. En effet, quiconque a lu les *Mille et Une Nuits*, connaît la trame de ce conte : une esclave-chanteuse (*jâriya*) d'une grande beauté et d'une grande intelligence est présentée au calife Hârûn al-Rachîd par son maître qui vante ses mérites et l'universalité de sa science et en demande cent mille dinars. Ce à quoi Hârûn al-Rachîd rétorque que si la science de la mignonne est avérée, il paiera la somme demandée, mais que si elle affabule, le négociant n'aura rien. Le calife la soumet alors, devant un aréopage de savants et de membres de sa cour, à une série d'épreuves visant à tester l'ampleur de sa culture et à tenter de la mettre en échec. Elle affrontera donc un juriste, un grammairien, un philosophe, un astronome, un médecin qui la soumettront tous à un feu roulant de questions plus pernicieuses les unes que les autres, certaines d'ailleurs prenant la forme de devinettes. Toutefois, elle sortira avec les honneurs de cet affrontement et gagnera l'estime de tous après avoir dominé les divers savants. En outre, on peut estimer que, grâce à la science, elle pourra se libérer de sa condition servile ; il y a donc là une forme d'hymne à la connaissance. [2]

La particularité du conte de *Tawaddud al-jâriya* est de donner le rôle central à une jeune femme nommée *Tawaddud*, mot signifiant « affection », qui non seulement se signale par sa grâce, mais aussi par son intelligence et sa maîtrise de l'exercice ardu de la *munâẓara*, la *disputatio*, la « dispute » au sens médiéval du terme. Elle

---

1 Valorisation et Edition Critique des Manuscrits Arabes Sub-sahariens, directeur G. Bohas, ENS de Lyon.

2 Voir The *Arabian Nights Encyclopedia*, Ulrich Marzolph & Richard Van Leuven (dir.), ABC-CLIO, 2 vol., Santa Barbara, 2004 ; Jamel Eddine Bencheikh & André Miquel (trad.), *Les Mille et Une Nuits*, 3 vol., Bibliothèque de La Pléiade, Gallimard, Paris, 2005-2006. Dans la traduction de Mardrus, ce conte s'intitule *Histoire de la docte Sympathie*. Cf. Joseph-Charles Mardrus (trad.), *Les Mille et Une Nuits*, 2 vol., Robert Laffont, Paris, 1993, t. 1, p. 666-687. Un équivalent occidental de ce récit fut l'histoire de la Docte Théodore ; voir à ce sujet Margaret R. Parker, *The Story of a Story across Cultures*. *The case of the « Doncella Teodor »*,Tamaris, Londres, 1996.

Georges Bohas, directeur du projet VECMAS (Valorisation et édition critique des manuscrits arabes sub-sahariens), remercie M. Abdel Kader Haïdara, directeur de la bibliothèque Mamma Haïdara, qui a bien voulu mettre le manuscrit à sa disposition en vue de l'édition critique.
Il remercie aussi l'Agence nationale de la recherche qui soutient le projet VECMAS.
Enfin, il remercie Madame Rana Darrous qui a effectué la mise en page du texte avec le logiciel InDesign.

École normale supérieure de Lyon
15 parvis René Descartes
BP 7000
69342 Lyon cedex 07

ISBN 978-2-84788-362-6
Prix : 20 euros

Achevé d'imprimer en France, ENS de Lyon,
Dépôt légal mars 2012

LE CONTE DE *TAWADDUD AL-JÂRIYA*

« La docte Tawaddud »

Un conte des *Mille et Une Nuits*

Version de Tombouctou

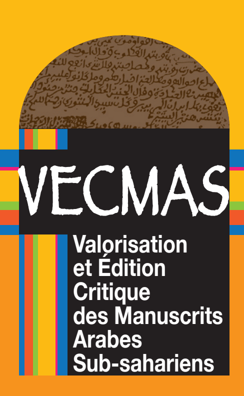
Edition critique

Floréal Sanagustin



ENS Editions

2012



Le conte de Tawaddud Al-Jâriya

« La docte Tawaddud »

Version de Tombouctou

Édition critique par

Floréal Sanagustin



Vecmas 2012

ENS ÉDITIONS

